مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنى محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الثالث

من بداية سورة آل عمران الآية (٣٣) وحتى الآية (٨٥) من سورة النساء

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ
2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب: 11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت
لبنان

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾

السؤال الأول:

ماالفرق بين (اصطفى) و(اختار)؟

الجواب:

الاختيار: هو أن تختار من غير متشابهات، كأن تختار قلماً من بين ورقة وكتاب وقلم ، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص:٦٨].

أمّا الاصطفاء: فهو الاختيارمن بين أشياء متناظرة ومتشابهة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[آل عمران:٣٣] فاصطفاه من متناظرين.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران:٣٣]. من (عمران) المذكور في الآية؟

الجواب:

هناك اثنان لهما نفس الاسم (عمران).

١ـ عمران والد موسى وهارون، وعمران هذا هو ابن يصهر بن فاهاث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

٢ـ عمران: والد مريم عليها السلام .

ومما زاد في الأمر إشكالاً هو وجود أخت لموسى وهارون اسمها: مريم، فكلتاهما اسمها: مريم بنت عمران، وكانوا يتفاءلون باسم (مريم) لأنّ معناه العابدة .

٣ـ يمكن أن نضع للأمر ضبطاً حرفياً، فنقول: (عمعم سدئيّ) ومعناها:

[عيسى بن مريم ـ مريم بنت عمران ـ عمران بن ماثان ـ ماثان بن سليمان ـ سليمان بن داود ـ داود بن أوشي ـ أوشي بن يهوذا ـ يهوذا بن يعقوب ـ يعقوب بن إسحاق].

٤ـ لذلك مجيء اسم مريم عليها السلام في القرآن يعني أنه عمران والد مريم.

٥ـ للعلم: زكريا عليه السلام، هو ابن آذن، وآذن كان معاصراً لماثان.

ومن جهة أخرى يجب علينا أنْ نفطن إلى أنّ الأنساب بالدم واللحم عند الأنبياء لا اعتبار لها، وإنما الأنساب المعترف بها بالنسبة للأنبياء هي أنساب القيم والدين .

السؤال الثالث:

وردت كلمة ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:٣٣] في القرآن كله بالياء إلا في سورة البقرة بأجمعها، فقد جاءت بدون ياء﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾. فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٤.

❁❁❁❁

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يتقبل من) و(يتقبل عن) في الحديث عن التوبة ؟ وهل يأتي الفعل (تُقبِّل) بدون حرف جر وبصيغة المبني للمجهول ؟

الجواب:

١ـ القبولُ هو أخذ الشيء برضى، والتوبة هي الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، وكلُ إنسان معرّض للخطأ وخير الخطائين التوابون، فالتوبة هي الكفّ عن المخالفة و العودة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

٢ـ استعمال (عن) بدل (من): كلمة (عن) تستعمل حينما يكون الكلام هو عودة إلى الله سبحانه وتعالى ، والمتكلِّم المباشر هو الله سبحانه وتعالى، أو هو معلوم عن طريق الغيبة، وعندما يتكلم الله سبحانه وتعالى عن نفسه بضمير الغيبة (هو)، فإن ذلك يدل على تعظيم شأنه جلَّ في علاه.

والفرق بين (عن الشيء) و(من الشيء): عندما نقول: فلان كان يمشي بسيارته وخرج (من الطريق) السريع، معناه وجد منفذاً متصلا بالطريق السريع وخرج. لكن لو قيل لك: فلان بسيارته خرج (عن الطريق) السريع، معناه: انحرف كأنما انقلبت سيارته، هذه الصورة الآن نحن نفهمها بعد ألف عام، فكيف كان العربي يفهم الفرق بين (من) و(عن)؟

٣ـ (عن) لمجاوزة الشيء، و(من) لابتداء الغاية كأنه ابتدأ غايته من الطريق.

فمع (من) كأنه تبقى الصِلة، فهناك شيء ولو صلة متخيلة .أمّا (عن) ففيها انقطاع.

فقوله تعالى: ﴿يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] أي: لا تبقى لهم صلة، والتوبة ترتقي إلى الله سبحانه وتعالى، ولو قيل في غير القرآن (يقبل التوبة من عباده) كأنّ الإثم الذي تاب

عنه يبقى متصلاً به، وهذه التوبة يتخيل الإنسان معها صورة مادية للصلة بالله سبحانه وتعالى.

٤ـ يأتي الفعل (تُقبل) أو (يُقبل) بدون حرف جر معه، ومبنياً للمجهول كما في قوله تعالى في الآيات التالية:

آـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾ [آل عمران:٩٠] فبناها للمجهول ولم يأت بحرف جرّ، وما قال: لم يقبل الله توبتهم؛ لأنهم لا يستحقون أن يذكر معهم اسم الله تعالى، فهذه التوبة لا تقبل لا منهم ولا عنهم ولا لهم؛ لأنهم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً.

ب ـ ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥] والذي يصدر عنه أي دين غير الإسلام لا يُقبل منه، ويقال: إنه لا يوجد إنسان بلا دين ، حتى الملحد دينه الإلحاد؛ لأنّ الدين هو أن تدين بشيء.

والإسلامُ هو دين الأنبياء جميعاً، لكنْ مع مراعاة أنّ إسلامَ أيِّ نبيٍّ هو لزمانه، فالنبي الذي بعده ينبغي أن يتبعه أتباع النبي السابق ، حتى يصل الأمر إلى خاتم الأنبياء ﷺ .

ج ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾ [آل عمران:٩١] بناها للمجهول.

٥ـ أما قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ [آل عمران:٣٧] لم يعد الفعل بحرف الجر وإنما تقبلها هي.

لذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران:٣٥] ليس من كلام الله المباشر على لسان الباري سبحانه وتعالى، وإنما على لسان البشر.

السؤال الثاني:

ما قواعد كتابة لفظة ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ علماً أنها وردت في المصحف بالهاء "٤" مرات وبالتاء ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ "٧" مرات؟

الجواب:

لفظة ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ وردت في المصحف بالتاء المربوطة "٤" مرات في الآيات [النساء ١٢ـ ١٢٨ ـ النمل ٢٣ ـ الأحزاب ٥٠].

وبالتاء المفتوحة ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ "٧" مرات، مع ملاحظة أن كلَّ امرأة ذُكرت مضافة لزوجها، جاءت بالتاء المفتوحة، والمواضع السبعة هي:

- ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٥]
- ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٣٠] و [يوسف:٥١]
- ﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص:٩]
- ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم:١٠] مرتان
- ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١]

السؤال الثالث:

ما الفرق بين دلالة (زوج) و(امرأة) و(بعل) في اللغة ؟

الجواب:

استعمل القرآن كلمة (زوج) للدلالة على الرجل أو على المرأة، وهذا هو الأفصح في اللغة .

والزوج هو الذي يشكل مع الثاني زوجين، وتطلق كلمة (الزوج) على الاثنين، ويوحي اللفظ بنوع من المقاربة والتوافق؛ لذلك نجد أنه:

١ـ تأتي كلمة (زوج) في القرآن حين تكون الزوجية هي مناط الموقف كما في آيات [الروم ٢١، والفرقان ٧٤].

ومع الرسول ﷺ استعمل القرآن ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨] فإنها أُضيفت إلى الضمير، ولعلّ فيها ملمح التقريب وهن أزواجه في الدنيا وفي الآخرة، بينما لا يوجد في القرآن زوج فلان، وإنما امرأة فلان .

٢ـ فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة بسبب خيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج، لأنه لم تعد (امرأة فرعون) المؤمنة تشكل زوجاً مع (فرعون الكافر)، وكذلك الحال مع (امرأة نوح) فلم تعد تستحق أن ترتفع بحيث تشكل مع نوح عليه السلام زوجين، كما في آية يوسف ٣٠، والتحريم ١٠.

حتى (امرأة العزيز) هي أيضاً امرأة ، ومن قال تشاطره ؟ ربما كان على جانب من القيم والمُثل وهي تراود فتاها، إذن لا يناسب استعمال زوج في حالة التباين الواسعة بين الطرفين.

وأما كلمة ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ فهي تعني الأنثى لا غير.

٣ ـ وإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل، فامرأة لا زوج كما في آيات [هود ٧١ ـ والذاريات ٢٩ ـ وآل عمران ٣٥].

٤ ـ وأما (البعل) فلا يطلق على الرجل حتى يدخل بزوجته، وقد يأتي أيضاً بمعنى السيد، قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الصافات:١٢٥]

السؤال الرابع:

وردت كتابة لفظة ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ في الآية بالتاء المفتوحة، فما قواعد رسم تاء التأنيث هاءً؟

الجواب:

اتفق معظم علماء العربية على أن التاء هي الأصل في علامة التأنيث وأن الهاء تخلفها في الوقف، فجاءت معظم الأمثلة لذلك مرسومة بالهاء .

وروي عن بعض النحويين قولهم: إنّ الهاء في المؤنث هي الأصل في الأسماء؛ ليفرقوا بينها وبين الأفعال، فتكون الأسماء بالهاء والأفعال بالتاء .

وانحصرت تفسيرات علماء السلف في رسم تاء التأنيث بالهاء في أنهم بنوا الخط على الوقف، وفي المواضع التي كتبوها بالتاء بنوا الخط على الوصل.

وقيل: مَن وقفَ على تاء التأنيث ورسمها بالتاء، فهو حسب لغة طيء فهم يقولون: حمزَت وطلحَت.

* شواهد قرآنية:

لفظة ﴿رَحْمَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٧٢ مرة، وبالتاء ﴿رَحْمَتِ﴾ ٧ مرات.

لفظة ﴿سُنَّةَ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٨ مرات، وبالتاء ﴿سُنَّتَ﴾ ٥ مرات.

لفظة ﴿نِعْمَةَ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٢٣ مرة، وبالتاء ﴿نِعْمَتَ﴾ ١١مرة.

لفظة ﴿كَلِمَةٍ﴾ وردت في المصحف بالهاء١٩ مرة ، وبالتاء ﴿كَلِمَتُ﴾ ٤ مرات.

لفظة ﴿لَعْنَةُ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٧ مرات، وبالتاء ﴿لَعْنَتَ﴾ في موضعين [آل عمران ٦١ـ النور ٧].

لفظة ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ وردت في المصحف بالتاء في موضعين في سورة المجادلة: (٨ و ٩).

لفظة ﴿مَرْضَاتَ﴾ أينما وقعت.

لفظة ﴿امْرَأَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء "٤" مرات، وبالتاء ﴿امْرَأَتُ﴾ "٧" مرات، مع ملاحظة أن كل امرأةٍ ذُكرت مضافة لزوجها وردت بالتاء المفتوحة، والمواضع السبعة هي:

ـ ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران:٣٥]

ـ ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٣٠] و [يوسف:٥١]

- ﴿ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [القصص:٩]

- ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ [التحريم:١٠] مرتان

﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التحريم:١١]

وجاءت بضع كلمات مرسومة بالتاء في موضع واحد وهي المبينة أدناه، وإذا وردت هذه الكلمات في غير هذه المواضع تكتب بالتاء المربوطة، والكلمات هي:

﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ [الدخان:٤٣].

﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ [القصص:٩].

﴿مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ [فُصِّلَت:٤٧].

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هود:٨٦] .

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة:٨٩.]

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ [العنكبوت:٥٠].

﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠].

وهناك كلمات تُكتب بالتاء المفتوحة حيث وردت وهي ليست تاء التأنيث وهي:

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف ٤ و ١٠٠ـ ومريم ٤٢ـ٤٣ـ٤٤ـ٤٥، القصص ٢٦].

﴿ٱللَّٰتَ﴾ [النجم:١٩] أي: اللات .

﴿هَيۡهَاتَ﴾ [المؤمنون:٣٦].

﴿ذَاتِ﴾ [الأنفال ٧ـ النمل ٦٠].

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾ [التحريم:١٢].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:١٣٧].

❁❁❁❁

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾ انظر إلى التوكيد بـ ﴿إِنِّي﴾ في ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ مع أنّ المقام مستعمل في إنشاء الدعاء، فما الظل الذي يلقيه هذا التأكيد على العبارة؟

الجواب:

إنّ مجيء (مريم) بنتاً خلافاً لما كانت ترجو أمها وتأمل ، يؤذن بأنها ستُعرِض عنها فلا تشتغل بها، فقالت ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ مؤكدة هذا الخبر والدعاء بإظهار الرضى بما قدّر الله تعالى لها، ولذلك انتقلت إلى الدعاء لها تعبيراً عن الرضى والمحبة.

السؤال الثاني:

ما فائدة قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ وهو معلوم من غير ذِكرٍ ؟

الجواب:

١ـ المعنى أنه ليس الذكرُ الذي طلبتْ كالأنثى التي وُهبت لها من الله سبحانه .

٢ـ وفائدته: اعتذارها عما قالت ظناً، فإنها ظنت أنّ ما في بطنها ذكر، ولهذا نذرت أنْ تجعله خادماً لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النذر في الذكور خاصة.

فلما وضعت أنثى استحيت، حيث خاب ظنها ولم يُتقبّل نذرها، فقالت ذلك معتذرة: أي أنّ الأنثى ليست بصالحة لما يصلح له الذكر في خدمة المسجد، لا أنها أرادت أنّ الأنثى ليست كالذكر صورة أو قوة أو نحو ذلك .

فلما قالت ذلك معتذرة خجلة مَنّ اللهُ عليها بتخصيص مريم بقبولها في النذر دون غيرها من الإناث، فقال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [آل عمران:٣٧] وكانت كفالة زكريا لها باختيار الله تعالى .

السؤال الثالث:

أكد بـ (إنّ) في آيات [غافر٢٧ـ والدخان ٢٠ـ وهود ٤٧ـ ومريم ١٨ـ وآل عمران ٣٦] ولم يؤكد بـ (إنّ) في آيات [البقرة ٦٧ـ والمؤمنون ٩٧ـ والمعوذتين] فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الاستعاذة تكون على قدر ما يحذره المستعيذ ويخافه، وكلما زاد الحذر زاد التأكيد بالاستعاذة، فيقول: إني أعوذ، وإلا قال: أعوذ.

٢ـ في آية غافر ٢٧: أكّد بـ (إنّ)؛ لأنّ فرعون هدده بالقتل ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٢٦].

٣ـ في آية الدخان ٢٠: ألمح أنهم هددوه بالرجم وكان المُخوِّف متسلطاً عاتياً ، فلجأ إلى ربه لجوء المستضعفين مؤكداً ذلك بـ (إنّ).

٤ـ وأما آية هود ٤٧ فهي على لسان سيدنا نوح عليه السلام، وكان ذلك تعقيباً على قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ [هود:٤٦] فلما وعظه بـ (إني أعظك) المؤكدة استعاذ به بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ [هود:٤٧] المؤكدة.

٥ـ وكذلك ما ورد على لسان مريم عليها السلام في آية مريم ١٨، فقد احتجبت عن قومها لتغتسل، وإذا ببشر أمامها ففزعت وخشيت على نفسها من أن يعتدي عليها، فلاذت بربها وعاذت، فأكدت ذلك بـ (إنّ) بقولها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ [مريم:١٨] .

ثم انظر كيف أنها استعاذت بـ (الرحمن) دون غيره من أسماء الله الحسنى، فطلبت من الرحمن أن يرحمها ويحميها، وفي ذلك أيضاً استثارة لعاطفة الرحمة في قلب الشخص الواقف أمامها إنْ كان تقياً.

إضافة إلى أنّ جو سورة مريم تشع فيه الرحمة من أول السورة إلى آخرها .

٦ـ وأما ما ورد على لسان امرأة عمران في الآية "٣٦"، فالأمر يحتاج إلى توكيد الاستعاذة، فإنها كانت قد نذرت أن يكون ما في بطنها خالصاً لله خادماً للكنيسة ، راجية أنْ يكون ذكراً فوضعت أنثى، ومن الصعوبة ومن غير المألوف أن تقوم أنثى بما يقوم به الرجال من خدمة دور العبادة، فقد تكون وحيدة، فخشيت عليها أمها ما تخشاه الأمهات على بناتهن من وساوس الشيطان وبقائها وحيدة بين الرجال، فاستعاذت لها مؤكدة فقالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] .

٧ـ أمّا ما لم يكن على هذا النحو من مواطن الخوف والحذر فلا يؤكد، كما في آية سورة البقرة ٦٧، فليس فيها موطن تهديد ولا تخويف فلم يؤكد بإنّ .

ومثل ذلك في آية المؤمنون ٩٧، وما ورد أيضاً في المعوذتين فلا يحتاج إلى تأكيد.

٨ ـ ونظير ذلك التوكيد وعدمه قوله تعالى:

ـ ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص:١٦] على لسان موسى عليه السلام، فأكد بإنّ.

ـ ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل:٤٤] على لسان ملكة سبأ، فأكدت بإنّ.

بينما جاء على لسان آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] بدون تأكيد بإنّ.

والسبب ـ والله أعلم ـ أنّ موسى عليه السلام قال ذلك بعد قتل القبطي، والقتل معصية كبيرة متعلقة بالعباد، وهي أكبر من معصية آدم فأكد الظلم بإنّ .

وطلب موسى عليه السلام المغفرة؛ لأنّ معصيته تمحى بالتوبة والاستغفار؛ لأنه ليس من القتل العمد، وإنما القتل الخطأ.

وأما ظلم ملكة سبأ لنفسها فهو أكبر من ذلك كله، فإنها كانت تعبد الشمس فأكدت الظلم بإنّ، وتابت وأسلمت، ولم تقل: فاغفر لي، فالإسلام يجبُّ ما قبله.

ولذلك يتضح أنّ التأكيد بإنّ يكون على قدر المعصية، كما أنّ التأكيد بها هو على قدر ما تقتضيه الاستعاذة . والله أعلم.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في مريم عليها السلام: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ والمفروض أن يقال: (إنباتاً)، فما اللمسة البيانية في ذلك؟

الجواب:

١ـ أحياناً نأتي بالفعل ونأتي بمصدر فعل آخر، كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧] فلم يقل (إنباتاً)، لكن هذا يكون لغرض.

٢ـ إذا كان الفعلان بمعنى واحد، أو حتى إذا لم يكونا بمعنى واحد فيكون لغرض آخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨] والمفروض (تبتُّلاً)؛ لأنّ (تبتيل) مصدر (بتّل)، و(بتّل) غير (تبتّل)، والمعنى مختلف.

وعندما يريد أنْ يجمع المعنيين يأتي بالفعل للدلالة الأولى، ويأتي بالمصدر من فعل آخر مشتق من الفعل الأول للوصول إلى دلالة أخرى، فيجمع بينهما حتى يجمع المعنيين.

فبدل أن يقول: (وتبتل إليه تبتُّلاً) و(بتِّل نفسك إليه تبتيلاً) يقول: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨] فيجمع المعنيين، وهذا من أعجب الإيجاز.

٣ـ في آية آل عمران ٣٧ قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران:٣٧] لم يقل: (إنباتاً)؛ لأنه لو قال إنباتاً، أي: هو الله تعالى أنبتها، فالمنبِت هو الله تعالى للجميع فلم يجعل لها فضلاً، لكن (أنبتها فنبتت نباتاً حسناً)، جعل لها من معدنها الكريم قبول هذا النبات فهوأنبتها، فنبتت نباتاً حسناً أي: طاوعت هذا الإنبات فجعل لها قبولاً، أي: جعل لها فضلاً في معدنها الكريم . بينما لو قال: (إنباتاً) لم يجعل لها فضلاً، ورب العالمين أنبتها؛ لأنه يفعل ما يشاء، لكن (نباتاً) جعل لها فضلاً، هي نبتت وجعل لها فضلاً فنبتت نباتاً حسناً، أي: جعل لها في معدنها قبولاً لهذا النبات فنبتت نباتاً حسناً.

٤ـ انظر كيف شبّه الله تعالى إنشاءه مريم بإنبات النبات الغضّ على طريق من الاستعارة، زيادةً في لُطفِ الله تعالى بمريم والعناية بها، وأضف إلى ذلك أنه أورد (أنبت) بالتعدية وجعل من ذاته فاعلاً لفعل الإنبات، وما ذلك إلا تشريف وتعظيم لقدرها الشريف.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧] ؟

الجواب:

حين يحين حلول نفس كلّ واحد من بني آدم في جسده المادي، أي: حين دخول نفسه وروحه عالم المادة والمكان والزمان، فإنّ هذا الجسد ينبت وينمو على مجموعة عناصر

مادية كلها من الأرض، فالإنبات الحسن لجسد مريم عليها السلام كان بسبب الرزق الطاهر الحلال الذي كان يأتيها من عند الله تعالى.

وكذلك الصورة القرآنية في آية نوح عليه السلام ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح:١٧] يُقصد بها تغذية أجساد جميع البشر على مواد جميعها من الأرض، لذلك جاءت كلمة (أنبت) و(نباتاً) متناسبة مع تغذية الجسد من مواد الأرض. والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في تقديم شبه الجملة ﴿عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا﴾ في الآية ؟

الجواب:

قاعدة نحوية: يقول سيبويه في التقديم والتأخير: يقدمون الذي هو أهمُّ لهم وهم أعنَى به.

والتقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات، فقد يتقدم المفضول، وقد يتقدم الفاضل.

والكلام في الآية في سورة آل عمران والآيات التي سبقتها في مريم عليها السلام وليس في زكريا ولا في المحراب، لذا قدّم عليها؛ لأنّ الكلام كله عن مريم عليها السلام.

السؤال الرابع:

ما سر الاختلاف في استعمال ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ بالتضعيف في آية آل عمران ٣٧ و﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ باهمزة في آية ص ٢٣ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ ؟

الجواب:

١ـ الكافل هو الذي يتولى التربية والرعاية والتوجيه، وهذا الكافل قد كفل هذا المولود أو الإنسان.

٢ـ في آية آل عمران: عندما يُضعّف الفعل ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ (كفّلت) مثل (علّمت) فيه معنى التكثير والمبالغة والتدرج. وأمّا (أُكفل) شيئاً فمعناه: اندرج في تربيته واندرج في أمره. وقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ جعله يكفلها مع التشدد مع أنه يتدرج في كفالتها.

٣ـ في سورة ص قال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص:٢٣] يعني أعطني هذه النعجة، أي: اجعلها مع نعاجي، أي: أكفلني إياها أي مجرد إيصال الكفالة.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

لقد سبق الجواب استفهام عن المكان ﴿أَنَّى لَكِ هَٰذَا﴾ أي: من أين لك هذا؟ فكان الجواب من جنس الاستفهام بإيراد ما يدل على المكان ﴿عِندِ﴾ لكنْ كان يجزئها أن تقول: (من الله) ويفهم السامع المقصود، لكنْ جاءت الآية بالضمير ﴿هُوَ﴾ لدلالة التعظيم والتفخيم لرزق الله تعالى، وجاءت بلفظ ﴿عِندِ﴾ لتدل على نسبة الرزق إلى الله تعالى.

السؤال السادس:

ما الفرق بين الكفالة والضمان ؟

الجواب:

١ـ الكفالة تكون بالنفس، والضمان يكون بالمال، تقول: ضمنت الأرض إذا التزمت أداء الأجر، ولا تقول: كفلت الأرض؛ لأنّ عينها لا تغيب فيُحتاج إلى إحضارها.

وتقول: كفلت الغلام إذا ضممته إليك لتعوله وتحفظه، ولا تقول: ضَمنته لأنك إذا طولبت به لزمك تسليمه ولا يلزمك تسليم شيء عنه، وفي القرآن: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ولم يقل: وضمنها.

٢ـ الدليل على أن الضمان يكون للمال: أنّ الإنسان يجوز أن يضمن من لا يعرفه فيتحمل المال عنه إذا لم يؤده، ولا يجوز أن يكفل من لا يعرفه؛ لأنه لا يتمكن من تسليمه عند الطلب، بينما يصح أن تؤدي عنه وإن لم نعرفه.

❁❁❁❁

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا أخّر زكريا الدعاء إلى هذا الوقتِ وفي هذا المقامِ، أي: في وقت رؤيته لأمر خارق في رزق مريم؟

الجواب:

تأمل وانظر إلى الآية السابقة كيف نبّهته إلى الدعاء عند مشاهدة خوارق العادة مع قول مريم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ،فلذلك عمد إليه بطلب الولد في غير أوانه ،وهو ما يتناسب مع عطاء الله تعالى لمريم في غير أوانه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ ما معنى الظرف (لدن) ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول من آية البقرة ٨.

❋❋❋❋

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة أن تأتي البشرى بالفاء ﴿ فَنَادَتْهُ ﴾ في هذه الآية مترافقة مع صيغة النداء؟

الجواب:

انظر إلى الأسلوب الذي جاءت به البشرى لزكريا ، وكيف بدأت الآية بالفاء العاطِفة إيذاناً بسرعة الإجابة لدعاء زكريا، ثم عبّر عن البشرى بالنداء وكأنه نداء من بعيد تعبيراً عن فرح الملائكة العظيم باستجابة الله تعالى لدعاء زكريا.

السؤال الثاني:

ما سبب التذكير مرة كما في آية ص ٧٣، والتأنيث مرة مع (الملائكة) كما في آية آل عمران ٣٩ في القرآن الكريم؟

الجواب:

آـ قال تعالى في سورة ص ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [ص:٧٣] بالتذكير، وفي سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ جاءت الملائكة بالتأنيث.

ب ـ الحكم النحوي: يمكن أن يؤنّث الفعل أو يُذكّر إذا كان الجمع جمع تكسير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات:١٤] و ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] فيجوز التذكير والتأنيث من حيث الحكم النحوي.

ج ـ اللمسة البيانية: أمّا لماذا اختار الله تعالى التأنيث في موطن والتذكير في موطن آخر؛ فهو لأنّ هناك في الآيات خطوطاً تعبيرية هي التي تحدد تأنيث الفعل وتذكيره مع الملائكة، وهذه الخطوط هي:

١. في القرآن الكريم كله، كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ [البقرة:٣٤]، ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ [البقرة:٣١]، ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحِجر:٢٩].

٢. كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد:٢٣] و ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء:١٦٦] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى:٥] .

٣. كل وصف اسمي للملائكة يأتي بالتذكير ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ﴿مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران:١٢٥]، ﴿مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩]، ﴿مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران:١٢٤].

٤. كل فعل عبادة يأتي بالتذكير ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر:٣٠] ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾ [التحريم:٦] لأنّ المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى؛ ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.

٥. كل أمر فيه شِدّة وقوة ، حتى لو كان هناك عذابان أحدهما أشدّ من الآخر فالأشدّ يأتي بالتذكير.

❊ شواهد قرآنية:

آ ـ في آية الأنفال ٥٠ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠] ولفظة ﴿يَتَوَفَّى﴾ [الأنفال:٥٠] جاءت بالتذكير؛ لأنّ العذاب أشد ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠] .

أما في قوله تعالى في سورة محمد ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد:٢٧] ﴿تَوَفَّتْهُمُ﴾ جاءت بالتأنيث؛ لأن العذاب أخفّ من الآية السابقة.

ب ـ وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان:٢٥] بالتذكير، وقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصّلت:٣٠] بالتأنيث وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر:٤] بالتأنيث.

٦- لم تأت بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم، فكل بشارة في القرآن الكريم تأتي بصيغة التأنيث، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران:٣٩] و ﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران:٤٢] .

❁❁❁❁

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (ولد) و(غلام) واستخدام الفعل (يفعل) و (يخلق) في قصتي زكريا وعيسى في سورتي آل عمران ومريم؟

الجواب:

في البدء نشير إلى أنّ دراسة هذا المبحث هي في السور والآيات التالية:

سورة آل عمران:

ـ الآيات (٣٩ـ٤٠) قصة زكريا عليه السلام.

ـ الآيات (٤٥ـ٤٧) قصة عيسى عليه السلام.

سورة مريـــم:

الآيات (٧ـ٩) قصة زكريا عليه السلام.

الآيات (١٩ـ٢٠) قصة عيسى عليه السلام.

١ـ (الولد) يطلق على الذكر والأنثى وعلى المفرد والجمع .

٢ـ من المؤكد أنّ الفعل (يفعل) أيسر من الخلق، والإيجاد من أبوين أيسر من الإيجاد من أم بلا أب، لذلك استخدم القرآن الفعل الأصعب ﴿يَخْلُقُ﴾ [آل عمران:٤٧] مع قصة عيسى عليه السلام ، والفعل الأيسر مع قصة زكريا عليه السلام ، مع أنّ كلا الأمرين سواء ، وهو كله هين على الله تعالى .

٣ـ في بشارة الملائكة لزكريا في الآية ٣٩، جاءت بيحيى ويحيى (غلام) فكان الجواب في الآية ٤٠ باستخدام كلمة (غلام) .

٤ـ أمّا لمّا بشر الله تعالى مريم عن طريق الملائكة بعيسى جاء بـ ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران:٤٥] و(الكلمة) أعم من (الغلام)، وقد جاء في الآية ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران:٤٧] ؛ لذا جاء الرد بكلمة (ولد)، والولد يطلق على الذكر والأنثى وعلى المفرد والجمع ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف:٣٩] فناسب ذلك، انظر آيات سورة آل عمران (٤٥ـ٤٧).

٥ـ في آيات سورة مريم (١٩ـ٢٠) جاء التبشير باستخدام كلمة (غلام)، فجاء رد مريم باستخدام نفس الكلمة؛ لأن المَلَكَ أخبرها أنه يبشرها بـ (غلام).

٦ـ في آيات سورة مريم (٧ـ٩) جاء التبشير والرد بكلمة (غلام).

٧ـ قد يقول بعض المستشرقين: إنّ هذا يدل على تناقض في القرآن، فنقول: إنّ البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

السؤال الثاني:

كيف نادت الملائكة زكريا عليه السلام وهو قائم يصلي في المحراب، وأجابها وهو في الصلاة ؟

الجواب:

المراد بقوله: يصلي، أي (يدعو).

السؤال الثالث:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسى الذي كان وجوده بكلمة من الله تعالى، وهي (كن) من غير واسطة أب في الوجود، وكان تصديق يحيى بعيسى أسبق من تصديق كل أحد، سواء في الوجود أو الرتبة.

٢ـ وكلمة ﴿مُصَدِّقًا﴾ فيها دليل على أنه سيعيش بمنهج الله، وهو كما قال الله عنه: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: ممنوعاً عن كل ما حُرم عليه أو ممنوعاً عن قمة الغرائز وهي الشهوة، وهو نبي قدوة، أي: من صغره سيحصر نفسه عن ارتكاب الشهوات، واستعملت صيغة (فعول) في قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾ للدلالة على التكثير والمبالغة، مثل: غافر وغفور.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي: النبيل الكريم الوجيه في قومه .

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

الجواب:

لقد دعا زكريا عليه السلام وقام ليصلي وتلقى البشارة بيحيى، وهنا ارتجت الأمور على بشرية زكريا كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾

إنه أدب النبوة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ ولم يقل: بلغت الكبر، بل قال: إنّ الكبر هو الذي جاءني، وقال: ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ وهو تضخيم لطلاقة القدرة عند من يستمع للقصة، لكنْ بعد ذلك يأتي الكلام الفصل بطلاقة القدرة الإلهية ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ .

السؤال الخامس:

ما الفرق بين العقيم والعاقر؟

الجواب:

تشترك الكلمتان (عَقِمَ) و (عَقَرَ) في الحرفين الأولين (العين والقاف) وتختلفان في الحرف الثالث (الميم أو الراء) وكلا الفعلين يدلان على امتناع الحمل أو الإنجاب، لكن انظر إلى لغة العرب:

١ـ العقر: كيف ننطق الراء؟ الفم مفتوح والراء يتكرر، ويقال: لقحت الناقة عن عُقر، يعني ناقة مضى عليها زمن لم تحمل ثم حملت، قالوا هذه عاقر. إذن العقر قد يعقبه حمل، و(عقر) بالراء، والراء أهون من الميم، وليس فيها غلق .

٢ـ العقم: كيف ننطق الميم؟ الميم: الفم مقفل ومجرى النطق الطبيعي أُغلق ، ويخرج الصوت من الأنف غنّة من الأنف.

والعُقم هو الداء الذي لا يُبرأ منه، وكلمة العقم لا نتيجة من ورائه، يقال: رحمٌ معقومة، أي: مسدودة لا تنفتح ولا تلد، ويقال: ريح عقيم لا تلقح سحاباً ولا شجراً ، ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده، لذلك فالعقر يعالج، أما العقم فليس فيه مجال في الإنجاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران:٤٠] لمّا قال: (عاقر)، معناه يمكن أن تحمل. ولمّا دعا الله كان يتوقع أن يستجيب الله تعالى له ، لكنْ مع ذلك لمّا فوجيء بالبشارة صار متعجباً فقال: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم:٥] والعاقر يمكن أن تحمل.

السؤال السادس:

ما المراد في الاستفهام في الآية ؟

الجواب:

المعنى المراد: كيف يكون لي غلام؟ وجاءت الآية من باب التعجب وليس من باب الشك في صدق الوعد، لكنّ الآية لم تستفهم بـ(كيف) الحالية، وإنما استخدمت (أنّى)،

فهل يمكنك أنْ تستخلص معنى المكان الذي وضعت (أنّى) له؟ إنها مكانان وليس مكاناً واحداً، وهما الكِبر وعدم الإنجاب ويتعذر في هذين المكانين الحمل والولادة.

❁❁❁❁

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق التعبيري والبياني بين قصة (زكريا) عليه السلام في سورتي (مريم وآل عمران)، ولماذا جاء في إحداهما (ثلاث ليال) وفي الأخرى (ثلاثة أيام)؟

الجواب:

أولاً ـ الفرق التعبيري والبياني بين القصتين:

آ ـ استعراض الآيات:

آيات سورة آل عمران (٣٨ـ٤١):

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٣٨-٣٩-٤٠-٤١]

آيات سورة مريم (٢ـ١١):

قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ
ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى
وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا
۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ
وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ
خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ
لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم:٢-٣-٤-
٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١].

ب ـ جدول المقابلة بين النصين:

لو نظرنا في سياق الآيات في كل من الموضعين لوجدنا أنّ المقابلة لم تختص بهذا الموطن فقط، وإنما هي ظاهرةٌ أيضاً في مواطن أخرى من النصين، وكأنهما لوحتان فنيتان متقابلتان، وإليك طرفاً من هذا التقابل:

رقم الفرق	سورة آل عمران	سورة مريم
١	﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [آل عمران:٤١]	﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ [مريم:١٠]
٢	﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ﴾ [آل عمران:٤٠]	﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾ [مريم:٨]
٣	﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران:٤٠]	﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم:٨]

٤	﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران:٤١]	﴿أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم:١١]
٥	﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٤١]	﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم:١١]
٦	﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٤١]	—

ج ـ بيان الفروقات في الجدول:

الفرق رقم ٢:

آـ قدم مانعَ الذرية من جهة نفسه في آل عمران وهو الكبر، على مانع زوجه وهو العُقر ، في حين قدم المانع من جهة زوجه في مريم.

ب ـ وذكر في آل عمران أنّ الكبر أدركه وبلغه، فالكبر فاعل كأنه يجري خلفه حتى أدركه وبلغه، في حين ذكر في مريم أنه هو الذي بلغ الكبر فهو فاعل .

وكذلك ذكر في آل عمران أنّ امرأته عاقر، بينما ذكر في مريم أنّ امرأته كانت عاقراً بزيادة لفظ: ﴿وَكَانَتِ﴾ [مريم:٨]

ج ـ ومعنى: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم:٨] معناه: كانت عاقراً ابتداء .

ومعنى: ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران:٤٠] فيها احتمالان: كانت عاقراً سابقاً، أو الآن عاقر وليس قبل.

- الفرقان رقم ٤ و ٥:

قدّم العشي على الإبكار في آل عمران وعرّفهما ، وقدم البكرة على العشي في مريم ونكّرهما.

- الفرق رقم ٦:

في آل عمران طلب من زكريا الذكر والتسبيح ، وفي مريم طلب زكريا من قومه أن يُسبحوا، ولم يذكر أنه طُلِبَ منه ذاك .

ثانياً: لماذا جاء في إحداهما(ثلاث ليال) وفي الأخرى (ثلاثة أيام)؟

إنّ اختيارَ الليلِ في مريم يقتضيه سياقُ القِصَّةِ وجَوُّها، وكذلك اختيارُ اليومِ في آل عمران؛ وذلك للأمور التالية:

آـ قوله تعالى في مريم: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣] حسّن ذكرَ اللَّيلِ، فإنّ خفاء النداء يشبه الخفاء في الليل، وإنّ الليل يخفي ما فيه بخلاف النهار، فإنه يفيد الظهور.

ومّما حسّن ذلك أيضا ذكرُ شيخوخته وضعفه، وهما أشبه شيء بالليل وما فيه من سُبات وسُكون وقلة حركة، وإذا كان لنا أنْ نقابل بين الإنسان والزمان، فإنّ الشباب أشبه شيء بالنهار وما فيه من حركةٍ، وإنّ الشيخوخة والضعف أشبه شيء بالليل وما فيه من سكون، لذلك ذكر شيخوخته ووهن عظمه مع الليل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤] ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ [مريم:٨] والعِتِيُّ المبالغة

في الكبر ويبس العُود، ولم يذكر مع الأيام إلا قوله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران:٤٠]، فما ذكره في مريم أنسب مع ذكر الليل.

ب ـ ثم إنه أشار في مريم إلى طلبه وريثاً يرثه من بعده ويرث من آل يعقوب، والموت ليلٌ طويل وسباتٌ ممتد وفي الأثر: «**النوم أخو الموت**» قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠].

وهذا أقرب إلى الليل وذكره، وألصق به من ذكر النهار، ولم يذكر مثل ذلك في آل عمران.

ج ـ البشارة بيحيى في آل عمران أكملُ وأعظمُ مما في مريم؛ وذلك أنه:

قال في آل عمران: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فوصفه ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مصدقاً بعيسى ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وهو الحاصر نفسه عن الشهوات وعن المعاصي ونبياً من الصالحين؛ لأنه كان من أصلاب الأنبياء.

في حين لم يقل في مريم إلا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٧] ولعظم البشارة وكمالها اقتضى ذلك عِظَمَ الشكر وكماله:

١ـ قال في آل عمران: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [آل عمران:٤١] وقال في مريم: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ [مريم:١٠] واليوم أبين من الليل في ظهور هذه الآية، ذلك أنّ الليل يَمضي كثيرٌ منه في النوم، فزكريا عليه السلام لا بدّ أن ينام

والناس أيضا ينامون، فالتسبيح والعبادة في الليل أقل منه في النهار، ومخاطبة الناس ومخالطتهم فيه أقل، فالآية في اليوم أطول وأظهر .

٢ـ أنه في آل عمران طُلب من زكريا عليه السلام أنْ يذكر ربه ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ في حين طلب زكريا من قومه في سورة مريم أنْ يسبحوا، ولم يذكر أنه طلب منه التسبيح، وتسبيحه هو أدل على شكره .

٣ـ أنه طُلب منه أن يذكر ربه كثيراً ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ وهذا شكر مناسب لعظم البشارة.

٤ـ أنه طُلب منه الجمعُ بين الذكر الكثير والتسبيح ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ﴾ وهذا مناسب لعظم البشارة.

٥ـ لمّا قدّم في آل عمران المانع من جهة نفسه وهو الكبر على المانع من جهة زوجه، وهو العقر فقال: ﴿وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾ ناسب أمره أنْ يقوم هو بالذكر والتسبيح ، ولمّا قدّم في مريم المانع من جهة غيره ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم:٥] أي: أنّ هذا وصفها منذ شبابها، فالعقر وصف مستحكمٌ فيها وليس عارضاً، والولادة في مثل هذا أبعَدُ وأعجَبُ، فناسب ذكر غيره بالتسبيحِ وهم قومه .

٦ـ لمّا ذكر الليل في آية مريم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ﴾ [مريم:١٠] ناسب ذلك تقديم البكرة على العشي؛ لأنه بعد الليل تأتي البكرة ، فأراد ألا يذهب من الوقت شيء في غير الطاعة

والتسبيح، فقال: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم:١١] ،ولو عكسها لكانت البكرة الأولى مضت من دون تسبيح .

ولمّا ذكر اليوم في آل عمران ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ كان تقديم العشي أولى، ولو قدّم البكرة لذهب عشي اليوم الأول من دون ذكر وتسبيح .

٧ـ إنّ البشارة في آل عمرانَ حصلت وهو قائمٌ يصلّي في المحرابِ في حين لم يذكر ذلك في مريم، بل علمنا من فحوى الكلام أنّ البشارة كانت وهو في المحرابِ بدليل قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريم:١١]، ولا يقتضي كونه في المحراب أنه كان يصلي، فذكر في آل عمران الحالة الأكمل التي كان عليها سيدنا زكريا، وهو المناسب لعظم البشارة وكمالها .

٨ـ أنّ البكرة والعشي نكرتان في مريم معرفتان في آل عمران، ويذكر المفسرون أن (أل) تفيد العموم، وقد ورد نحو ذلك في عدة آيات منها:

ـ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ [ص:١٨].

ـ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۝٣٨﴾ [فُصِّلَت:٣٨]، وهذا يدل على العموم والاستمرار. وعلى تطاول مدة الذكر والتسبيح، وهو مناسب أيضا لعظم البشارة .

بينما النكرة ﴿بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ١١﴾ [مريم:١١] تفيد يوماً محدداً، تقول سافرت صباحاً أي: اليوم بالتحديد صباحاً، لكن عندما تقول: أسافر في الصباح: فهذا يدل على العموم والاستمرار.

٩ـ قوله تعالى: ﴿ءَايَةً﴾ [مريم:١٠] أي: علامة، وطلبها زكريا عليه السلام للأمور التالية:

آ ـ للاطمئنان، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة:٢٦٠] .

ب ـ استعجال السرور.

ج ـ طلب العلامة ليتلقى الأمر ويبدأ بالشكر كي يسبق به قبل قدوم الغلام.

والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما الحكمة في طلب زكريا عليه السلام أن يجعل الله تعالى له آية ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ [آل عمران:٤١] ؟

الجواب:

١ـ قد يكون للاطمئنان كما قال سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة:٢٦٠]، فهناك احتمال كبير أنها لاطمئنان القلب، والآية تعني: علامة، وتدل على هذا الأمر ليطمئن قلبي وتثبت قلبي، وليس فيها شيء أنْ يطلب زكريا الاطمئنان كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام .

٢ـ أنْ يتلقى النعمة بالشكر قبل حصول الآية، فيبدأ بشكر هذه النعمة التي سينعم بها الله سبحانه وتعالى على زكريا بأنْ يهب له غلاماً ، وما أراد أن ينتظر إلى حين مجيء الغلام، وإنما أراد أن يسبق هذا بالشكر عند ظهور الآية بمجيء الغلام فيبدأ بشكر الله سبحانه وتعالى ولا يؤخره، فهذه علامة الحصول فيبدأ بالشكر ولا يؤخره إلى حين مجيء الآية، واستعجال السرور أيضاً يريد أنْ يرى التأييد مباشرة حتى تدخل السرور على قلبه.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ في الآية ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ ؟

الجواب:

كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ تحتمل المصدر، أي: ذكراً كثيراً، وتحتمل أنْ يراد بها الزمن الكثير، والتعبير جمع المعنيين في آن واحد .

السؤال الرابع:

ما التسبيح؟ وما فرقه عن الذكر كما في آية طه ٣٣ـ٣٤ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه:٣٣-٣٤] ؟

الجواب:

١ـ التسبيح هو تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به، ويحتمل أنْ يكون باللسان وأن يكون بالقلب .

٢ـ وأمّا الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء، ولا شك أنّ النفي مقدم على الإثبات.

٣ـ الذكر أعم من التسبيح، والتسبيح أخص .

٤ـ (سبحان): هو اسم مصدر، واسم المصدر يكون خالياً من بعض حروف الفعل الأصلي دون تعويض .

* أمثلة لغوية:

آـ سبح تسبيحاً، ومنه (سبحان) ، فقد نقصت باء عن الباء المشددة في الفعل: (سبّح).

ب ـ أعطى إعطاء، ومنه (عطاء)، فقد نقصت الهمزة من الفعل: (أعطى).

ج ـ سلّم تسليماً، ومنه: سلام، فقد نقصت لام من اللام المشددة في الفعل (سلّم).

٥ـ الأفعال: [سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون] تدل كلها على الزمن وعلى الفاعل.

أما (سبحان) فليست مرتبطة بفعل أو زمن، فقد كان التسبيح قبل الخلق، وكان بعده وقبل من يسبح وبعد من يسبح.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى الاصطفاء في الآية ؟ ولماذا كرره في نفس الآية وجاء الاصطفاء الثاني مع كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ دون الاصطفاء الأول ؟

الجواب:

١ـ الاصطفاء: هو الاختيار، وهو مأخوذ من الصفو أو الصافي .

٢ـ هناك في الآية اصطفاءان:

آ ـ الاصطفاء الأول: كان مجرداً من كلمة (على)، وهو إبلاغ جبريل عليه السلام لمريم أنّ الله ميّزها بالإيمان والصلاح والخُلُق الطيب، فدخلت في دائرة المُصطفَين الأخيار، لكنّ هذا الاصطفاء لا يمنع أن يوجد معها في مجال الاصطفاء آخرون، بدليل قول الله في الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران:٣٣] .

ب ـ الاصطفاء الثاني: وأتبعه بـ (على) فهذا خروج للرجال عن دائرة الاصطفاء، فهي مصطفاة على نساء العالمين، فكأنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها هذا الاصطفاء.

السؤال الثاني:

ما الذي تمتاز به (مريم) عليها السلام عن نساء العالمين ؟

الجواب:

١ـ أنها ستلد دون ذكر ، وهذه مسألة لن يشاركها فيها أحد .

٢ـ لنضم هذه إلى قولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ وهذه كلها إيناسات للحدث الذي سيأتي من بعد ذلك، وهو حدث يتعلق بعرضها وعفافها .

ولما لاحظ العابد الذي كان يعيش معها في مجتمعها (يوسف النجار) على مريم علامات الحمل، وهو يعلم من هي مريم، وأنها لم تفارق المحراب طوال حياتها، ولم يردْ

على ذهنه أي تفكير بسوء ، لكنه أراد أن يستفهم عما يراه بأدب ، فسألها: يا مريم أتوجد شجرة بدون بذرة ؟

فردت وقد لقنها الحق سبحانه: نعم ، الشجرة التي أنبتت أول بذرة .

وكأنّ ما تقدم من حيثيات الاصطفاء الأول والاصطفاء الثاني سيتحقق منه القنوت؛ أي العبادة الخالصة الخاشعة، فقال: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:٤٣].

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة (العالمين) في الآية ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣١ .

❁❁❁❁

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ولم يقل: الراكعات، مع أنّ الكلام لمريم عليها السلام ؟

الجواب:

الركوع ليس خاصاً بالمرأة حتى يقول: (مع الراكعات)، ولكنه أمر عام يشمل الرجل والمرأة .

والعرب في الأمور العامة تغلب الذكور، وقيل: المراد بالصلاة في الجماعة في بيت المقدس مع المجاورين له من الذكور دون أن تختلط بهم .

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم السجود على الركوع في الخطاب لمريم؟

الجواب:

١ـ الأحكام تُذكر عموماً للإناث والذكور إلا إذا كان الحكم خاصاً بالنساء، مثل قوله تعالى مخاطباً مريم في سورة آل عمران: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:٤٣] وفي تأخير الركوع هنا دلالة مع أنه يأتي قبل السجود في الصلاة، لأنه تعالى جاء بالكثرة قبل القِلّة؛ لأنّه يوجد في كل ركعة سجدتان وركوع واحد، لذا قدّم السجود على الركوع في الآية.

٢ـ وفي الأحكام: على المرأة الاقتداء بالرجال مع التخفّي.

٣ـ قدّم السجود ، لمعنى أنه الصلاة وأنّ القنوت هو الخضوع والخشوع . فكان التسلسل: الخضوع ثم الصلاة ثم الركوع ، وقد يكون سجودهم مقدماً في دينهم على الركوع .

٤ـ الواو تفيد الاشتراك ولا تفيد الترتيب .

٥ـ أنّ غاية قرب العبد من الله أنْ يكون ساجداً كما جاء في الحديث الشريف «**أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد**»؛ لذلك قدّمه على الركوع.

٦ـ الصلاة تسمى سجوداً كقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٤٠] فيكون المعنى: صلي .

فقوله تعالى: ﴿ٱقۡنُتِي﴾ أي: قومي للعبادة وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ أمر بالصلاة في حال الانفراد، وقوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أمر بالصلاة في الجماعة.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

لماذا في آية آل عمران كان التدرج من الكثرة إلى القلة؟ ولماذا كان التدرج في آية أخرى من القلة إلى الكثرة كما في آية الحج ٧٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ في هذه الآية قال: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ والراكعون مذكّر، وصلاة المرأة في بيتها أكثر، لأنه لمّا قال: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: مع (الرجال في المساجد) وصلاتها مفضولة، ولو صلّت في بيتها لكان أفضل، لذلك لمّا قال: (مع الراكعين) أخّرها وقدّم ما هو أفضل.

٢ـ والرسول ﷺ وجّه بأنْ لا تمنعوا النساء مساجد الله، لكن صلاتها في البيت أفضل.

وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] فبدأ من القلة إلى الكثرة، وهذا بحسب ما يقتضيه السياق.

السؤال الرابع:

وردت كلمة ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ لمريم مرة واحدة في القرآن، فهل تكررت مع غيرها؟

الجواب:

لم تتكرر مع غير مريم عليها السلام ؛ وهناك كلمات عديدة لم تتكرر في القرآن مثل: [الصمد، والنفاثات، والفلق، وغاسق، ووقب، وضيزى]، ولو اقتضى الأمر لكررها.

السؤال الخامس:

ما دلالة جمع المذكر ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

إنّ المخاطَب بهذا الأمر هو مريم ، وكان حريّاً أنْ تخاطبها الملائكة بقولهم: واركعي مع الراكعات، ولا يخفى أنّ في ذلك إشارة واضحة إلى فضل السيدة مريم عليها السلام بالإذن لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء بني إسرائيل إظهاراً لمعنى ارتفاعها عن النساء، وهذا هو السر في مجيء ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ بصيغة المذكر لا المؤنث.

السؤال السادس:

ورد في آية البقرة ١٢٥ ذكر للطائفين والعاكفين والركع السجود، وورد ذلك أيضاً في آية آل عمران ٤٢ وآية الحج [٢٦ و ٧٧] وذكر فيها القائمين لكن مع التقديم والتأخير، فهل من توضيح لهذا الأمر ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الرابع من آية البقرة ١٢٥.

السؤال السابع:

ما الفرق بين الفعلين (قنت) و(قنط) ؟

الجواب:

١ـ (قنت) في اللغة تعني خشع، قال تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:٤٣] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠].

٢ـ أما (قنط) فهي تعني يئس ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:٥٣] .

❀❀❀❀

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما تقدم عن زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام ، وهو من أخبار الغيب فلا يمكنك أن تعلمه إلا بالوحي .

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿أَنْبَآءِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الإنباء هو الإخبار عما غاب عنك ، وهو غير الإيحاء عن طريق الوحي أو عن طريق أمر خفي من إشارة أو غيرها.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ قيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، وكان القراع على أنّ كل من جرى قلمه على عكس جري الماء فالحق معه، فلمّا فعلوا ذلك صار قلم زكريا كذلك ، فسلموا الأمر له، وهذا قول الأكثرين.

وقيل: العصي بدل الأقلام ، وقيل: ما كانت تفعله الأمم من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها أسماءهم ، فمن خرج له السهم سُلِّمَ له الأمر، وهو شبيه بأمر الأقداح التي كانت تتقاسم بها العرب لحم الجزور.

السؤال الرابع:

هل في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حذف ؟ وما تقدير ذاك الحذف ؟

لجواب:

نعم في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حذف، والتقدير: يلقون أقلامهم لينظروا أيهم يكفل مريم، وإنما حسُن ذلك لكونه معلوماً .

السؤال الخامس:

ما سبب الاختصام في الآية ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ اختلفوا في أسباب المنازعة على أقوال:

آ ـ إنّ عمران أباها كان رئيساً لهم ، فلأجل حق أبيها رغبوا في كفالتها .

ب ـ إنّ أمها حررتها لعبادة الله تعالى ولخدمة بيت الله ، فلأجل ذلك حرصوا على التكفل بها.

ج ـ لأنّ بيان أمرها وأمر عيسى عليه السلام كان في الكتب الإلهية، فتقربوا لهذا السبب حتى اختصموا .

والمقصود من الآية بيان شدة رغبتهم في التكفل بشأنها . والله أعلم .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى
ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة، والمسيح مرة، وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب:

لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

١ـ المسيح: ويدخل فيها المسيح، المسيح عيسى بن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه)، واللقب في اللغة يأتي للمدح أو الذم .

٢ـ عيسى ويدخل فيها: عيسى بن مريم، وعيسى (اسمه).

٣ـ ابن مريم (كُنيته) .

الاستعمال القرآني:

١ـ المسيح ليس اسماً ولكنه لقب، وعيسى اسم أي: يسوع ، وابن مريم كنيته، واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم ، والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى)، وليس بلقبه ولا كُنيته.

٢ـ الاسم: (عيسى)، وحيث ورد المسيح في كل السور، سواء وحده أو (المسيح عيسى بن مريم) أو (المسيح بن مريم) لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً، ولم يرد (المسيح بن مريم) في التكليف، وإنما يأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران:٤٥].

ـ ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء:١٥٧].

ـ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة:١٧].

٣ـ وكذلك الكنية (ابن مريم) لم تأت مطلقاً بالتكليف، قال تعالى:

ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٠]

ـ ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٥٧].

أما كلمة (عيسى) في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦] .

ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم:٣٤].

٤ـ مع التكليف أو الثناء يأتي بلفظ (عيسى)، وكلمة (عيسى) عامة، ولا نجد في القرآن كله (آتيناه البينات) إلا مع لفظ (عيسى)، ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح . قال تعالى:

ـ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٦٣] إذن مع التكليف أو الثناء يأتي بلفظ عيسى عليه السلام ، وكلمة (عيسى) عامة .

ـ ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة:١١٢]

٥ـ والنتيجة أنّ (المسيح) ليس اسماً ولكنه لقب، و(عيسى) اسم، أي: يسوع، و(ابن مريم) كنيته ، واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم، و(المسيح) معناها ﴿المبارك﴾، والتكليف جاء باسمه (عيسى)، وليس بلقبه ولا كُنيته.

السؤال الثاني:

من المقصود في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ ؟

الجواب:

ظاهر قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ يفيد الجمع، إلا أن المشهور أن ذلك المنادي كان جبريل عليه السلام.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ لفظة (من) هنا ليست للتبعيض وإلا كان الله متجزءاً متبعضاً حسبما يتوهمه النصارى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما (من) ههنا لابتداء الغاية، وعيسى عليه السلام ليس له أب فصار تأثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر.

السؤال الرابع:

ما الصيغ المختلفة التي جاءت في القرآن مع عيسى عليه السلام ؟ ولماذا قدّم اللقب على الاسم في الآية ؟

الجواب:

(عيسى) هو الاسم، و(المسيح) كاللقب، و(ابن مريم) كنية، وقدّم اللقب على الاسم ليفيد علو درجته كالصدّيق والفاروق، ثم ذكره باسمه الخاص .

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ مع أنّ الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ فذكر الاسم واللقب والكنية (ابن مريم)، فكأنه قيل: الذي يعرف به هو مجموع هذه الثلاثة .

٢ـ قال تعالى: ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ مع أنّ الخطاب مع مريم، لكنّ الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فلمّا نسبه إلى الأم كان ذلك إعلاماً لها أنه محدث لغير أب لبين زيادة فضله وعلوِّ درجته .

٣ـ الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱسۡمُهُ﴾ عائد إلى المسمى، وليس للكلمة المؤنثة ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ﴾ .

السؤال السادس:

ما إعراب كلمة ﴿وَجِيهًا﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَجِيهًا﴾ حال منصوب .

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ مدح عظيم له، وفيه إشارة إلى أنه سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة . والله أعلم .

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ ما كلمات منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني في القرآن الكريم ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني:

١ـ الصوت:

هو أول شيء يخرج من فم الإنسان، وهو أقل من حرفين كالأنين والبكاء والعواء وغيره.

٢ـ اللفظ:

إذا كان الصوت مسموعاً ومؤلفاً من حرفين يُسمى لفظاً، نحو: من ـ عن ـ لن.

٣ـ النطق:

عندما يكون اللفظ مكوناً من كلمة فهو نطق. النمل ١٦.

٤ـ الكلام:

هو لعدة كلمات، كما في آية آل عمران ٤٦ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾

٥ـ الحديث:

إذا كان الكلام طويلاً وله موضوع محدد يُسمى حديثاً[النساء ٧٨ـ الزمر ٢٣].

٦ـ القول:

إذا تخلل الحديث عبارات قوية تحمل نظرية أو قاعدة تلفت الانتباه فيتعلم الناس منها جديداً يُسمى قولاً.

فالقول أهم ما في الحديث، والحديث أهم ما في الكلام، والكلام أهم ما في النطق، والنطق أهم ما في اللفظ، واللفظ أهم ما في الصوت .

وفي القرآن وصف الله القول بصفات عديدة منها:

﴿قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء:٩] ﴿قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [الإسراء:٤٠] ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣]ـ ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء:٢٨] ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزّمل:٥].

٧ـ المتشابه:

هو القول الذي يعطي أكثر من معنى بحسب اختلاف السامع وثقافته واختصاصه، وبحسب اختلاف الزمن، وفي القرآن تشابه لفظي ومعنوي وإعجازي ومعرفي وعلمي، وهو لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة.

* شاهد قرآني أول:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] المَيْتُ - بتسكين الياء- هو من مات فعلاً.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمَر:٣٠] الميِّتُ - بتشديد الياء- هو الذي مآله إلى الموت.

شاهد قرآني آخر:

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الأنعام:٩٥] بالصيغة الاسمية.

﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [يونس:٣١] بالصيغة الفعلية.

والفرق بينهما هو الفرق بين حبة الحنطة المستمرة بالتناسل، وحبة الحنطة التي نطحنها ونصنعها دقيقاً.

٨ـ المثاني:

قيل من الثناء أو ما يُثنى عليه، وقيل: من التثنية بتكرار القراءة، وسميت الفاتحة بالسبع المثاني .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ الكلام هو اللفظ ، والمهد هو فراش الوليد .

ونبي الله عيسى، وهذا اسمه، وابن مريم كنيته، والمسيح لقبه، وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، كان ميلاده خاصاً وفيه ضجة، وبعض بني إسرائيل اتهموا أمّه البتول الطاهرة في عِرضِها وكرامتها وشرفها، فكان الواجب أنْ تأتي آية تمحو عجب الناس وهم يرون امرأة تلد بدون أب أو زواج ، لذلك جاء كلام عيسى وهو طفل رضيع فتكلم بكلام الحق، وكان الواجب على بني إسرائيل أنْ يحفظوا كلام هذا الطفل ويتداولوه بين الناس ويرددوه في أنفسهم .

٢ـ وأول كلمة نطق بها عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠] ليؤكد بشريته، لكنّ النصارى أخفوا هذه المسألة كلها؛ لأنّ هذه المسألة تنقض القضية التي يريدون أن

يضعوا فيها عيسى عليه السلام، وهي ادعاؤهم أنه ابن الله أو هو الإله، وتنقض كل الأساس الذي بنوا عليه دينهم الحالي الباطل.

٣ـ وكلمة ﴿وَكَهْلًا﴾ تفيد أنه سيتكلم وهو كهل، عندما ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمن فيضع الجزية ويقتل الدجال ويحكم بالإسلام . علماً بأن عيسى عليه السلام رُفع وهو ابن ٣٣ سنة، فلم يبلغ سن الكهولة .

٤ـ إنّ كلام عيسى عليه السلام في المهد لم يكن باختياره، وكلامه وهو كهل سيكون بالوحي، أي ليس له اختيار فيه أيضاً .

٥ـ أما قوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فمقصود بها عمله، أي: الحركة السلوكية، فلا يكفي التبليغ، بل لا بد من السلوك الإيماني .

السؤال الثالث:

إن قيل: أي معجزة لعيسى عليه السلام في تكليم الناس كهلاً ؟ وما تفيد كلمة ﴿وَكَهْلًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ أي أنه يكلم الناس بكلام الأنبياء بين حالتي الطفولة والكهولة، وهذا خرج مخرج البشارة لمريم، أي: أنه عليه السلام سيبقى إلى زمن الكهولة، فهو بشارة له بطول عمره .

٢ـ كلمة ﴿وَكَهْلًا﴾ تبين أنّ الزمن يؤثر فيه فينقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً كما يدعون لم يجز عليه التغيير.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران ٤٧: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وقال في الآية٤٠: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ فلماذا جاءت (كذلكِ) الأولى بالكسر؟

الجواب:

١ـ (كذلكَ) بالفتح هو في الأصل لمخاطبة المذكر، وقد تستعمل عامة ، لكنّ الأصل أن يقال (ذلكَ)- بفتح الكاف- للمخاطب المذكر، و(ذلكِ) للمخاطبة، و(ذلكما) للمثنى، و(ذلكنّ) لجمع المؤنث، و(ذلكم) لجمع المذكر.

قال الشاعر: (قد ظفرتُ بذلكِ) وهو يخاطب المرأة.

٢ـ (ذا) اسم الإشارة للمشار إليه، والكاف للمخاطب، (ذلكَ) المخاطب رجل، و﴿ذلكِ﴾ المخاطب أنثى، وليس له علاقة بالمشار إليه نفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] المخاطب جمع النسوة، (ذا): اسم الإشارة ليوسف، و(لكنّ) لمجموعة النسوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] . (ذان) اسم إشارة.

لذلك فإنّ أسماء الإشارة هي التي تتغير، أما الكاف فهي للمخاطب نحو: (أولئكَ رجال) المخاطب واحد.

وقد تستعمل الكاف المفتوحة للجمع، لكن إذا أراد أن يخصّص يستعمل الكاف المفتوحة (ذلكَ) للمخاطب المفرد، و (ذلكِ) بكسر الكاف للمخاطبة المفردة ، وليس لها علاقة بالمشار إليه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ٤٧ : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ لِمَ عبّر الله تعالى عن تكوين عيسى بالفعل ﴿يَخْلُقُ﴾ بينما عبّر عن تكوين يحيى عليه السلام بالفعل ﴿يَفْعَلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن تكوين عيسى عليه السلام بالفعل (يخلق)؛ لأنه إيجاد كائن من غير الأسباب المعتادة، ولو كان بالوسائل المعتادة لأورد الفعل (يفعل) أو (يصنع) كما في الآية السابقة رقم ٤٠ في جواب الملائكة لزكريا ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ؟

الجواب:

إنها طلاقة القدرة، وهي لا تتوقف على ذكورة وأنوثة؛ لأنّ الله تعالى قادر على أن يخلق دون ذكورة وأنوثة كخلقه آدم عليه السلام ، ويخلق الله سبحانه بواحد منهما كخلقه سبحانه لحواء وخلق عيسى عليه السلام ، ويخلق الخالق الأعلى بالذكورة والأنوثة، وهذه تتضح في خلق جمهرة الناس.

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ
وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى
بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الآية ٤٨؟

الجواب:

معنى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أنّ الحق قد علّمه ما نزل قبله من زبور داود ومن صحف إبراهيم ، وبعد ذلك توراة موسى الذي جاء عيسى مكملاً لها .

وبعض العلماء قالوا: أُثر عن عيسى عليه السلام أنّ تسعة أعشار جمال الخط كان في يده ، وبذلك يمكن أن نفهم ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القدرة على الكتابة . والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة ذكر المعجزات لعيسى عليه السلام في الآيتين ٤٨و ٤٩ ؟

الجواب:

١ـ دلّ القرآن على أنّ عيسى عليه السلام إنما تولد بقدرة الله من نفخ جبريل عليه السلام في مريم ، وجبريل عليه السلام روحٌ محضٌ وروحاني محض، فلا جرم كانت

نفخة عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ هي للحياة والروح بإذن الله تعالى .

٢ـ كما ذكر القرآن معجزات أخرى لعيسى عليه السلام، وهي: إبراء الأكمه وهو الذي ولد أعمى ، إحياء الموتى ، إبراء الأبرص ، الإخبار عن ﴿بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾

٣ـ وختم عيسى كلامه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران:٤٩] وكأنه يقول إنّ هذه الآيات هي بإذن الله تعالى وإنّ هناك قوة أعلى قاهرةعليكم الإيمان بها، وهي قوة الله تعالى.

السؤال الثالث:

ما معنى (الخلق) في الآية الكريمة؟

الجواب:

الخلق له معانٍ، وقد ينسب إلى الإنسان، تقول: خلقت هذا الشيء، كما قال عيسى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ ويأتي أيضاً بمعنى التصوير.

السؤال الرابع:

كيف أحيا عيسى الموتى مع أنّ الشهيد يطلب العودة ليقتل في سبيل الله فلا يؤذن له؟

الجواب:

عيسى عليه السلام ما أحيا الموتى من عند نفسه، والله سبحانه وتعالى لا يعيد الميت إلى حياته في الدنيا، لكن هذه معجزة.

والله سبحانه وتعالى لا يجعل العصي أفاعي ، لكنه جعلها أفعى معجزة لموسى. والله سبحانه وتعالى لا يجعل الشجرة تمشي، لكنه جعلها تمشي وتأتي إلى الرسول ﷺ وهذه معجزة .

ولذلك عندما ننظر في الآية ٤٩ من سورة آل عمران ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ يقول تعالى على لسان عيسى قال: ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ما قال: (من عندي)، وهي علامة وأمارة على صدق نبوته، وقال: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ فالله سبحانه وتعالى يعطّل قوانينه لأجل الأنبياء.

ألم يعطل إحراق النار لإبراهيم؟ النار تحرق وهذا قانون، لكنّ الله عطّل القانون لإبراهيم عليه السلام.

السؤال الخامس:

ما الفروقات بين آية آل عمران ٤٩ وآية المائدة ١١٠، علماً أنّ سياق الآيتين في معجزات عيسى عليه السلام ؟

الجواب:

١ ـ الفرق الأول: ﴿بِإِذْنِيۖ﴾ [المائدة:١١٠] و ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:٤٩] وصيغة الأفعال ﴿فَأَنفُخُ﴾ [آل عمران:٤٩] و ﴿وَأُبْرِئُ﴾ [آل عمران:٤٩] ﴿فَتَنفُخُ﴾ [المائدة:١١٠] ﴿تَخْلُقُ﴾ [المائدة:١١٠]. وبيان ذلك:

آـ الكلام كان عن سيدنا عيسى عليه السلام في الآيات ٤٥، وحتى الآية ٤٨، ثم جاءت الآية ٤٩ ، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ يعني أن عيسى عليه السلام هو الذي سيقول هذا الكلام؛ أي: (حكاية حال ماضية) في الماضي .

فإذن الذي بدأ يتكلم الآن هو سيدنا عيسى عليه السلام، فقال: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ ما هذه الآية؟ بيان هذه الآية هو على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فتناسب هذه الآية قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ يعني (أنا)؛ لأنه يتكلم عن نفسه، وناسب قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ حيث ردّ الأمر إلى فاعله الحقيقي، وهو الله سبحانه .

ب ـ في آية سورة المائدة رقم ١١٠ الكلام هنا من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ

وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

الكلام مع عيسى عليه السلام، وليس على لسانه فقال: ﴿تَخْلُقُ﴾، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾، ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ والكلام من الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام فقال: ﴿بِإِذْنِى﴾.

٢ ـ الفرق الثاني: في استعمال الضمير (فيها) ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ و(فيه) ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ وبيان ذلك:

آ ـ الخلق بمعنى التكوين أو الصنع من مواد أولية كان الله سبحانه وتعالى قد جعلها بين أيدينا، وأمّا الإيجاد فعلى غير مثال سابق، وهذا لله سبحانه وتعالى من غير شيء.

ب في آية آل عمران هذا كلام عيسى عليه السلام ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا﴾ هنا ﴿فِيهِ﴾ أي: في هذا الطين، وعيسى عليه السلام ذكر أصل التكوين؛ حتى يذكرهم أنّ هذا (طين) جعل منه طيراً، ثم قال: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في هذا (الطين) الموجود بين أيديكم.

ج ـ آية المائدة كانت في تعداد نعم الله عز وجل على عيسى عليه السلام، ولذلك جاءت ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: اذكر هذا واذكر هذا، وجاء التأنيث لأن التأنيث أصلح للتعدد،

وعندما تقول لغير العاقل: الشجرات (فيها)، يعني متعددة، كأن الهيئة صارت أكثر من حالة، فهي إذن في مجال بيان تعداد نعم الله سبحانه وتعالى عليه فاختار التأنيث؛ لأن التأنيث أليق مع جمع غير العاقل.

د ـ من حيث اللغة، الأصل أنه إذا نظر إلى (الهيئة أنّث)، وإذا نظر إلى (الطين ذكّر)، فمرة نظر إلى الهيئة ومرة نظر إلى الطين ، لكن الذي قوّى اختيار النظر إلى الهيئة أنّ ضمير المؤنث يشار به إلى المتعدد ، فجاء بضمير المؤنث في موضع تعداد النعم؛ لأنّ فيه تعداداً للنعم فاختير التأنيث.

٣ ـ الفرق الثالث: تكرار ﴿إِذْ﴾ تكررت في آية سورة المائدة، ولم تذكر في آية سورة آل عمران؛ لأنه في المائدة كان هناك تعداد لِنعم الله سبحانه وتعالى عليه، أمّا في آل عمران فما كان هناك نوع من التعداد للنعم، وإنما كان نوع من بيان حال عيسى عليه السلام وهو يتكلم .

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لِمَ خصّ الله تعالى معجزة عيسى عليه السلام بشفاء هذه الأمراض؟

الجواب:

إنك لو عدت إلى التوراة لوجدت اهتماماً بالغاً في أحكام الأبرص الذي أطال في بيانها بعدما وصفه الوحي لموسى عليه السلام، وكيف يمكن علاجه، فجاءت هذه

المعجزة فائدة لهم في دينهم ودنياهم، ودليلاً آخر على فقه عيسى عليه السلام بالتوراة وأحكامها.

السؤال السابع:

هناك أربعة مدلولات لفظية في هذه الآيات تنزّه الله تعالى وتثبت صفاته وتنفي ألوهية عيسى عليه السلام كما يدّعيها البعض، فما هي ؟

الجواب:

هذه الآية حملت تنزيهاً كاملاً لله تعالى وإثباتاً لصفاته ونفياً أن تكون هذه الأفعال لعيسى عليه السلام بأربعة مدلولات لفظية هي:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم﴾ فكونه عليه السلام رسولاً يقتضي مرسِلاً، فعيسى عليه السلام هو مرسَل وليس مرسِلاً، فإذا كان مرسَلاً فلا بد أن يكون هناك من أرسله وهو الله تعالى، إذن كل الأفعال التي تؤيد صدق الرسالة لا بدّ أن تكون ممن أرسله لا من الرسول نفسه، والمعجزات التي صاحبت عيسى عليه السلام هي من قِبل الله تعالى، وليست من نفسه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية هي المعجزة والعلامة والبرهان، فالذي جاء به عيسى عليه السلام هو آية من الله تعالى؛ لذا قال: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ واختيار لفظ (من ربكم)؛ ليستثير الإيمان فيهم ونوازع اليقين .

ونلاحظ الفرق بين استعمال كلمة (ربكم) في هذه القصة واستعمال كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٦٧] في قصة موسى مع بني إسرائيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة:٦٧]؛ وهذا

لأنّ بني إسرائيل يميلون إلى التكذيب والاعتراض، لذا جاءت الآيات كلها تشير إلى أنّ الأمر من الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة:٦٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ نقلت الفعل من دائرة الإمكان بالنسبة لعيسى إلى دائرة القدرة والاستطاعة لله تعالى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وفيها تكرير قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لتنسب الفعل إلى الله تعالى، وهذا يدل على أنّ المعجزات كانت من قبل الله تعالى، وليس من قِبل عيسى عليه السلام.

السؤال الثامن:

ما الفرق بين المعجزة والكرامة والخارقة؟

الجواب:

أولاً ـ المعجزة:

هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على أيدي الأنبياء إذا أرسلهم لأحد من خلقه، وشرحها علماء التوحيد بأنها: أمر خارق للعادة يقترن بدعوى النبوة. وللمعجزة شروط هي:

١. أنها قد تتكرر وتكون مصاحبة لدعوة النبوة.

٢. ومن شروطها أن يبيّن النبيُّ مَن فعل هذه المعجزة وينسبها لله تعالى، وكل الأنبياء في القصص القرآني نسبوا المعجزات إلى الله تعالى ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾

[الشمس:١٣] ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف:٩٨] ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢] ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، وفي قصة الإسراء والمعراج قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] .

٣. والشرط الأخير أن تكون المعجزة من جنس ما برع به القوم في زمن النبي الذي تجري المعجزة على يديه؛ (بنو إسرائيل اشتهروا بالسحر في زمن موسى عليه السلام، وفي زمن عيسى عليه السلام اشتهروا بالطب، وفي زمن محمد ﷺ اشتهر العرب باللغة وبرعوا فيها، فكانت معجزات الأنبياء من جنس ما برع به القوم) .

ثانياً ـ الكرامة:

وهي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على أيدي الأولياء، لكن لها مواصفات:

١ـ وهي أنّ الوليّ لا يستطيع تكرار هذه الكرامة؛ لأنها لا تقترن بدعوى نبوة.

٢ـ ثم إنّ الكرامة تثبيت للولي، وليس للناس كما في حال المعجزة .

٣ـ والوليّ يستحي من إظهار الكرامة، وإذا ظهرت نبّه الناس إلى فاعلها الحقيقي، وهو الله تعالى.

٤ـ ثم إنّ الولاية تترتب على الايمان الذي هو في القلب، ولا يعلمه إلا الله تعالى ، فالكرامة تُمنح ولا تُطلب.

ثالثاً ـ الخارقة: وهو أمر خارق للعادة يجريه الشيطان على أيدي أوليائه نحو (المعالجة بالإيحاء)، كما قال تعالى في قصة موسى مع فرعون: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦] وهذه الخارقة أو المعالجة بالإيحاء يستخدمها الأطباء في هذا العصر من باب

الطب الحديث لشفاء المرضى، بحيث يستثيرون قوة المناعة في الجسد، ولعلّ من أمثلة هذه الخوارق ما نراه في الهند من الذين يعبدون البقر ويمشون على النار أو على الماء، فهذا مما يجريه الشيطان على أيدي أوليائه.

السؤال التاسع:

قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ ما معنى الخلق ؟ وهل هناك خالق غير الله تعالى؟

الجواب:

١ـ الخلق يأتي بمعنيين في القرآن الكريم:

آـ أولهما: الخلق بمعنى (التصرف والإيجاد المطلق)، وهذا لله تعالى فقط، والإيجاد من عدم هو فعل الله تعالى فقط ، كما خلق تعالى آدم وخلق الماء والروح والتراب وكل الموجودات في الكون.

ب ـ وثانيهما: الخلق بمعنى (التصرف والإيجاد المقيّد)، وهذا للبشر؛ لأنه يخلق من موجودات في الكون، وخلق البشر هو عبارة عن تصوره لشيء ثم يخلق هذا الشيء من خامات موجودة فعلاً.

٢ـ والفرق بين خلق الله تعالى المطلق وخلق البشر المقيّد هو:

آـ أنّ الله تعالى يخلق من عدم، أمّا البشر فيخلق من خامات موجودة في الكون.

ب ـ أنّ خلق الله تعالى يتكاثر؛ لأنّ الله تعالى خلق الكائنات وأوجد لها القدرة على التكاثر (تكاثر فردي كالخلايا، وتكاثر زوجي، وغير ذلك)، أمّا خلق الإنسان فليس له

قدرة على التكاثر بنفسه، والاستنساخ لا يعتبر خلقاً وإنما هي خلية تتكاثر، والله تعالى هو الذي أعطى هذه الخلية القدرة على التكاثر، وليس البشر.

ج ـ خلق الله تعالى له القدرة على النمو، فيخلق الإنسان طفلاً ثم يكبر فيصبح شاباً ثم يشيخ ويهرم ثم يموت ، فله عمر محدد وأجل مسمى، أمّا خلق البشر فليس له هذه القدرة على النمو، وليس له عمر.

فكلمة (خلق) تطلق على معنى عام، وهو الخلق من عدم، وهذه قدرة الله تعالى وحده. وتطلق على معنى خاص، وهو خلق الإنسان المحدود، وهو ليس من عدم، وليس له قدرة على التكاثر ولا النمو.

٣ـ الله تعالى لديه ما يسمى بـ (الحياة)، وهي تحويل الكائن المادي الصامت الميت إلى حيّ ينمو ويتكاثر، أمّا الإنسان فيخلق تمثالاً، أي: الهيئة فقط ، ولهذا قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ في هذه المرحلة الأولى خلق عيسى عليه السلام هيئة الطير ولم يخلق طيراً، وهذه الهيئة صارت طيراً بإذن الله في المرحلة الثانية ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فسميّ طيراً لمّا نفخت فيه الروح بإذن الله تعالى.

٤ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار:٦-٧] خلق تعالى الإنسان أولاً على شكل هيئة، ثم سواه ثم عدله بكل الوظائف الحيوية، وبقي أنْ يجعله في الصورة المناسبة التي اختارها الله تعالى له فقال: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٨] فنحن الصور، والإنسان الحقيقي هو من أسرار الحياة التي أودعها الله تعالى في الكائنات.

٥ـ والذي يموت تكون جثته هي صورة الإنسان، أمّا الإنسان الحقيقي فيصعد إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران:١٦٩]هؤلاء الشهداء والمؤمنون أحياء عند ربهم يرزقون، والكافرون أحياء عند ربهم، لكنهم لا يرزقون، وإنما يعذبون بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر:٤٦]ونحن نرى أجساد الفراعنة محنطة في المتاحف أمامنا، فالجسد يمر بمراحل تكوينية طينية ثم تعود للتراب، أمّا الإنسان الحقيقي فهو عند الله تعالى.

٦ـ فالهيئة هي الشيء الذي يمكن للإنسان أن يعمله، وتحتاج إلى خلق ، لكنه مقيّد على قدرة الانسان، وأودع الله تعالى العقل البشري القدرة على الاستنتاج، أمّا الجنّ وباقي المخلوقات فليس لها قدرة على الاستنتاج، والعلم عند الإنسان تراكمي يمكنه من أن يصنع الشيء من مشاهداته (كالسيارة والطائرة والغواصة) . والله أعلم .

السؤال العاشر:

ما الفرق بين الأفعال: خلق ـ جعل ـ فطر؟

الجواب:

خلق:

له دلالتان:

آ ـ إنشاؤه على مثال أراده ربنا فأبدعه سبحانه: الخلق الابتدائي، فيكون خاصاً به سبحانه وتعالى.

ب ـ بمعنى التقدير والتصوير، وهذا ليس خاصاً بالله فقط بل مع البشر.

* شواهد قرآنية:

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤].

قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [آل عمران:٤٩] على لسان عيسى عليه السلام.

في خطبة الحجاج: (ولا أخلق إلا فريت).

جعل:

هو ملابسة بشيء آخر بحالة من الحالات، وتكون الحالة مفعولا به ثانياً، كأنْ يكون معه أو به أو له أو فيه.

* شواهد قرآنية:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء:٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ [الأنبياء:٣١].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًاۖ﴾ [الأنبياء:٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ﴾ [الإسراء:١٢].

فطر: هو ابتداء الشيء، وهذا خاص بالله تعالى.

* شواهد قرآنية:

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفًاۖ ﴿٧٩﴾﴾ الأنعام.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ؟

الجواب:

في هذا الجزء من الآية تمثيل جميل لحاله المسبق، فإنك تعلم أنّ معنى ما بين يديّ أي ما تقدم قبلي، ولكنّ الغريب في هذا الأمر أنّ الكلام يُفهم منه أنه ذو عهد قريب بنزول التوراة، والمعلوم أنّ بين عيسى عليه السلام ونزول التوراة أزمنة طويلة، لكن استطاعت هذه الصورة أنْ تدل على اتصال العمل بأحكامها حتى مجيء عيسى عليه السلام، فكأنها لم تسبقه بزمن طويل.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الحكمة من زيادة ﴿هُوَ﴾ في آية الزخرف ٦٤ دون آل عمران ٥١ ومريم ٣٦ ؟

الجواب:

١ـ الضمير (هو) هو ضمير الشأن، وهو يستعمل للتوكيد .

٢ـ في سورتي آل عمران ومريم تقدم من الآيات الدالة على توحيد الرب سبحانه وقدرته وعبودية المسيح عليه السلام له ما أغنى عن التوكيد .

بينما في الزخرف لم يتقدم مثل ذلك، فناسب توكيد انفراده بالربوبية وحده .

❁❁❁❁

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين آية آل عمران ٥٢ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وآية المائدة ١١١ ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ آية آل عمران ٥٢:

آ ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ﴾ كلمة (منهم) إشارة إلى بني إسرائيل، بعد أن كلّمهم ودعاهم وأظهر لهم المعجزات وطالبوه بإحياء الموتى وإبراء الأكمه وإبصار الأعمى، وبعد كل هذه المعجزات يفترض من الإنسان أن لا تأخذه العزة بالإثم، وهذه معجزات ملموسة ومشاهدة من قبل مئات من الناس وليس شخصاً واحداً، ومع ذلك كفروا به وقالوا: هذا سحر، وأنت ساحر، والسحرة يفعلون هذا، فأحسّ عيسى عليه السلام منهم الكفر .

ب ـ وعند ذلك توجّه إليهم بالدعوة وبالسؤال: من يناصرني إلى إبلاغ دين الله عز وجل هذه الشريعة؟ والنصرة تقتضي الجمع ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ قال الحواريون:

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ وكان يمكن أن يكتفوا بقول: ﴿نَحْنُ﴾ وإنما أرادوا أنْ يوضحوا ويبينوا بقولهم نحن أنصار دين الله، فقولهم: أنصار الله، فيه بيان وتأكيد.

والحواريُّ في اللغة هو بمعنى المنقّى المصفّى من الشوائب، كالثوب الأبيض.

ج ـ قولهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ؛ لأنه سألهم من أنصاري إلى الله؟ فقالوا: آمنا بالله الذي تدعوننا لنصرة دينه ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ بصيغة فعل أمر لعيسى عليه السلام بمعنى: (اشهد) علينا أننا مطبقون لشرع الله ولهذا الإيمان، والإيمان لا يظهر في القلب، لكن يصدّقه العمل ، والإسلام تطبيق عملي، فنحن نطبق الإيمان عملياً.

د ـ الآيات تضمنت تأكيدات: ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ، ﴿بِأَنَّا﴾ .

و(أنّ) للتوكيد فيها معنى الضم، فقلّل التوكيد حتى يتوصل إلى الإدغام الموحي بصورة الجمع(أنّا) ، ولم يقل: (بـأننا)؛ لأن فيها تفريقاً؛ لأن أصلها (أنّ، والتحقت بها: نا).

وعندنا في اللغة الأحرف المشبهة بالفعل نحو: [أنّ، كأنّ، لكنّ] .

والحرف (إنّ) منتهٍ بنون مشددة، وعندما تلتحق بها (نا) التي هي للمتكلمين أو المعظِّم لنفسه يكون عندنا (ثلاث نونات)، فأحياناً العرب يخففون بحذف إحدى النونين، فيقولون: [إنّي وإنّك] فهنا يوجد حَذف ؛ لأنّ التوكيدات كثرت فخفّف التأكيد، ويُتوصّل عن طريق هذا إلى الإدغام المشعِر بهذا الالتصاق بين أنصار الله، لذا قال: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ولم يقل: (بأننا)؛ لأنّ الصورة صورة مناصرة، ويراد لها صفّ واحد وقربٌ والتصاق.

٢ـ آية المائدة ١١١:

آـ الكلام فيهاعلى الإيمان، وهو إلهام الله عز وجل لهذه الصفوة أنْ تؤمن، وهذه الآية ليس فيها تأكيدات؛ فحوفظ على (إنّ) كاملة حتى يكون فيها التأكيد لإسلامهم مع ضمير المتكلم (نا)، وقوله: ﴿بِأَنَّنَا﴾ آكد من (أنّا) من حيث التأكيد.

ب ـ وقوله: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ فيها التفات؛ لأنه قال: ﴿ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ ولم يقولوا: (مؤمنون)؛ لأنّ الإيمان لا يظهر، وعيسى عليه السلام يحتاج لمن يظهر له علامة الإيمان، وعلامة الإيمان التطبيق (الإسلام)، والنبي يريد منهم أنْ يظهروا إسلامهم، أي: اشهد أننا مطبقون لهذا الإيمان؛ لأنّ الإيمان يكون ضمناً.

السؤال الثاني:

في سورة الصف قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ [الصف:١٤] وفي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وعيسى ينسب النصرة إليه، وهم يقولون: نحن أنصار الله مباشرة، فما دلالة هذا؟ وما الفروق بين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في سورة الصف: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] بعد أنْ شوّقهم لذكر التجارة، هو من باب الأمر والتكليف، وليس من باب الاختيار والمندوب.

وفي قوله: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ طلب للفعل وليس طلباً للقول، وهذا مناسب لتأنيبه لمن قال ولم يفعل ، كما جاء في أول سورة الصف .

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ، وله معنيان:

آ ـ أنا أنصر الله وأنصر دينه ، فمن معي في نصرة دين الله.

ب ـ إنّ الله ينصرني ويؤيدني ، فمن يكون معي في نصرة الله إياي .

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧] قد جمع المعنيين السابقين.

٤ـ إنّ الذي قال للحواريين: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ﴾ هو عيسى عليه السلام ، وأمّا القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فهو الله؛ ليدل ذلك على عظم التبليغ للمؤمنين وأهميته.

٥ـ المراد من قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: نحن أنصار دين الله وأنصار أنبيائه؛ لأنّ نصرة الله تعالى في الحقيقة مُحال .

٦ـ وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي فيما يقرب إلى الله ،وهو كما يقال: اللهم منك وإليك .

٧ـ قوله تعالى على لسانهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقولوا: (نحن أنصارك) لأنّ الصيغة الأخيرة متعلقة بوجوده، فإذا ذهب انفضوا، ولم يقولوا: (سنكون أنصار الله)، بل قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: نحن أنصاره الآن، ولذلك قال: ﴿فَأَيَّدْنَا﴾؛ وذلك لأنهم قاموا بالنصرة فعلاً فاستحقوا التأييد، وجاء بالفاء الدالة على التعقيب ولم يقل: (ثم أيدنا) الدالة على التراخي.

لذلك فإنّ الصيغة الأولى ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ تدل على الإطلاق، أي: أنهم مع نصرة دين الله سواء كان عيسى عليه السلام موجوداً أو غير موجود.

٨ـ قال: ﴿فَأَيَّدۡنَا﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه؛ ليدل على أنّ التأييد منه سبحانه فقط .

والتأييد يحتمل أمرين: التأييد بالحجة فأصبحوا ظاهرين في حجتهم، ويحتمل التأييد بالسيف والغلبة، أي: غالبين.

٩ـ وعيسى عليه السلام لم يسألهم: من أنصار الله؟ بل سألهم ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ لأنهم كلهم سيقولون ذلك بالإيجاب .

١٠ـ قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ تفيد: من يضيف نصرته إلى نصرة الله إياي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ [النساء:٢] أي: مضمومة إلى أموالكم.

وفي الحديث كان ﷺ يقول إذا ضحّى:« **اللهم منك وإليك**» أي: تقرباً إليك.

وقال الحسن: تقدير الآية: من أنصاري في سبيل الله؟ و(إلى) بمعنى (في) جائز.

١١ـ الحواري أصله من الحَوَر، وهو شدة البياض، والحواريون كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه والمخلصين في حبه، وقيل: كانوا قصّارين يبيضون الثياب، وقيل: لأنّ قلوبهم كانت نقية طاهرة ، فسموا بذلك مدحاً لهم.

١٢ـ لقد طلب الله من المؤمنين عامة على مر الزمان أنْ يكونوا كالحواريين، ولذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف:١٤] ولم يقل: يا أصحاب محمد، ولم يقل: كونوا أنصار محمد؛ وذلك ليشمل الطلب عموم المؤمنين، ولئلا ترتبط النصرة بشخص النبي محمد ﷺ.

١٣ـ قول عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلماح إلى أنّ رسالته منقطعة، فإنه أضاف الأنصار إليه، وهذا يدل على أنه بعد توفيه ستنقطع نصرته.

وأمّا قول الله للمؤمنين: ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] فيدل على أنّ الرسالة دائمة غير منقطعة؛ لأنّ الإضافة إلى الله لا إلى شخص معين.

١٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف:١٤] متناسب مع النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف:١٤] فدخلوا في التأييد.

١٥ـ ثم إنّ بشارة المسلمين أعظم، فإنه قال في أتباع عيسى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤] فخصّ ذلك بالتأييد على العدو، وقال في المسلمين: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف:٩] وإظهار الدين إنما يكون بظهور معتنقيه، وزاد لهم النصر والفتح القريب.

١٦ـ من الملاحظ أنّ عيسى لم يعد أتباعه بشيء، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر والفتح القريب.

١٧ـ طلبُ عيسى النصرةَ في هذه الآية ونسبته إلى أمه في مكان آخر من السورة يدل على أنّ عيسى عليه السلام بشر وليس ابناً لله، تعالى الله عن ذلك.

١٨ـ ابتدأت سورة الصف بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف:٤] واختتمت بقوله: ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف:١٤] ممّا يدل على أنّ عاقبة الجهاد تأييد الله ونصره ، فارتبط أول السورة بآخرها أحسن ارتباط.والله أعلم .

السؤال الثالث:

هل قالوا فعلاً هذا الكلام؟

الجواب:

هم قالوا مدلول هذا الكلام؛ لأنّ ربنا سبحانه وتعالى حتى لو كان الكلام بغير لسان العرب يترجم أدق الترجمة لكن بأسلوب معجز، وهم لم يتكلموا العربية ، فربنا نقل عنهم معنى الكلام تماماً بأسلوبه المعجز كما قالوا، وهذا ما حدث بالفعل، لكنّ الله تعالى نقله لنا بأسلوب معجز.

❀❀❀❀

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المكر في هذه الآية ؟ ولماذا سماه الله تعالى المكر؟

الجواب:

المكر في اللغة معناه التدبير، أنْ يدبر الشيء ويرتبه. كما قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ هم دبروا والله عز وجل يدبّر وهو خير المدبرين.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما طبيعة وفاة عيسى عليه السلام في هذه الآية ؟ كيف يتوفاه الله تعالى مع أننا نقول: أنه حيٌّ لم يُتوفَّ؟

الجواب:

١ـ قبل أن نخوض في مسألة عيسى عيه السلام نحتاج إلى تلخيص موجز جداً فنقول: إنّ الحياة هي وعاء للروح، هذا الوعاء ينكسر بالموت أو القتل، فإذا انكسر الوعاء توفيت الروح أو قُبِضت، وهذه هي الصورة الأولى لانكسار الحياة، والحياة غير الروح، فأنْ يكون الشيء حيّاً ليس شرطاً أن تكون فيه روح .

٢ـ والصورة الثانية التي تقبض فيها الروح هي صورة النائم، وهو ليس ميّتاً، النائم أُخِذت روحه وقُبِضت ، ولكن كل أجهزة جسمه تشتغل، إنما تشتغل بحدود معينة، أمّا روحه فتسرح في ملكوت الله تعالى، ولذا فإنها ترى ما لا يراه وهو يقظان، وأحياناً ترى روح الانسان أشياء يمكن أن يراها في المستقبل، أو تؤوّل كما ورد في القرآن الكريم في سورة يوسف في قضية المَلِكِ وسبع سنبلات، وتأويلها مستقبلي، وفي بعض الأحيان يرى الإنسان شيئاً لو كان يقظان لا يراه وهو يقع في حاله، فروح النائم خارج الوعاء

والله تعالى يردها إلى الوعاء، ولذلك نتكلم بجوار النائم فلا يسمع لأنّ بعض الأجهزة تكون معطلة مؤقتاً، أمّا سائر الأجهزة كالقلب وضخ الدم والتنفس فكلها تعمل فهو حيّ لكن ليس فيه روح.

وكذلك فإنّ النطفة فيها حياة باتفاق العلماء ، لكن ليس فيها روح حتى ينفخ فيها الملك الروح بعد ١٢٠ يوماً، وهذه مسألة فقهية.

٣ـ إذن عندنا صورتان لخروج الروح: إما: [بالموت أو القتل]، وإما بالنوم.

٤ـ عيسى عليه السلام وجوده معجزة حقيقة، وُجِد بمعجزة، فمجيء الحياة إليه معجزة ومفارقته الحياة معجزة أيضاً .

٥ـ لذلك نقول هو صورة ثالثة للوفاة غير(الوفاة إما بانتهاء الحياة أو النوم) فبالنسبة لعيسى عليه السلام قبضت روحه ورُفِع جسمه حيّاً.

٦ـ لذلك نجد أنّ الوفاة في القرآن جاءت بثلاثة معانٍ؛ هي:

آـ وفاة النوم: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠] .

ب ـ وفاة الموت، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمَر:٤٢] .

ج ـ وفاة الرفع، كما في قوله تعالى:﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] .

فالوفاة من معانيها الموت، لكن ليس حصراً هذا المعنى، والتوفي: هو قبض الروح، والرفع هو رفع الجسم الحي.

٧ـ ولمّا رُفِع إلى السماء بجسمه الحيّ وبروحه التي استوفيت وقُبِضت تعود روحه إلى جسمه؛ لأنّ الرسول ﷺ رآه مع سائر الأنبياء بأجسامهم وأرواحهم في رحلة المعراج؛ لأنّ الأنبياء أيضاً رُدّت لهم أرواحهم وأجسادهم .والله أعلم .

٨ـ وعيسى عليه السلام له خصوصية في عقيدة المسلمين تتمثل في الحياة التي يحياها في السماء، وأنه سيأتي يوم ويتوجّه فيه إلى الأرض ، وورد في الأحاديث الصحيحة أنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وكسر الصليب وقتل الخنزير يؤيده الحديث الصحيح الآخر، الذي يقول فيه ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو كان موسى بين أظهركم ما وسِعه إلا أن يتّبعني**» فعيسى عليه السلام سينزل بدين محمد ﷺ وهو أحد أتباع رسول الله ﷺ ولا ينزل بشريعته هو؛ لأنّ شريعته نُسِخت بشريعة محمد ﷺ .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فلِم لم يقل: (ورافعك إليّ) فقط ؟

الجواب:

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى قابضك برفعك إلى السماء من غير وفاة بالموت .

السؤال الثالث:

هل هذا أمر منوط بعيسى عليه السلام بحد ذاته، أو هل وردت هذه الكلمة مع غيره؟

الجواب:

لننظر إلى الآيات التالية: قوله تعالى:

ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام:٦١] .

ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد:٢٧] .

ـ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء:١٥]

آ ـ التوفي تدل على سحب الروح، فالموت في ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:١٥] سبب، والملائكة في ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [محمد:٢٧] سبب، و﴿رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١] إيضاح للملائكة.

أي: أن وسائل الموت هي (ملك الموت، الملائكة، رسلنا، الموت)، وهذا كله وسيلة لقبض الروح، لكنّ المتوفِّي الحقيقي هو الله تعالى الذي يتوفى الأنفس.

ب ـ انقضاء الحياة يكون بأحد طريقين، إما بسبب خارجي فيكون قتلاً، وإما بغير سبب خارجي فيكون الموت، فالموت مفارقة الحياة بغير سبب خارجي، والقتل بسبب خارجي.

ج ـ علماؤنا اتفقوا على أن التوفي مع عيسى عليه السلام لم يكن نوماً، ونسبوا ذلك إلى ابن عباس، وهذا رأي القرطبي والطبري أيضاً ويذكران ذلك، وفيها نقل عن ابن عباس أنه لم يكن نوماً ولم يكن مفارقة حياة، فهو صورة ثالثة؛ لأن وجوده معجزة.

السؤال الرابع:

هل نفهم من الآية أنّ عيسى عليه السلام حيّ عند قراءة هذا التعبير القرآني: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قد نفهم - خطأً- من هذا التعبير القرآني: أنه مات ورفعه، التَّوَفِّي: أخذ الروح ، والرفع رفع للجسم الحيّ.

٢ـ ونلاحظ قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ التطهير للروح والبدن حتى لا يمسه أعداؤه بأذى أو بضرر أو بشيء يسيء إليه، فالرفع لجسمه كان لتطهيره من كل أدران الأرض ومن فيها.

٣ـ وفي قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ هنا اقتصر على كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: أخذت روحي. وعندما توفّاه هل أخذ روحه وترك جسمه؟ القرآن يفسر بعضه بعضاً ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهذه تثبت أنها ليست مجرد وفاة، وإنها وفاة ورفع وتطهير.

٤ـ ورد ذكر اسم عيسى أو المسيح أو ابن مريم حسب الإحصاء في القرآن الكريم في ٣٥ آية، منها ثلاثة مواضع فقط تتعلق بالوفاة، وموضعان فيهما كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ و ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وموضع فيه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ [النساء:١٥٧] والقرآن يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ وأكّد: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ وهذا إشارة إلى الرفع.

٥ـ فآية المائدة ١١٧، فيها التوفي فقط، وآية النساء ١٥٨ فيها الرفع فقط، وآية آل عمران ٥٥ ، فيها توفٍّ ورفع وتطهير.

السؤال الخامس:

لماذا جاء نداء الله تعالى لعيسى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥] وليس: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ كما في آية سورة المائدة [١١٠و١١٢ و ١١٦]؟

الجواب:

جاء النداء في القرآن الكريم لعيسى عليه السلام أربع مرات وعلى الشكل التالي:

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ مجردة مرة واحدة كما في آل عمران ٥٥.

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ كما في آيتي المائدة ١١٠ـ١١٦.

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:١١٢] كما في آية المائدة ١١٢، على لسان الحواريين.

فالاسم المجرد له صورتان: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ و ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ .

آية آل عمران ٥٥:

النداء من الأعلى للأدنى ، فيه نوع من التحبب والتقرب، كما في آية آل عمران ٥٥، حيث مناسبة الوفاة تناسب الرفق بالكلام وتعطي معنى القرب وسيرفعه الله إليه ، فناداه بالتقرب ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ ولا مجال لذكر أمه هنا.

آية المائدة ١١٢:

آ ـ النداء من الأدنى إلى الأعلى، كما في آية المائدة ١١٢، من الحواريين لعيسى عليه السلام فلا يناسب النداء باسمه المجرد، وإلا كان في ذلك قلة احترام وقلة مجاملة، كما تأتي إلى رئيس تناديه باسمه ولقبه ،لا بالاسم المجرد فتقول مثلاً: يا صاحب الفخامة.

ب ـ لماذا لم يقولوا مثلاً: يا رسول الله؟ السبب كأنهم يقولون له: نعلم أنك آية من آيات الله، ولذلك قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ولم يقولوا: ربنا، ولمّا قال عيسى عليه السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قالوا: ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ [المائدة:١١٣] .

لذلك قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ ناسبه أن يقولوا: ﴿يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: هو آية، وطلبوا عن طريقه آية.

آيتا المائدة ١١٠ـ١١٦:

١ـ في آيتي المائدة ١١٠ـ ١١٦ حيث وردت ﴿يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ جاء في الآيتين ذكر الأم، فناسب النداء باسم الأم .

٢ـ الآيتان في الآخرة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة:١٠٩] والله يريد أنْ يقيم الحجة على من قالوا: إنه ابن الله أو إنه إله، فذكر أنه عيسى ابن مريم؛ لأنّ الكلام على رؤوس الأشهاد. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: في الآية ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ التوفي هو قبض الروح، ومعنى الوفاة، أي: تمام الشيء، كاستيفاء المال أو قولك: توفيت مالي فلان، أي: قبضته، ووفَّى فلان عمله، أي: أتمه.

٢ـ فقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: إني أنهي عملك عند هذه المرحلة، وإني طالبك إليّ تاماً، أي: جسداً وروحاً؛ لأنك في الأرض عرضة لأغيار البشر من البشر، لكني سآتي بك إلى مكان تكون خالصاً لي وحدي.

إذن فقول الحق: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يأتي مستقيماً مع قول الحق: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: أنّ الله أنهى عمله آنذاك، أي: بعد تمام مهمته ورفعه الله إليه ليطهره من خبث الذين كفروا.

٣ـ والبعض يظن أن الرفع تبرئة من الموت، لا ، لأنّ عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمن، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**» وبعد نزوله سيموت مثل باقي البشر.

وسبحان الله القادر، كانت بداية حياته عجيبةً خارقة للنواميس ، وسوف تكون نهاية حياته عجيبة كذلك.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ؟

الجواب:

لاحظ في الآية الفعل ﴿اتَّبَعُوكَ﴾ لأنها تدل على أنّ هناك متَّبعاً، وهناك مُتَّبعٌ يتلو مُتبِعاً، أي أنّ المتَّبعَ هو الذي يأتي بعد، فمن الذي جاء من بعد عيسى بمنهجٍ من السماء ؟ إنه محمدٌ ﷺ وهو على نفس المنهج الذي بلّغه عيسى عليه السلام، لا على المنهج المحرف الذي قام أهل الكتاب بتحريفه .

لقد جاء الرسول الكريم ليصحح الوضع المحرّف ويبلّغ المنهج كما أراده الله، لذلك فالفوقية في الآية ليست هنا بمعنى (فوق) أي: الغلبة والنصر، ولكنها فوقية ظهور برهانٍ وحجةٍ ودليل، وهل هناك من فوقية أكثر !!!، وهناك في الآية كلمة ﴿فَوْقَ﴾ وكلمة ﴿كَفَرُوا﴾ وهناك أتباع، إذن هناك قضية وخصومة، وهناك حق وهناك باطل، فلا بد من الفصل في هذه القضية.

ثم بعد ذلك يأتي الفصل يوم القيامة ، ويكون عندها المرجع إلى الله تعالى ليحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، وفي يوم القيامة لن تكون هناك إرادات للبشر والمخلوقات إلا إرادة الله الواحد القهار .

السؤال الثامن:

ما أهم التعليقات البيانية على آية آل عمران ٥٥.

الجواب:

١ـ الحياة غير الروح، فالنطفة فيها حياة لكنْ ليس فيها روح حتى ينفخ فيها المَلَكُ الروح بعد ١٢٠ يوماً، كما جاء في الحديث .

٢ـ والنائم ليس ميتاً، مع أنّ روحه مقبوضة تسرح في ملكوت الله تعالى، لذا ترى ما لا يراه اليقظان.

٣ـ هناك ثلاث صور لمفارقة الروح الجسد، إمّا بالموت أو القتل، وإمّا بالنوم، وإمّا بالرفع كما حصل لعيسى عليه السلام، وهو نبي وُجد بمعجزة وفارق الحياة بمعجزة، وسوف ينزل في آخر الدنيا كما ورد في الأحاديث الصحيحة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير اتباعاً لمنهج الإسلام، ثم يموت كما يموت الناس.

٤ـ كلمة التَّوَفِّي في القرآن في غير آية آل عمران تدل على سحب الروح بالموت ، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:١٥] ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١] سواء بالموت أو القتل.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: ينبغي عليه أن يغادر الدنيا بالوفاة، وهذا الأمر ليس من عنده بل من الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ والله لا يعجزه شيء.

واتفق العلماء على أنّ وفاته لم تكن نوماً ولا مفارقة حياة، وإنما بصورة ثالثة معجزة ـ بالرفع ـ.

والمتوفي الحقيقي هو الله تعالى، وأما الباقي [ملك الموت ـ الملائكة ـ رسلنا] فمظاهر وأسباب .

٦ـ التوفي تعني أخذ الروح، والرفع رفعٌ بالجسم الحي، فلما قال: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني قبض الروح، ولما قال: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: رفعاً بالجسم الحي .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ التطهير للروح والبدن حتى لا يمسه أعداؤه بأذى أو بضرر، لذلك كان الرفع للجسم لتطهيره من كل أدران الأرض ومن فيها.

٨ـ ورد اسم عيسى عليه السلام أو المسيح أو ابن مريم في القرآن (٣٥) مرة، منها ثلاثة مواضع فقط تتعلق بالوفاة .

آ ـ موضع فيه ﴿تَوَفَّيۡتَنِي﴾ [المائدة:١١٧] فيها التوفي فقط.

ب ـ موضع فيه ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ [آل عمران:٥٥] فيها توفٍّ ورفع وتطهير.

ج ـ موضع فيه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨] وفيها إشارة إلى الرفع . والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية ٥٦، عندما تحدث عن الكفار قال: ﴿فَأُعَذِّبُهُمۡ﴾ بصيغة الحاضر وعندما تحدث عن المؤمنين في الآية ٥٧ قال: ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ﴾ بصيغة الغائب ولم يقل: (فأوفيهم) والعمل كله لله تعالى، فلماذا قال في الأولى: (فأعذبهم) وفي الثانية: (فيوفّيهم)؟

الجواب:

١ـ بدأت الآية السابقة رقم ٥٥ بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ كلمة (قال) هي للغائب ، ولكن حينما نسمع ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ الله عز وجل حاضر في القلب دائماً فهو حاضر في قلبك، فصار عندنا: قال للغائب، والله حاضر، فلوّنت العبادة بين غائب وحاضر.

وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ لفظة (إنّي) هنا للإفراد؛ لأنّ هذا أمر لا يُنسب إلا لله عز وجل .

٢ـ الآية ٥٦ فيها حضور المتكلم، والسامع يستشعر الحضور كذلك، فقال: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ ؛ لأنّ العذاب هو في الدنيا والآخرة كما في نص الآية ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ إضافة إلى أنه ليس لهم ناصر.

والآية ٥٦ هي في سياق كلام الله سبحانه عن نفسه، انظر الآية ٥٥، فناسب إسناد التعذيب إلى نفسه جرياً مع سياق الحديث عن النفس .

٣ـ الآية ٥٧: هذه الآية فيها بُعد عن الآية الأولى، وهي في مقام الالتفات إلى الغائب، وبدأت بعبارة أخرى ﴿ وَأَمَّا ﴾ ولم يقل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مباشرة.

و جاء الفعل بصيغة المضارع ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ لأنّ:

آ ـ الأجور تدفع بعد انتهاء العمل وليس قبله، إذن الأمر غائب .

ب ـ جاء الفعل ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالغائب ليتناسب مع غيبة الأجور .

٤ـ جاء ختام الآية في الغيبة فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ ولم يقل:أحبُّ، ولم يرد فعل الحب من الله تعالى في القرآن إثباتاً أو نفياً مسنداً إلى ضمير المتكلم (أنا) فلا يقول مثلاً: أنا لا أحب الظالمين، أو: أنا أحب الصابرين، وإنما يسند ذلك في الأغلب إلى لفظ الجلالة أو إلى الضمير فيقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام:١٤١] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥] .

٥ـ في الآيتين تنوع وتلوين في الانتقال من الحاضر للغيبة ومن الإفراد إلى الجمع ، وهو المناسب وليس الاستمرار بالحديث عن النفس .

٦ـ هناك قراءة أخرى لشُعبة عن عاصم (فَنُوَفِّيهِم) أي: للتعظيم؛ لأنّ وفاء هذا الأجر يكون له عظمة، وهذه القراءة تمهد للآية التي بعدها ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ أيضاً بالجمع والتعظيم . والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة لفظة ﴿عَلَيْكَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

انظر إلى الأبعاد التي تحملها كلمة ﴿عَلَيْكَ﴾

فأولاً: فيها تشريف الخطاب من الله العظيم بدلالة نون العظمة في ﴿نَتْلُوهُ﴾

وثانياً: تجد إيراد هذه الكلمة ﴿عَلَيۡكَ﴾ تصديقاً لدعوى الرسالة وآية من آيات صدق النبوة.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾ في وصف الذكر؟

الجواب:

(الحكيم) لها أكثر من دلالة ، إمّا أن تكون من الحُكم أو من الحِكمة، و(الحكيم) قد تكون اسم مفعول بمعنى محكم،لأنّ فعيل بمعنى مفعول، مثل قتيل بمعنى مقتول، وحكيم بمعنى مُحكم . قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾ وفي سورة هود قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١] يعني: مُحكم.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾

السؤال الأول:

في الآيات السابقة ، ثم في هذه الآية، يوجد تنويع بين الغيبة والحضور والتعظيم وعدم التعظيم، والجمع والإفراد، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] رجع إلى الإفراد.

ولاحظ الغيبة والحضور والتعظيم وعدم التعظيم كلٌ في موضعه؛ لأنّ هنا ﴿خَلَقَهُۥ﴾ [آل عمران:٥٩] الخلق هنا إفراد لعيسى أو لآدم، وهذا التنويع هو نوع من إراحة القراءة ويرتاح فيه القارئ: مرة مفرد ومرة جمع، مرة يتحدث عن نفسه ومرة غائب، وفي كلٍّ يراد به واحد هذا التلوين، لذلك نجد أنّ كل كلمة جاءت في موضعها.

السؤال الثاني:

ما دلالة المثلية في الآية بين [آدم وعيسى] عليهما السلام؟ وهل هناك لطائف عددية في هذه المثلية ؟

الجواب:

الآية تبين المثلية في الخلق لآدم وعيسى عليهما السلام فكلاهما بدون أب ، وقوله تعالى: ﴿مَثَلَ﴾ أي صفة عيسى عليه السلام كصفة آدم عليه السلام .

وهنا نبين وجوهاً أخرى من المثلية التي ذكرها الله في آية آل عمران ٥٩، وهذه المثلية هي المثلية العددية.

١ـ تكرر اسم آدم وعيسى عليهما السلام في القرآن الكريم بالتساوي ٢٥ مرة، وذلك حسب الجدول التالي:

مسلسل	الرسول	السورة	رقم الآية	الرسول	السورة	رقم الآية
١	آدم	البقرة	٣١	عيسى	البقرة	٨٧
٢	آدم	البقرة	٣٣	عيسى	البقرة	١٣٦
٣	آدم	البقرة	٣٤	عيسى	البقرة	٢٥٣
٤	آدم	البقرة	٣٥	عيسى	آل عمران	٤٥

٥	آدم	البقرة	٣٧	عيسى	آل عمران	٥٢
٦	آدم	آل عمران	٣٣	عيسى	آل عمران	٥٥
٧	آدم	آل عمران	٥٩	عيسى	آل عمران	٥٩
٨	آدم	المائدة	٣٧	عيسى	آل عمران	٨٤
٩	آدم	الأعراف	١١	عيسى	النساء	١٥٧
١٠	آدم	الأعراف	١١	عيسى	النساء	١٦٣
١١	آدم	الأعراف	٢٧	عيسى	النساء	١٧١
١٢	آدم	الأعراف	٣١	عيسى	المائدة	٤٦
١٣	آدم	الأعراف	٣٥	عيسى	المائدة	٧٨
١٤	آدم	الأعراف	١٧٢	عيسى	المائدة	١١٠
١٥	آدم	الأعراف	٦١	عيسى	المائدة	١١٢
١٦	آدم	الإسراء	٦١	عيسى	المائدة	١١٤
١٧	آدم	الإسراء	٧٠	عيسى	المائدة	١١٦
١٨	آدم	الكهف	٥٠	عيسى	الأنعام	٨٥
١٩	آدم	مريم	٥٨	عيسى	مريم	٣٤
٢٠	آدم	طه	١١٥	عيسى	الأحزاب	٧
٢١	آدم	طه	١١٦	عيسى	الشورى	١٣
٢٢	آدم	طه	١١٧	عيسى	الزخرف	٦٣
٢٣	آدم	طه	١٢٠	عيسى	الحديد	٦٣
٢٤	آدم	طه	١٢١	عيسى	الصف	٦
٢٥	آدم	يس	٦٠	عيسى	الصف	١٤

الملاحظات:

آ ـ في الرقم المتسلسل ٧ يوجد التماثل الأول حيث جمعت الآية ٥٩ من سورة آل عمران الاسمين معاً، أي: نفس الآية ونفس السورة .

ب ـ في الرقم المتسلسل ١٩ يوجد التماثل الثاني، حيث ذُكر الاسمان في نفس السورة وليس في نفس الآية .

ج ـ مجموع عدد الآيات للسور ابتداء من سورة آل عمران، وهي بدء التماثل الأول إلى بداية سورة مريم، وهو بدء التماثل الثاني، يساوي ١٩٥٧ .

د ـ مجموع عدد الآيات ابتداء من الآية ٥٩ من سورة آل عمران، بدء التماثل الأول ، إلى الآية ٥٨ من سورة مريم، بدء التماثل الثاني يساوي أيضاً ١٩٥٧. انظر الجدول التالي.

السورة	عدد الآيات	عدد الآيات من الآية ٥٩ من آل عمران
آل عمران	٢٠٠	١٤٢ ، أي [٢٠٠ـ٥٨]
النساء	١٧٦	١٧٦
المائدة	١٢٠	١٢٠
الأنعام	١٦٥	١٦٥
الأعراف	٢٠٦	٢٠٦
الأنفال	٧٥	٧٥
التوبة	١٢٩	١٢٩

يونس	١٠٩	١٠٩
هود	١٢٣	١٢٣
يوسف	١١١	١١١
الرعد	٤٣	٤٣
إبراهيم	٥٢	٥٢
الحجر	٩٩	٩٩
النمل	١٢٨	١٢٨
الإسراء	١١١	١١١
الكهف	١١٠	١١٠
مريم	بدء التماثل الثاني	٥٨
المجموع	١٩٥٧	١٩٥٧

الرقم ١٩٥٧ = ١٩ × ١٠٣

ويساوي إلى ١٩ × [جمّل المسيح - جمّل آدم] أي يساوي ١٩ × [١٤٩ـ٤٦] ويساوي إلى ١٩ × ١٠٣ .

٢ـ ترتيب سورة مريم ١٩، وفيها ورد التكرار ١٩ لاسم عيسى، والتكرار ١٩ لاسم آدم، أي:

رقم التكرار	الاسم	رقم الآية
١٩	آدم	٥٨
١٩	عيسى	٣٤

والفرق بين الآيتين ابتداء من ٣٤ إلى نهاية ٥٨ يساوي ٢٥ ويساوي تكرار اسم [آدم وعيسى] على رسولنا وعليهما الصلاة والسلام .

السؤال الثالث:

الآية تتحدث عن عيسى عليه السلام فهل من لطائف أخرى عددية في هذه الآية ؟

الجواب:

في القرآن الكريم جاءت ست صيغ لاسم المسيح عليه السلام، وهذه الصيغ هي:

الصيغة	جمّل هذه الصيغة
عيسى	١٥٠
المسيح	١٤٩
ابن مريم	٣٤٣
عيسى ابن مريم	٤٩٣
المسيح ابن مريم	٤٩٢
المسيح عيسى ابن مريم	٦٤٢
المجموع	٢٢٦٩

سؤال:

ما الآية التي ترتيبها ٢٢٦٩ ؟

الجواب:

إنها الآية ١٩ من السورة ١٩، وهي الآية التي تتحدث عن البشارة بالمسيح عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩]

سؤال:

كم بقي من الآيات حتى نهاية المصحف ؟

الجواب:

هو [٦٢٣٦ـ٢٢٦٩=٣٩٦٧]

وهذا الرقم ينطبق على جمل الآية ٥٩ من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

فتأمل.. !!!!! . والله أعلم .

السؤال الرابع:

في الآية إشكال، وهو أنه تعالى قال: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩] فهذا يقتضي أن يكون خَلْقُ آدم متقدماً على قول الله (كن) وذلك غير جائز؟

الجواب:

الجواب هو من وجوه:

آـ الخلق هو التقدير والتسوية ، ويرجع معناه إلى علم الله تعالى بكيفية وقوعه على الوجه المخصوص، وكل ذلك متقدم على وجود آدم عليه السلام تقدماً من الأزل إلى الأبد .

وأمّا قوله تعالى: ﴿كُن﴾ فهو عبارة عن إدخاله في الوجود، فثبت أن خلق آدم متقدم على قوله: ﴿كُن﴾ .

ب ـ أنه تعالى خلقه من الطين، ثم قال له: ﴿كُن﴾ أي: أحياه، لذلك فالضمير في قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ راجع إلى آدم حين كان تراباً، وهذا الهيكل سيصير(آدم) تسمية لما سيقع بالواقع .

ج ـ بتقدير صيّره الله خلقاً سوياً ، ثم يخبرنا الله: أني إنما خلقته بأن قلت له: (كن) .

د ـ تأويل قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ أي: فكان بشراً كاملاً روحاً وجسداً ، وعبّر بصيغة المضارع المقترن بالفاء في ﴿فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ حكاية للحال وتصويراً لها ، وإشارة إلى أنه كان مع الأمر من غير تخلف، وتنبيهاً على أنّ هذا الشأن يتجدد مع كل مراد لا يتخلف عن مراد الآمر أصلاً .

والله أعلم .

❋❋❋❋

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آل عمران ٦٠ : ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ وفي البقرة١٤٧ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ ؟

الجواب:

لقد تقدم آية البقرة قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤] فناسب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ [البقرة:١٤٧] ولم يتقدم في آل عمران ما يقتضيه .

❋❋❋❋

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

إنّ الفئة المجادِلة من وفد نجران كانت من الرجال البالغين، فلِمَ جمع في المباهلة الأبناء والنساء ودُعوا إليها ، وكان يكفي أن يقال: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ؟

الجواب:

إنّ من ظهرت مكابرته في الحق وحب الدنيا علِم أنّ أهله ونساءه أحب إليه من الحق، وأنه يخشى سوء العيش وفقدان الأهل ولا يخشى عذاب الآخرة، لذلك طالبهم الله تعالى بإحضارهم، وهذا يزرع الخوف في قلوبهم من إلحاق الأذى واللعنة بهم.

❋❋❋❋

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما فائدة دخول ﴿إِنَّ﴾ والضمير ﴿لَهُوَ﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ﴾؟ وما ضمير الفصل ؟

الجواب:

١ـ دخول الحرف المشبه بالفعل ﴿إِنَّ﴾ يفيد تأكيد الجملة، وقد زاد تأكيدها بدخول ضمير الفصل ﴿لَهُوَ﴾ الذي يفيد التوكيد والقصر، وما ذاك إلا لزعزعة ثقة أصحاب المِلل بدينهم، فكأن الله تعالى يقول لهم: إنّ هذا هو القصص الحق وحده، لا ما تقصّه كتب أصحاب المِلل الأخرى وعقائدهم.

٢ـ وفي تسمية ضمير الفصل قالوا: إنه يفصل الخبر عن الصفة، وهذا أصل التسمية، وذلك حتى يُعلم أنّ الذي بعده خبر وليس صفة؛ لأنه أحياناً يأتي للسائل أنّ هذا صفة وبعده خبر .

٣ـ قولك مثلاً: (هذا القصص الحق) يحتمل أنْ يكون القصص بدلاً، لذلك فيها التباس.

فإذا أردنا أنْ نجعل القصص هو الخبر وليس الصفة نقول: (هذا هو القصص الحق) والحق تكون صفة .

وإذا أردنا أنْ نقرر أنّ (القصص) ليس خبراً، نقول: (هذا القصص هو الحق)، فيكون الحق هنا خبراً للقصص.

في الآية السابقة عيّن الضمير (إنّ) كلمة (القصص) هي الخبر، ولا تظنن أنّ (إنّ) هي التي عينت الخبر برفعه، فذلك صحيح في هذه الجملة، ولكن لو حذفنا (إنّ) ما تعين الخبر إلا بالضمير.

٤ـ ضمير الفصل في الغالب يفيد القصر الحقيقي أو الادعائي (تدعي أنّ فلاناً شاعر مثلاً، وهو ليس بشاعر) أو التوكيد، وأهم أغراضه:

آـ الإعلام أنّ ما بعده خبر لا تابع .

ب ـ الاختصاص والقصر: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران:١٠] .

ج ـ التوكيد: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:٥] .

وهو أنواع:

آـ توكيد القصر الحقيقي: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

ب ـ التوكيد على جهة المبالغة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣].

ج ـ توكيد معنى المقايسة، كقولك: الشاعر هو البحتري، فلم ترد أنْ تقصر الشعر عليه ولكنْ كأنك قلت: هل سمعت بالشاعر وخبرت معرفته؟ فتؤكد هذا المعنى وتقول: الشاعر هو البحتري، وكقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل:١٠٥] فالكاذبون كثيرون ، ولكنّ هؤلاء أولى من يسمى بهذا الاسم.

د ـ توكيد معنى الكمال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة:١٢٧].

٥ـ أمّا في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١] هذا ضمير الشأن وليس ضمير الفصل، وضمير الفصل على الأرجح ليس له محل من الإعراب، وفي أشهر الأقوال: إنه حرف لا محل له من الإعراب.

السؤال الثاني:

ما فائدة ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: في الآية ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذه تسمى في اللغة (مِنْ) الاستغراقية التي تستغرق كل ما دخلت عليه، فقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران:٦٢] استغرقت جميع الآلهة، وقوله تعالى ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾ [المائدة:١٩] تستغرق كل ما دخلت عليه.

٢ـ عندما تقول: (ما جاءني رجل) فيها احتمالان: أنه ما جاءك رجل وإنما رجلان أو أكثر، و(ما جاءني رجل) أي: لم يأت واحد من جنس الرجال ، لكن لا ينفي جنساً آخر .

أمّا عندما تقول: (ما جاءني من رجل) تستغرق الجنس بكامله، أي: لم يأتك لا واحد ولا أكثر من هذا الجنس.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ ما الفرق بين الحق والرُّشد؟

الجواب:

١ـ (الحقُّ) ليس مناقضاً للرُّشد، ولا (الرُّشد) مناقض للحق. الحق أعم من الرُّشد، ويوصف بالحق أحياناً ما لا يوصف بالرشد، ويُخبر عنه بما لا يخبر بالحق، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء:٦] هل يمكن أن يقال آنستم منهم (حقاً)؟ كلا.

ـ ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ [البقرة:٦١].

ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢] .

ـ ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ [آل عمران:٨٦] .

ـ ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] .

ـ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنعام:٥٧]، لا يصح أن يقال: يقص الرُّشد.

ـ ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢] .

ـ ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس:٣٢] .

الحق أعمُّ من الرشد، وكل هذه الآيات لا يصح فيها الرُّشد، والحق يُذكر في أمور لا يصح فيها ذكر الرُّشد.

٢ـ الأمر الآخر أنّ الرُّشد لا يقال إلا في العاقل ، فالعاقل يوصف بالرُّشد أما الحقُّ فهوعام، نقول: [القتل بالحق ـ هذا المال حق لك ـ الله هو الحق ـ الجنة حق والنار حق].

لذلك هنالك أمران: الحق أعمّ من الرُّشد يُخبر به عن الإنسان وغيره، ومن ناحية أخرى الرُّشد خاص بالعاقل.

إذن الرشد قسم من الحق وليس الحق كله، وكل رشد هو حق، لكن ليس كل حق رشداً، باعتبار أن الحق أعمُّ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفعل ﴿تَعَالَوْاْ﴾ في هذه الآية ؟

الجواب:

في هذه الآية رفعة وسمو، فتأمل صيغة الأمر بفعل ﴿تَعَالَوْاْ﴾ والأصل فيه طلب الاجتماع في مكان عالٍ وهو هنا ﴿كَلِمَةٍ﴾ وهو تمثيل رائع حيث جعل كلمة التوحيد تشبه المكان المراد به الارتفاع، وهو مكان سامٍ يسمو بمن يلحق به.

السؤال الثاني:

ما دلالة الحرف ﴿فَإِن﴾ في قوله تعالى في الآية ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ؟

الجواب:

جيء في هذا الشرط بحرف ﴿فَإِن﴾ ولم يأت بغيره، وما ذاك إلا لأنّ التولّي بعد نهوض الحجة وما قبلها من الأدلة غريب الوقوع ، وهذا من المعاني التي تفيدها ﴿فَإِن﴾ التي جاءت في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فتأمل!.

السؤال الثالث:

لماذا قال في آية آل عمران ٦٤ ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤﴾ فجاء بالباء مع ﴿بِأَنَّا﴾ ولم يذكرها في آية هود٥٤ في قوله: ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [هود:٥٤] مع أنّ الفعل فيهما واحد وهو قوله: ﴿ٱشۡهَدُواْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ (الباء) مقدرة في قوله تعالى في آية هود ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [هود:٥٤] لأنّ الفعل (شهد) يتعدى بالباء، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزُّخرُف:٨٦] وقوله: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ [يوسف:٨١] .

٢ـ ومعلوم أنّ الذكر أقوى وآكد من الحذف ، ولذلك قوله تعالى: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران:٥٢] أقوى وآكد من قوله: ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤﴾ [هود:٥٤] وسياق كل من الآيتين يوضح ذلك:

آـ في آل عمران قال على لسان رسوله ﷺ:

ـ ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤] .

ـ ﴿وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:٦٤] .

ـ ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران:٦٤] .

وأما في هود فقد ذكر البراءة من الشرك فقط ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود:٥٤-٥٥] وهو واحد مما جاء في آل عمران.

ب ـ في آل عمران قوله تعالى: على لسان رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:٦٤] وهذا التعبير يحتمل معنيين: لا نشرك به شيئاً من الشرك، ولا نشرك به شيئاً من الأشياء.

في حين قال في هود: ﴿أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود:٥٤-٥٥] فذكر البراءة مما يشرك به قومه، فكان ما في آل عمران أعم وأشمل؛ لأنه نفى كل أنواع الشرك ، ويدخل فيه ما ذكره في هود.

لذلك كان ما في آل عمران أقوى وآكد وأعم فناسب ذكر الباء فيه، ولمّا كان ما في هود جزءاً مما ذكر في آل عمران ناسب الحذف، والله أعلم

❁❁❁❁

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال هنا في الآية ٦٦: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وكذلك في آية النساء ١٠٩، بينما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ في آية آل عمران ١١٩ ، وآية طه ٨٤، فما الهدف من تكرير (هاء التنبيه) أو حذفها؟

الجواب:

١ـ الخطاب في آل عمران ٦٦ في أهل الكتاب وفي النساء ١٠٩ في الذين يختانون أنفسهم، فأراد الله أنْ يقرّعهم ويزيد في تنبيههم ولومهم؛ لأنهم جادلوا بالباطل وهم

يعلمون، فكرّر التنبيه مرة قبل الضمير ومرة قبل اسم الإشارة، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ زيادة في التنبيه والوعظ .

بخلاف آية آل عمران (١١٩) فإنه خطاب للمؤمنين حيث لا يحتاج إلى زيادة في التنبيه واللوم، فالموقف هنا مختلف وليس فيه تقريع ولا لوم.

٢ـ وقد لا يحتاج الموقف إلى التنبيه فلا يذكره نحو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا ربه في آيات طه ٨٣ـ٨٤ ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه:٨٣-٨٤] فلم يأت بالتنبيه؛ لأنهم غير حاضرين .

فالتنبيه هو بالقدر المناسب فقد يكرر أو لا يكرر، أولا يذكر التنبيه بحسب الحاجة إليه.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاءت اللام مفتوحة في كلمة ﴿ لَلَّذِينَ ﴾ في هذه الآية؟ وما مدلولها؟

الجواب :

١ـ ذكر الله تعالى في هذه الآية فريقين ممن اتّبع سيدنا إبراهيم عليه السلام على منهج التوحيد ، فالفريق الأول هو ممن تقدم ،الذين اتبعوه على منهج التوحيد وليس على منهج اليهود أو النصارى أو المشركين ، والفريق الثاني هو النبي محمد عليه السلام

وسائر المؤمنين ، ثم قال : ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بالنصرة والمعونة والتوفيق والإعظام والإكرام ، ولم يقل :

(وليهم) تنبيهاً على الوصف الذي يكون الله تعالى به ولياً لعباده ، وهو الإيمان؛ ليعم الأنبياء كلهم وأتباعهم .

٢ـ كلمة ﴿أَوْلَى﴾ على وزن (أفعل) تفضيل من (وليه يليه) ، وأصل معناه: (أقرب) ، ويكون بمعنى (أحق)، كما تقول : العالم أحق بالتقديم ، والمعنى هنا : أي أقرب الناس وأحقهم وأخصهم بإبراهيم ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ على منهج التوحيد ، وليس على منهج اليهود أو النصارى أو المشركين؛ ولذلك أكد باللام .

٣ ـ هذه اللام ليست حرف جر ، وإنما هي اللام المزحلقة التي تأتي بهدف التوكيد مع خبر (إنّ) ؛ ولذلك جاءت مفتوحة وليست مكسورة ، كما هو الحال عندما تأتي اللام كحرف جر .

٤ـ إعراب ﴿لَلَّذِينَ﴾ هو :

اللام : اللام المزحلقة، وتفيد التوكيد .

الذين : اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر (إنّ).

٥ـ العطف في قوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هو من باب عطف الخاص على العام . والله أعلم .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال القرآن ﴿طَّآئِفَةٌ﴾ في هذه الآية؟ وما مدلولها؟

الجواب:

١ـ يستعمل القرآن الكريم لفظ (طائفة) و(فريق) و(فرقة)، والقرآن لا يجعل الكلام عاماً، وهذا ما يسمى بالأسلوب العلمي في التعبير، فلا نعمم ونقول: قال: جميع الناس.

٢ـ هناك فرق بين كلمة (طائفة) و(فريق) أو(فرقة)، ولكل كلمة من هذه معناها، فالفرقة هي جماعة عددها كثير، وسُمّيت فرقة كأنها فرّقت جمعاً، أما الطائفة فهي الجماعة البارزة التي كأنها تطفو على السطح ظاهرة، وهي أقل من الفِرقة .

٣ـ وهؤلاء كأنهم أشخاص ظاهرون بارزون، كان لديهم مخطط، وهو أن يدخلوا في الاسلام صباحاً ثم يرتدوا في المساء، حتى يقول الناس لا بدّ أنهم رأوا ما لا ينبغي فيرتدوا أيضاً، وليست كل طائفة تخطط، وإنما هؤلاء كأنهم قوم ظاهرون كان لديهم مخطط.

٤ـ ويقال إنّ الصهيونية لها قيادة مستمرة على مدى ألفي عام تنقل تجاربها، وهم (حكماء صهيون)، كلما هلك واحد دخل واحد آخر في هذه العصبة أو القيادة، فتجاربهم مستمرة متواصلة وخبراتهم متراكمة، وربما من خبراتهم في ذلك الزمان أنهم كلفوا بعضهم بأن يدخلوا في دين الله في الصباح - والكلام في آية سورة آل عمران عن اليهود - ثم يرتدوا في المساء ليرتد الآخرون.

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] بينما قال في آية آل عمران ٧٣: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي آية الأنعام ٧١ ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام:٧١] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠.

❁❁❁❁

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الفضل بالعظيم فى الآية ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٤]؟

الجواب:

هنا الفضل منسوب مباشرة ومسند إلى الله تعالى فجاء بلفظ (العظيم) وكذلك ذكر الرحمة الواسعة فذكر (العظيم).

وجاء بلفظ (العظيم) معرّفاً؛ لأنّ ما قبلها معرّف، ويأتي بالتنكير ﴿عَظِيمٍ﴾ عندما يكون قد سُبق بالتنكير كما في آية سورة آل عمران ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٤] حيث جاءت لفظة ﴿فَضْلٍ﴾ نكرة، فجاء لفظ ﴿عَظِيمٍ﴾ نكرة أيضاً.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

الفعل (يأمن) يتعدى بحرف الجر (على) فنقول: أمنته على سِرّي، وقال تعالى: على لسان يعقوب ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف:٦٤] فلِمَ عدّى الفعل ﴿تَأْمَنْهُ﴾ [آل عمران:٧٥] في الآية بالباء فقال: ﴿تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران:٧٥] دون تأمنه على قنطار؟

الجواب:

الحرف (على) يدل على التمكن، فإذا قلت أمنته على سِرّي، أي: جعلته متمكناً منه وراعياً له، وفي هذه الآية ﴿إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران:٧٥] عُدِّيَ الفعل تأمنه بـ (الباء) للإيماء إلى أنّ هذه الأمانة أريد بها المعاملة والوديعة والأمانة بالمعاملة.

❋❋❋❋

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل؟

الجواب:

١ـ الثمن هو المقابل أو العِوَض، وكلمة (ثمن) وردت في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم كله، في موضع واحد فقط لم يوصف كما في سورة المائدة (١٠٦) ووصف مرة واحدة بأنه (بخس) في سورة يوسف .

وفي الأماكن الأخرى أي: في تسع آيات وصف الثمن بأنه قليل، إمّا أن ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك وما قبضوه هو قليل.

٢ـ الآية التي لم يوصف بها الثمن بأي وصف (آية المائدة ١٠٦) تتعلق بشهادة على وصية، فهنا الأمر يتعلق بمصالح الناس الذين لهم وصية، ويشمل ذلك الثمن الحقير والعظيم والمادي والمعنوي والنفيس والتافه حتى يقطع عليهم الطريق لأي تأويل.

٣ـ (الثمن القليل) جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ فهو ثمن قليل تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره . وأي ثمن يناسب آيات الله عز وجل؟ لا شيء، فكل ثمن هو يقل في شأن آيات الله سبحانه وتعالى.

وليس معنى ذلك أنّ (ثمن قليل) يمكن أن يشتروا به ثمناً كثيراً، كلا ، وإنما بيان أنّ هذا الثمن الذي أخذتموه لا يقابل آيات الله ، فهو قليل في حق الله سبحانه وتعالى، وكل ثمن يؤخذ مقابل ذلك فهو قليل مهما عظُم.

*** شواهد قرآنية:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران:٧٧] هذا الثمن سماه قليلاً.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران:١٨٧] هذا ماض ، وقد وصفه الله بالقِلة أياً كان هذا الثمن ، وهم باعوه في نظرهم بثمن عظيم، لكنْ وصفه القرآن بالقِلة؛ فبئس ما يشترون.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران:١٩٩] ليس معناه: يشترون ثمناً عظيماً ، ولكنْ هذا الثمن مهما كان نوعه فهو قليل في مقابل التضحية بآيات الله سبحانه وتعالى.

٤ـ ألا يمكن أن يأتي الوصف بالبخس والقليل معاً؟ يمكن إذا أُريد بالبخس ما هو ليس من قدر الشيء الذي بيع ، لكن لا يستقيم مع آيات الله؛ لأنه ليس هناك شيء بقدر الآيات ، لذلك لا يستقيم مع أمرهم إلا القلّة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧] ولم يقل ربنا تعالى مثلاً: (أولئك غضب الله عليهم ومقتهم)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

تدبر في هذا التعبير عن غضب الله تعالى ومقته للكافرين، فلمْ يقل ربنا تعالى:(أولئك غضب الله عليهم ومقتهم)، بل قال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [آل عمران:٧٧]، لأنّ عدم الكلام يدل على شدة الغضب.

وفي سلب النظرعنهم من الله سبحانه وتعالى إشارة إلى شدة مقتهم وعدم استحقاقهم لأدنى عذر، وقد آثر الله تعالى أنْ يعبر عن غضبه عليهم بعدم النظرإليهم وعدم الكلام ، للإيماء إلى أنهم لا يستحقون أن ينالوا أدنى عطف أو رحمة من الله تعالى ، بل قد استحقوا الغضب والنار.

وقد قال الله عنهم في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران:٧٧] أي: لا حظ لهم ولا نصيب.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ١٧٤ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ وقال هنا في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾[آل عمران:٧٧] بزيادة ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران:٧٧] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

زاد في آل عمران ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧] بخلاف البقرة وذلك لسببين:

١ـ آية البقرة في الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون بكتمانهم ثمنا قليلاً، بينما آية آل عمران في الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، وهو ذنب أكبر وأعظم من مجرد الكتمان، إذ هم لم يكتموا الحق فقط بل غيّروه وأقسموا على ذلك واشتروا به ثمناً قليلاً، فهم لم يكتفوا بالكتمان، بل تجاوزوه في دعم الباطل، فلمّا زادوا الذنب زاد الله لهم في العقوبة فقال: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ .

٢ـ أنّ السياق في آل عمران في الوفاء بعهد الله، انظر آل عمران:٧٦، بينما سياق آية البقرة الكلام على الميتة والدم ونحوها، انظر البقرة:١٧٣.

فلمّا كان الكلام في آل عمران هو الكلام عن عهد الله ناسب تشديد العقوبة على مضيعيه أكثر مما في البقرة؛ لأنّ السياق يقتضيه .

❊❊❊❊

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار (الكتاب) و(لفظ الجلالة) ثلاث مرات في الآية ؟

الجواب:

لاحظ التكرار في هذه الآية، فقد كرّر الله تعالى كلمة (الكتاب)، مع أنّ النظم كان يستقيم لو قيل: (لتحسبوه من الكتاب وما هو منه، ويقولون هو من عند الله وما هو من عنده)، لكنه جاء بهذا التكرار لقصد الاهتمام بالاسمين: الكتاب ولفظ الجلالة، وذلك يجرّك إلى الاهتمام بما يتعلق بهما من خبر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النفي بـــ (ما) و (لم)؟

الجواب:

١ـ (ما) في الغالب تقال للرد على دعوى، تقول: أنت قلت كذا؟ أقول: ما قلت ، فهي نفي .

٢ـ (لمْ) قد تكون من باب الإخبار والتعليم ، فليست بالضرورة أنْ تكون رداً على قائل معين.

لذلك قولك: لم يحضر، هو نفي لـ (حضر)، بينما قولك (ما حضر) هي نفي لـ (قد حضر)، كما في قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤] .

* شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان: ١ - ٢] هذا من باب

التعليم، وليس رداً على قائل، وليس في السياق أنّ هناك من قال وردّ عليه وإنما تعليم .

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١] يخبرنا إخباراً .

ـ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١] .

لّما ردّ على المشركين قال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾ [المؤمنون:٩١] ضد قول اتخذ صاحبة وولداً ، لأنّ (لم يتخذ) قد تكون من باب الإخبار والتعليم، بينما قال في محاجته للمشركين: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١] لأنهم يقولون: اتخذ الله ولداً .

ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨] يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيرد عليهم ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨] .

ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] .

❊❊❊❊

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا نفهم من قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [آل عمران:٧٩] ؟

الجواب:

لو تأملت في هذه الآية المحكمة السبك، لوجدت نفسك تغوص في عجائب فصاحة القرآن الكريم وقوة نظمه، انظر كيف يختار القرآن ألفاظه ليرقى إلى أعظم المعاني التي تعجز عنها ألسنة البشر، إذ كان بمقدوره أن يتمم هذه الآية من جنس الجزء السابق فيقول: (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا عباداً لله)، فماذا نفهم من قوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ؟ إن الربّاني هو المنسوب إلى الربّ، وما ذاك إلا لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه ، ليكون المعنى على أقوى ما يكون ، أي أن يكونوا مخلصين لله تعالى دون غيره.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الكتاب والحُكم والنبوة) المذكورين في الآية؟

الجواب:

١ـ الإيتاء: هو المنحة التي تُؤتى للمؤتى إليه من المؤتي، والذي يسري على آدم يسري على سائر الأنبياء، والقرآن الكريم أوضح أنّ النبي لا بد أن يكون بشراً لأنّ هذا أمر ضروري؛ لأنه لو لم يكن بشراً لبطَلت القدوة، فقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ ولا بد أيضاً من أن يكون من نفس جنس البشر ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] فالفارق ليس في بشريته وإنما بالوحي إليه والمِنح والعطايا هي من الله تعالى يؤتيها من يشاء من خلقه، والإعجازات النبوية لا تخضع للمقياس البشري.

٢ـ الكتاب: قد يُرسل الله تعالى كتاباً من عنده على أحد الأنبياء ، وهو الوحي مطلقاً سواء كان مكتوباً أو غير مكتوب .

كما يُطلق على الأجل ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥] ويُطلق على القانون الثابت ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء:١٠٣] ويُطلق على الوحي ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ﴾ [آل عمران:٧٩] فبدأ بالكتاب تعبيراً عن الوحي ويطلق كذلك على القرآن ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢] .

فالكتاب يقصد منه الوحي بشكل عام . وقيل: كتاب أحد الأنبياء، كما ذهب بعض المفسرين أنه (الإنجيل) كتاب الله تعالى لعيسى، وقيل: إن الكتاب في الآية المقصود به (القرآن) لأنّ بعض الصحابة أرادوا أن يعظّموا الرسول ﷺ وأرادوا المبالغة فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله**» فنزلت الآية.

وسواء كان المعنى المقصود من الكتاب (الإنجيل) فالآية ترد على النصارى الذين ألّهوا المسيح عيسى ابن مريم، وإنْ كان يعني الوحي فالآية تبين القانون الذي أوضحه الله تعالى فيه.

٣ـ الحُكم: تشمل الحكمة ، لأنّ الحُكم هو أن ينزل الأمر في منزلته الصحيحة ، ومنها إحكام إقفال القارورة وإحكام الغطاء . والمُحكم هو الذي لا يسمح بأي تسرّب، والحِكمة وضع الأمر في نصابه الصحيح ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عمران:٤٨] أي: السُنّة الصحيحة.

٤ـ النبوة: النبأُ العظيمُ هو الخبرُ إذا نزل على واحد من خلق الله تعالى، وعندما يوحي الله تعالى على بشر نُبّئَ يتحول إلى نبيٍّ، فإذا كُلِّف بالتبليغ للناس أصبح رسولاً.

فالخِضر عليه السلام كان نبياً ولم يبلّغ الناس فهو ليس برسول، وكذلك ذو القرنين ولقمان وغيرهم كُلّفوا بمهام ولم يُكلّفوا بالتبليغ، ولهذا كل رسولٍ نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولاً، وعدد الأنبياء المرسلين المذكورين في القرآن الكريم ٢٥ نبياً رسولاً ، أمّا عدد الأنبياء غير المرسلين فغير محدود ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ومن ضمن مهام الأنبياء نصرة الرسل وتأكيد نبوتهم والتطبيق العملي لما يُكلّف به الرسل.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿ مَاكَانَ ﴾ [آل عمران:٧٩] و(كان) من الأفعال الناقصة فلماذا سُميت ناقصة؟ وما أخواتها؟ وما أشهر معانيها ؟

الجواب:

سُمِّيت هذه الأفعالُ ناقصةً؛ لأن سائر الأفعال تدل على الحدث والزمن في حين أنّ هذه الأفعال لا تدلُّ إلا على الزمن فقط ، وهذه الأفعال هي:

١ـ كان:

وأشهر معانيها:

آ ـ الماضي المنقطع، وهو الغالب عليها، وهو على ضربين:

أمثلة:

ـ الاتصاف بالحدث على وجه الثبوت: التوبة ٦٩.

ـ حدث مرة ولم يكن ثابتاً: الأحزاب ١٥.

ب ـ الماضي المتجدد أوالمعتاد، كما في الآيات [الذاريات ١٧ـ مريم ٥٥ ـ الأعراف ٧٠].

ج ـ الدوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)، كما في الآيات [النساء ٩٦ ـ الأنبياء ٨١ ـ الإسراء ١١ ـ ٢٧].

د ـ للدلالة على الحال:[آل عمران ١١٠ـ النساء ١٠٣ ـ يس ٧٠ ـ الأحزاب ٤٠].

هـ ـ للاستقبال: [الإنسان ٧ ـ ٥ ـ الكهف ١٠٧].

و ـ بمعنى (صار): [النبأ ١٩ ـ ٢٠ ـ الواقعة ٦].

ز ـ بمعنى (ينبغي): [آل عمران ٧٩ ـ الفرقان ١٨].

ملاحظات:

١ـ الصيرورة: قد تقتضي الزمن الطويل، بخلاف (كان) فإنها تطوي الزمن ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة:٥-٦].

٢ـ إذا جاءت (كان) بمعنى وجد أو حصل كانت (تامة) واكتفت بمرفوعها كما في الآيات: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

٣ـ قد تنفى (كان) بلام الجحود كما في الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣].

٤ـ قد تحذف نون كان المجزومة للتخفيف ﴿لَمۡ يَكُ﴾ [الأنفال:٥٣] ولأغراض مختلفة؛ منها:

ـ الإسراع: نحو (لا تك غافلاً).

ـ المتكلم لا يقوى على إتمام الكلام نحو: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدّثر:٤٣-٤٤].

ـ النهي عن الشيء بقوة نحو: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٧].

ـ للوغول في نفي الشيء نحو: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم:٦٧] وقوله: ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾﴾ .

ـ للتنبيه على مبدأ الشيء وحقارته: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة:٣٧] .

ـ ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ [لقمان:١٦] .

٢ ـ صار: هي للتحول من حال إلى حال، وقد تأتي بمعنى (جاء وانتقل) ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى:٥٣].

٣ ـ ظل:

الأصل في استعمال (ظل) لإفادة الحكم في النهار، وقد وردت ٨ مرات في القرآن الكريم ليس فيها موضع واحد تخصص الفعل في النهار، ممّا يدل على ندرة استعمال هذا الأصل.

* شواهد قرآنية:

[النحل ٥٨ ـ الشعراء ٤ ـ طه ٩٧ ـ الحجر ١٤ ـ الروم ٥١ ـ الواقعة ٦٥ ـ الشورى ٣٣ ـ الشعراء ٧١].

٤ـ بات:

الأصل في استعمال (بات) لإفادة الحكم في الليل، ووردت في القرآن في موضع واحد في آية الفرقان ٦٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤].

٥ـ أصبح:

اتصافه بالصباح ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود:٦٧] وقد يأتي بمعنى: صار أو كان، من غير أنْ يقصد بها وقت مخصوص: [المائدة ٥٢ ـ الحجرات ٦ ـ آل عمران ١٠٣].

وقد وردت في القرآن الكريم في ٢٨ موضعاً كلها في العقوبات عدا ثلاثة مواضع هي: [آل عمران ١٠٣ ـ الصف ١٤ ـ الحج ٦٣].

٦ـ أمسى:

اتصافه بالمساء، ولم يرد (أمسى) ناقصاً في القرآن.

٧ـ أضحى:

اتصافه بالضحى، ولم يرد هذا الفعل البتة في القرآن.

٨ ـ ما زال:

يفيد الاستمرار ، والفعل (زال) فعل منفي، وباجتماعه مع (ما) النافية أفاد الثبات والاستمرار.

زال يزول: الذهاب والاضمحلال.

زال يزيل: خلّص شيئاً من شيء وفصله عنه.

زال يزال: فعل ناقص، عكس: يبقى.

ما زالت تطلع، أي: بقيت تطلع.

لا تزال تطلع، أي: ستستمر بالطلوع في المستقبل.

٩ ـ ما برح:

أصله (برح) أي: ترك المكان، و(ما برح) أي: لم يترك المكان كما في الآيات: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: ٦٠]ـ طه ١٩ ـ يوسف ٨٠.

١٠ـ ما فتىء:

معنى(فتأ) نسي ، وسكّن، وأطفأ النار: فتأت النار.

قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٥] .

١١ـ ما انفك: فكّ الشيء، أي: فصله وخلصه من القيود ومن الأسر. قال تعالى: ﴿مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة:١] .

١٢ـ ما دام:

الفعل (ما دام) بمعنى (استمر) مسبوقا بـ(ما) المصدرية وليست (ما) النافية.

وقد تأتي تامة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود:١٠٧].

١٣ـ ليس:

ليس: فعل ناقص جامد يفيد النفي، وقد وردت (ليس) في القرآن في ٤١ موطناً اسمها نكرة لم تدخل (من) الزائدة المؤكدة على موطن واحد بل كلها مجردة منها نحو: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:٨].

١٤ـ ما:

أُعملت عمل (ليس) في لغة أهل الحجاز، قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:٣١] ولم تعملها تميم.

و (ما) للنفي لكنها أقوى في النفي من (ليس)؛ لأنّ جملة ليس فعلية، والجملة المنفية بـ (ما) اسمية، والجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية.

وقد وردت في القرآن الكريم في ٩١ موطناً مرفوعها نكرة كلها دخلت عليها (من) الزائدة الدالة على الاستغراق والتوكيد نحو الآيات: [الأنعام ٥١ ـ ٧٠ ـ الأحقاف ٣٢ ـ الرعد ١١ ـ البقرة ١٠٧ ـ التوبة ١١٦].

وقد ورد خبر (ما) مقترناً بالباء الزائدة الدالة على التوكيد في ٧٦ موضعاً، وورد في ثلاثة أماكن فقط غير مؤكد بالباء وهي: [يوسف ٣١ ـ المجادلة ٢ ـ الحاقة ٤٧].

في حين ورد خبر ليس في ٢٣ موطناً مؤكداً بالباء الزائدة، وفي خمسة مواطن مجرداً منها.

١٥ ـ إنْ:

هي بمنزلة (ما)في النفي، لكنها آكد من (ما) وتستعمل كثيراً في الإنكار، نحو ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف:٣١] فنفى مرة بها، ومرة بإنْ.

[فاطر ٤١ ـ المجادلة ٢ ـ يس ١٥ ـ الجاثية ٣٢ ـ يوسف ٤٠].

١٦ـ لا :

وهي أقدم أدوات النفي في العربية، وقد أنكر كثير من النحاة عملها عمل ليس.

١٧ـ لات:

وهي في الأصح (لا) زيدت عليها التاء لتخصيصها بأحكام، فهي أكثر ما تستعمل في نفي الزمن كما في الآية: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص:٣] .

١٨ ـ أفعال الرجاء والمقاربة والشروع:

[عسى ـ حرى ـ اخلولق] بمعنى عسى (للرجاء).

[كاد ـ كَرَبَ ـ أوشك] (للمقاربة).

[شرع ـ أنشأ ـ أخذ ـ طفق ـ جعل ـ هبَّ] (للشروع) .

وتعتبر هذه الأفعال من أخوات كان.

وهذه الأفعال ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، ويكون خبرها دائماً جملة فعلية فعلها مضارع.

ويقترن خبر هذه الأفعال بـ (أنْ) على النحو التالي:

ـ وجوباً مع: [حرى ـ اخلولق] من الفعل خلُق، أي: صار خليقاً أو جديراً بالأمر.

ـ كثيراً مع: [عسى ـ أوشك].

ـ قليلاً مع: [كاد ـ كرب].

ويمتنع اقترانه بـــ (أنْ) مع جميع أفعال الشروع، وللعلم فإن أفعال المقاربة والرجاء والشروع لا تتصرف، أي: تستعمل في الماضي فقط ما عدا: [كاد وأوشك وطفق وجعل] فيأتي منها المضارع، مثل: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة:٢٠] وقولك: يوشك الصيف أن ينتهي .

* ملاحظات:

١ـ تدخل الباء الزائدة على أخبار[ليس وما ولا وكان المنفية] لتأكيد النفي.

٢ـ الفعل (أخذ) معناه حاز الفعل لنفسه فهو يفعله، أمّا (جعل وأنشأ) فمعناه أوجد ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة:٧٢] .

٣ـ الفعل (كاد) إثباته نفي ونفيه إثبات، فإنْ قلت: كاد يفعل، فمعناه لم يفعل وإنْ قلت: ما كاد يفعل، فمعناه فعله بعد جهد ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١] .

❁❁❁❁

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

لقد جاء السياق القرآني بالنفي، ونعلم أنّ النفي أعمّ من النهي، فهلاّ قيل في هذه الآية (وينهاكم) بدل ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ ؟

الجواب:

في هذه الآية لطيفة يمكن أن تستشفّها حين تعلم أنّ المسيح عليه السلام لم ينههم عن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً؛ لأنه لا يخطر بالبال أن تتلبّس به أمة متدينة، فاقتصرت الآية بنفي الأمر لا بالنهي، ولذلك عقّب بالاستفهام الإنكاري ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا لم تذكر النبوة في آية آل عمران ٨١، مع أنها وردت في الآية قبلها ٧٩ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩]؟

الجواب:

١ـ (النبوة) وفى قراءة (النبوءة). النبي من النباوة بمعنى الرفيع الشأن (نبا ينبو بمعنى ارتفع يرتفع)، والنباوة بمعنى الرفعة، أو أن تكون من النبأ لأنه ينبيء عن الله عز وجل، و كلاهما وارد.

٢ـ الآية الأولى ٧٩، نلاحظ أنه في بدايتها ذكر النبوة، هناك قال: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ فلمّا قال: (بشر) ذكر النبوة ولم يذكر النبيين.

وأمّا في الآية ٨١، فقد ذكر النبيين فلا داعي لإعادة ذكر النبوة مرة أخرى؛ لأنه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:٨١] فلا يحتاج إلى ذلك.

فإذن لّما ذكر النبيين هناك ذكر النبوة، وهنا ذكر النبيين فلم يحتج لذكر النبوة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [آل عمران:٨١] كيف يأخذ ميثاق النبيين قبل مجيء الرسل؟

الجواب:

قيل: إنّ الله سبحانه لم يبعث نبياً منذ آدم إلى سيدنا عيسى عليه السلام إلا أخذ عليه هذا الميثاق: [إذا جاء محمد وأنت حيّ لتؤمنن به ولتنصرنه].

وفي الحديث «**والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم لما وسعه إلا أن يتبعني**» فهو إذن أخذ ميثاق النبيين جميعاً أنه لئن جاء الرسول الخاتم ليؤمنن به، أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري؟ قالوا: أقررنا.

إذن أخذ الميثاق على كل الأنبياء: لئن بُعث هذا الرسول الخاتم وهو موجود ليؤمنن به ولينصرنه، فكل الأنبياء تعلم بقدوم الرسول ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران:٨١] الإصر: هو العهد الثقيل والميثاق القوي، وقيل: إنه آدم عليه السلام عندما أُخرج من الجنة نظر إليها فرأى مكتوبا على بابها: [لا إله إلا الله محمد رسول الله].

السؤال الثالث:

قال تعالى في آية البقرة ٦٤: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٤] وفي آية آل عمران ٨١ قال: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [آل عمران:٨٢] ولم يقل مثلاً: من بعد ذلك ، و(من) تفيد الابتداء، فما الفرق في المعنى ؟

الجواب:

السبب ـ والله أعلم ـ أنّ آية البقرة في بني إسرائيل وتعداد نعمه عليهم وعصيانهم مع ظهور الآيات البينات، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١] فهم بعد أنْ فرق بهم البحر وأغرق آل فرعون اتخذوا العجل بلا مدة فاصلة، فجاء بــ (من) فقال: ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ ولم يقل (بعده).

ثم عفا الله عنهم من بعد ذلك، ثم إنهم قالوا لموسى: إنهم لن يؤمنوا بعد ذلك كله حتى يروا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فأماتتهم، ثم بعثهم الله من بعد الموت بلا مهلة فجاء بمن ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٦] للدلالة على ابتداء بعثهم بعد موتهم بلا مهلة، ثم رفع فوقهم الطور، ثم تولوا من بعد ذلك فجأة، فما أقسى قلوبهم !!!! يعصون من بعد الآيات فجأة .

وليس الأمر كذلك في آية آل عمران؛ لأنّ الكلام مع النبيين، وليس المقام مقام تبكيت ولا أنهم يتولون مباشرة من بعد الميثاق، وإنما هو مقام ترهيب وتوعد لمن تولى بعد الميثاق.

السؤال الرابع:

كم مرة ورد الفعل ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ مؤكَّداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته ؟

الجواب:

ورد الفعل ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾أو﴿لَيُؤۡمِنَنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة أربع مرات في القرآن، وكلها لم يتحقق في عالم الواقع ،وهذه المواضع هي:

١ـ آية آل عمران ٨١: تخبر أنّ الله أخذ العهد على الأنبياء السابقين أنه من أدرك النبي محمداً ﷺ فعليه أنْ يؤمن به وينصره ويتبعه، فوافق الأنبياء وأعطوا العهد .

لكن على صعيد عالم الواقع لم يدرك أحد من الأنبياء السابقين الرسول ﷺ على وجه الأرض، وأما اجتماعه بهم في بيت المقدس وفي السماوات فهذه معجزة خاصة، وهم لم يكونوا أحياء وقتها على وجه الأرض بالوضع الاعتيادي المعروف.

٢ـ آية النساء ١٥٩: تخبر أنّ كل نصراني سيؤمن بعيسى عليه السلام وهو على فراش الموت ويعرف أنه ليس إلهاً كما كان يزعم، لكنّ هذا الإيمان يتم في وقت لا يقبل فيه لأنه يتم عند الغرغرة، فكأنّ هذا الإيمان لم يحصل في عالم الواقع.

٣ـ آية الأنعام ١٠٩: تخبر أنّ المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أنْ يقدم لهم آية حسية ومعجزة مادية وأقسموا أنهم سيؤمنون إذا تحقق ذلك ﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾ ولقد كانوا كاذبين، والله سبحانه أخبر عنهم بذلك: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام:١٠٩].

فالإيمان المؤكد منهم لم يتحقق أيضاً في عالم الواقع.

٤ـ آية الأعراف ١٣٤ تتحدث عن وعد فرعون لموسى عليه السلام بالإيمان المؤكد شريطة أن يرفع عنهم الرجز والعذاب، فلمّا دعا موسى ربه وتم ذلك لم يؤمنوا ونكثوا في عهدهم وعادوا إلى التكذيب.

و هذا الإيمان أيضاً لم يحصل في عالم الواقع، ما الحكمة في ذلك ؟

يبدو أنّ الإيمان الصادق لا يحتاج إلى توكيد لفظي باللسان؛ لأنه تصديق ويقين استقر في القلب وانعكس على الجوارح، وأثرّ ذلك في سلوكه وحياته فأصبح مؤمناً.

وهذا الأمر لا يحتاج إلى دعاية إعلامية ولا إلى توكيد لفظي، وصاحب النقص هو الذي يحتاج إلى مثل ذلك .

لكنّ الإيمان ليس بالتمني ولا بالتوكيدات، وإنما الإيمان الحقيقي هو ما وقر في الصدر وصدّقه العمل، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول:

لِم ابتدأت الآية بالاستفهام، وحقها من حيث الظاهر أن تبدأ بالنهي؛ أي: لا تبتغوا غير دين الله؟

الجواب:

تدبّر واعتبر من هذه الآية التي جاءت على طريقة الاستفهام الإنكاري الذي يحمل معاني التوبيخ والتحذير، إذ كيف يمكن للإنسان أن يختار ديناً غير دين الله والأجرام العلوية الكبيرة انصاعت لأمره وأسلمت؟!

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الكَره) ـ بفتح الكاف ـ (والكُره) ـ بالضم؟

الجواب:

قيل هما واحد، وقيل:

١ـ الكَره: (بالفتح) هوالمشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمل عليه بإكراه أو ما كرهه الإنسان، أي: هو العمل مع الإكراه والإجبار من آخر .

٢ـ الكُره: (بالضم) هوما يناله من ذاته وهو يعافه، أو ما أُكره عليه الإنسان وهو العمل مع المشقة .

وعلى هذا المعنى جرى استعمال القرآن .

* شواهد قرآنية: الكَره: (بالفتح):

ـ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصِّلَت:١١] ولم يقابل الطوع بالكُره.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء:١٩] أي: بالإكراه.

وكذلك الآيات [آل عمران ٨٣ ـ التوبة ٥٣ـ الرعد ١٥].

* شواهد قرآنية: الكُره: (بالضم):

ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] أي: أنّ كره القتال أمر يعود إلى الطبع.

ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:١٥] والحمل والوضع ينالان المرأة وهما مكروهان لها لما فيهما من آلام الحمل والوضع. والله أعلم.

❋❋❋❋

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ في آية البقرة ١٣٦ ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ

﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١] وفي آية آل عمران ٨٤؟

الجواب:

بشكل عام: (إلى) معناها الغاية والوصول، و (على) فيها معنى نوع من الاستعلاء.

لمزيد من المعلومات، انظر: الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (أنزل) و(أوتي) ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ١٣٦: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وقوله في آية آل عمران ٨٤ ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ بدون (الإيتاء) فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الرابع:

لماذا لا يُذكر سيدنا اسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.

السؤال الخامس:

ما أهم الدلالات في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾[آل عمران:٨٤] ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ [آل عمران:٨٤] هو خطاب لفردٍ، وهو النبي ﷺ ومن بعده للأمة المسلمة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا﴾ [آل عمران:٨٤] هو المقول، وهو دليل على انسجام الرسول ﷺ مع الأمة المؤمنة، فكأنّ الأمة الإسلامية قد انصهرت في (قل) وكأنّ الرسول موجود في ﴿ءَامَنَّا﴾ ، وبالتالي يصبح خطاب الحق إليهم خطاباً لوحدةٍ إيمانيةٍ واحدةٍ لا انفصام فيها .

٣ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران:٨٤] فإننا نجد الحق يأتي بالنزول متعدياً بـ (على) كما في هذه الآية، ومرة متعدياً بـ (إلى) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة:٨٣].

والحرف (على) يفيد العلو، أمّا الحرف (إلى) فيفيد الغاية، والفرق بينهما أنّ (إلى) ينتهي بها من كل جهة، بينما (على) لا ينتهي بها إلا من جهة واحدة وهي العلو، ولمّا أتى النبي ﷺ من جهة العلو ناسب قوله: (علينا) لقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾. وكذلك أكثر ما جاء في جهة النبي ﷺ بـ (على).

لذلك الإتيان بـ (على) يفيد العلو ولمصلحة الأمة، والعلية هنا لتزيد مقام المنهج بالنسبة للمؤمنين، فهو قد نزل لمصلحتهم.

أمّا من حيث الغاية فيأتي بـ (إلى) فهو منهج الحق الأعلى، ونزل إلى الرسول ﷺ وعلى الرسول أن يبلغه إلى المؤمنين لمصلحتهم.

❁❁❁❁

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] و ﴿جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة:٢١٣] في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ هناك حكم نحوي مفاده: أنه مع المؤنث غير الحقيقي يجوز أنْ يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً، وكلمة (البيّنات) ليست مؤنثاً حقيقياً؛ لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها.

٢ـ لماذا جاء الفعل مذكراً مع كلمة البينات في آية آل عمران ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] مع أنه جاء معها مؤنثاً في مواضع أخرى كما في آية البقرة ﴿جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة:٢١٣] ؟

فالجواب:

آـ (جاءتهم البيّنات) بالتأنيث: يؤنّث الفعل مع البيّنات إذا كانت الآيات تدلّ على (النبوءات) فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً، كما في قوله تعالى: في سورة البقرة ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩].

ب ـ أما (جاءهم البيّنات) بالتذكير: فالبيّنات هنا تأتي بمعنى (الأمر والنهي) والتذكير فيه معنى القوة ، وحيثما وردت كلمة البيّنات بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكّر الفعل، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] و﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥] وفي سورة غافر ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر:٦٦] .

٣ـ للعلم فقد وردت كلمة (البينات) بصورها المختلفة في القرآن الكريم ٥٢ مرة، وكلمة (البينة) بصورها المختلفة ١٩مرة حسب تعداد المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . والله أعلم .

السؤال الثاني:

في هذه الآية يجيء البيان القرآني من جديد بالاستفهام ويُعرِض عن البيان بالخبر لغرضٍ أراده الله تعالى لا يتأتى إلا بهذا الاستفهام، فما هذا الغرض؟

الجواب:

لو أعملت فكرك في حال القوم، وكيف كفروا وكذبوا بعدما شهدوا الحق لعلمت أنّ المراد بالاستفهام استبعاد الهداية عنهم، وهذا حالهم.

السؤال الثالث:

عبّر في آية آل عمران ٨٦ بالإيمان ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ وفي آية التوبة ٧٤ بالإسلام ﴿بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]، فما السبب ؟

الجواب:

هو لاختلاف حال من عني بهما .

أولاً: شواهد الآيات:

آيات آل عمران (٨٦ – ٨٩):

ـ ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٦ – ٨٩]

آية التوبة ٧٤: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة:٧٤] .

ثانياً: البيـــان:

١ـ فقد ذكر المفسرون أنّ آية آل عمران نزلت في الحارث بن سويد الأنصاري، وكان قد أسلم ثم ارتد ولحق بالكفار ثم ندم، فأرسل إلى قومه ليسألوا رسول الله ﷺ هل له من توبة ؟ فسألوا، فنزلت الآية، فكتبوا بها إليه، فأسلم وحسن إسلامه، فكانت حاله حال إيمان ولم يكن في إسلامه أولاً ممن عرف بنفاق ، ولا أنه أبطن خلاف ما ظهر منه من إسلامه، فكانت حاله حال إيمان وتصديق ولم يظهر خلافه، وذلك هو الإيمان ، فناسب وصفه بالإيمان ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٨٦] وهو التصديق بالقلب.

٢ ـ أما آية التوبة، فنزلت في الجُلّاسِ حين قال في غزوة تبوك: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرٌّ من الحُمُر، فنُمِيَ ذلك إلى رسول الله ﷺ فاستدعاه، فحلف ما قال، وكان منافقاً معروف النفاق يتظاهر بالإسلام ويبطن خلافه، فأنزل الله في قضيته ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤] فقيل هنا ﴿بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ مناسبةً للحال .

❁❁❁❁

﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ في آية البقرة ٨٦ وكلمة ﴿يُنظَرُونَ﴾ في آية البقرة ١٦٢ وآل عمران ٨٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٦.

❁❁❁❁

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآيات التالية:[البقرة ١٧٣ـ البقرة ١٨٢ـ البقرة ١٩١ـ آل عمران ٨٩ـ المائدة ٣] قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] مؤكدة بـ(إنّ)، بينما قال في آية النحل ١٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨] فأكدها بـ(إنّ واللام)، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية في الآيتين بين قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿لَّن تُقۡبَلَ﴾ [آل عمران:٩٠] وفي الآية الثانية: ﴿فَلَن يُقۡبَلَ﴾ [آل عمران:٩١] ؟

الجواب:

أولاً ـ ينبغي أن نعلم الفرق بين (الواو) و(الفاء) في التعبير حتى نحكم، (الواو) لمطلق الجمع، وقد يكون عطف جملة على جملة، نحو قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٦-٩٧].

أما (الفاء) فتفيد السبب، وهذا المشهور في معناها (درس فنجح)، فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو؛ لأنّ الواو لمطلق الجمع.

ثم إنّ (الفاء) يؤتى بها في التبكيت، أي: التهديد، أي: لو عندنا عبارتان إحداهما فيها (فاء) والأخرى (بغير فاء)، وهو من باب جواز الذِّكر وعدم الذِّكر نضع (الفاء) مع الأشد توكيداً.

* شواهد قرآنية: قوله تعالى:

١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء:١٣٧] ليس فيها فاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد:٣٤] لأنهم لا تُرجى لهم توبة.

ففي الأولى هم أحياء قد يتوبون، وعندما لم يذكر الموت لم يأت بالفاء، ولمّا ذكر الموت جاء بالفاء.

٢ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران:٩١]

ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠]

الآيتان فيهما نفس التعبير، والنفي بـ(لن) جاء في الآيتين، لكنّ واحدة جاءت بالفاء، فالآية الآولى تتحدث عن قوم ماتوا وانتهوا ولن يقبل منهم توبة بعد الموت ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [آل عمران:٩١] انتهى عملهم ،أمّا الآية الثانية فهي تتحدث عن قوم كفروا ولم يموتوا ومجال التوبة ما زال مفتوحاً أمامهم.

و(الفاء) هنا تقع في جواب اسم الموصول لشبهه بالشرط، فجاءت الفاء زيادة للتوكيد.

ثانياً ـ هناك أمران: الأول أنّ الفاء تكون للسبب (سببية) نحو «أُدرُسْ فتنجحَ» و يُنصب بعدها المضارع، والثاني أنْ تأتي (الفاء) مع التبكيت والتهديد لإعطاء القوة للمعنى ، كما في قوله تعالى:

ـ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥].

ـ﴿ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ [محمد:٣٤] .

ومثل ذلك السؤال عن الفرق بين ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ ﴾ [الروم:٩] و﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ ﴾ [غافر:٨٢].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [آل عمران:٩١] ؟

الجواب:

هل يمكن أنْ تتخيل الأرض وهي مملوءة بالذهب؟ إنّ ذلك من المستحيلات، ولكن القرآن استطاع بهذه الصورة أن يُكنّي عن الكثرة المتعذرة المستحيلة التي تقوّي بدورها عدم قبول التوبة وفداء الكفار الذين ماتوا وهم على ذلك.

❁❁❁❁

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿الْبِرَّ﴾ [آل عمران:٩٢] في الآية ؟

الجواب:

كل مادة مركبة من (الباء والراء) تقود إلى معنى السعة .

١ـ البَرّ: أي الأرض اليابسة المتسعة، ومقابله البحر، وهو متسع أيضاً وأوسع من البَرّ، لكن حركتك في البحر مضيقة لا تتحرك فيه إلا بسفينة أو لوح خشب مثلاً، وأمّا حركتك في الأرض (البَرّ) فهي موسعة تتحرك كيف شئت وبطرق عديدة. •

٢ـ البِرُّ: التقوى والطاعة أو البركة أو هو الجنة، وكلها معانٍ ملتقية إلى السعة، فالطاعة تؤدي إلى السعة وكذلك التقوى والجنة.

٣ـ البُرُّ: القمح فيه معنى السعة، فهو أول وأكثر غذاء يحتاجه الإنسان في طعامه.

❁❁❁❁

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول:

مادلالة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ؟

الجواب:

أي: أنه قبل نزول التوراة كان حلاً لبني إسرائيل كل أنواع المطعومات سوى ما حرمه إسرائيل على نفسه .

وأمّا بعد التوراة فلم يبق كذلك، بل حرّم الله عليهم أنواعاً كثيرة .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ مع أنّ اليهود حرّفوا التوراة قبل الرسول ﷺ عن مواضعه، ومن بعد أنْ وضعوه في مواضعه عادوا مرة أخرى وحرّفوه، أي: غيّروا فيها تغييراً جديداً، ومع ذلك بقيت إشارة إلى نبوة محمد ﷺ في التوراة.

وهذه الآية تدل على أنّ اليهود قد نازعوا رسول الله ﷺ حول موضوع تحريم بعض المطعومات، فلهذا المعنى طالبهم الرسول ﷺ بنص التوراة لبيان أنّ كون هذه المطعومات مباحة في الزمن القديم، وأنها إنما حرمت بسبب أنّ إسرائيل حرمها على نفسه .

❁❁❁❁

﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ عرّف كلمة (الكذب) مع أن القرآن الكريم استخدمها (نكرة) كما في سورة يونس (١٧)، فما دلالة تنكير (الكذب) أو تعريفه؟ وما معنى (الافتراء) ؟

الجواب:

١ـ الافتراء هو الكذب، والافتراء في الأصل مأخوذ من (الفري)، وهو قطع الجلد، وافترى الجلد كأنه اشتدّ في تقطيعه تقطيع إفساد، فأُطلق الافتراء على الكذب بغرض الإفساد، وأيُّ إفساد أعظم من إفساد شريعة الله تعالى!

٢ـ (المعرفة) هي ما دلّ على شيء معين، و(الكذب) يقصد شيئاً معيناً أو أمراً معيناً، فعندما يقول: (الكذب)، فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق، أمّا عندما يقول: (كذبٌ) بالتنكير، فيشمل كل كذب، مثل قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤] فالكلام عن الطعام، وهوأمر معين، فقال: ﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ في هذه المسألة التي تتعلق بالطعام ، فقال: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ [آل عمران:٩٤]؛ لأنّ الكذب في مسألة معينة محددة.

٣ـ (التنكير) كذب عام يشمل كل كذب، وليس الكذب في مسألة معينة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس:١٧] فلم يذكر مسألة معينة حصل كذب فيها فالكذب عام، والتنكير في اللغة يفيد العموم والشمول.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟ وهل البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام ؟ وهل بُني أو وُضِع للناس؟

الجواب:

علماؤنا خاضوا في هذا الأمر، فمنهم من قال: بناه آدم، ومنهم من قال: ابتدأ بناءه نوح، ومنهم من قال: بنته الملائكة، وبعض المفسرين يقول- حتى يجمع الآراء والروايات الواردة-: يمكن أنْ نقول بنته الملائكة وبمرور الوقت خرب ، وجدده آدم ، ثم جدده إبراهيم.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦] يعني في هذا المكان الذي يزدحم فيه الناس، ولم يقل: (مكة)؛ لأن مكة كبيرة واسعة وحتى لا يأتي شخص ويقول: البيت ليس هنا وإنما في مكان آخر في مكة. فقوله: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦] يعني في هذا المكان الذي تزدحمون عنده قطعاً، ولم ترد فيه قراءة أخرى.

السؤال الثاني:

ما سبب المغايرة بين استعمال (بكّة) و(مكّة) في القرآن؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾[آل عمران:٩٦] هنا قال: (بكة)، ولم ترد هنا حتى في القرآءات الشاذة (مكة) والآية الأخرى هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح:٢٤].

٢ـ (الباء) و(الميم) يتعاوران؛ لأنّ المخرج واحد من الشفتين، الميم طبعاً خيشومية متوسطة، والباء شديدة انفجارية.

ونجد أن كلمة (بكة) مأخوذة من البكّ (ب- ك- ك) بكك بمعنى ازدحم، فكأنّ القرآن الكريم يريد أن يقول لنا: إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة، ولذلك أكّده لنا بقوله: ﴿لَلَّذِى﴾ [آل عمران:٩٦] أي هو المكان الذي تزدحمون فيه في الطواف، ثم وضحه أكثر فقال :(ببكة).

قد يقول قائل: لماذا؟ والجواب: حتى لا يأتي يوم من الأيام ويقول قائل: إنّ أول بيت في مكة ، لكن ليس في هذا الموضع وإنما هو في موضع آخرفي مكة، ولو قال: (الذي بمكة) فمكة واسعة ، ويمكن أنْ يأتي شخص يقول لك: ليس هذا البيت هو المقصود ، ولربما يكون في مكان آخر.

وسميت (مكة) لأنها تمكّ الناس كأنها تمتصهم للمجيء إليها ، و(مكة) من (ملكّ الفصيل ضرع أمه) أي: تجذب الناس إليها ، وهي المدينة الواسعة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في هذه الآية ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ وفي آية البقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧] فلِمَ جاءت الآية هنا بكلمة ﴿وُضِعَ﴾ [آل عمران:٩٦] ولم يتكرر فعل ﴿يَرْفَعُ﴾ ؟

الجواب:

اعلم أنّ (الوضع) هنا هو (الحطّ)، وهو ضد الرفع، وكلما كان الشيء المرفوع بعيداً عن التناول كان الموضوع قريب التناول، وأُطلق هنا (الوضع) ليدل على دنوّه وقربه ولتهيئة انتفاع الناس به، وأُطلق (الرفع) في بناء إبراهيم عليه السلام للبيت تشريفاً لإبراهيم واسماعيل عليهما السلام في رفع قواعد البيت.

السؤال الرابع:

إذا علمت أن (بكة) هي (مكة) وأنّ المقصود من البيت هو الكعبة ، فلِمَ لمْ تصرِّح الآية باسم العلم (الكعبة)؟ ولِمَ جاءت بلفظ (بكة) دون (مكة)؟

الجواب:

(بكة) بالباء اسم موضع البيت، و(مكة) بالميم هي اسم بقية الموضع، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى عدل عن اسم العلم وهو (الكعبة) إلى تعريفه بالموصولية بأنه ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ لأنّ هذه الصلة أشهر عند السامعين ، بخلاف اسم (الكعبة) فقد أُطلِق اسم الكعبة على (القُلّيس) الذي أطلقه أبرهة الحبشي في صنعاء، لذا كان الاختيار الأفصح (بكّة)؛ لأهمية هذا المكان ولخصوصية ما يتعلق به من أحكام.

❁❁❁❁

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧] وقال في سورة إبراهيم: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨]

فما سبب الاختلاف في صيغة فعل الشرط بين الماضي والمضارع؟

الجواب:

في آية آل عمران ٩٧ جاء فعل الشرط بالفعل الماضي﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ وفي آية سورة إبراهيم ٨ قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟﴾ [إبراهيم:٨] جاء فعل الشرط بصيغة المضارع.

و الفعل الماضي بعد أداة الشرط مع المستقبل يفترض الحدث مرة واحدة، أمّا فعل المضارع فيدلّ على تكرار الحدث.

السؤال الثاني:

جاءت كلمة ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مع آيات الحج كما في آية الحج ٢٧، و آية آل عمران ٩٧، فلماذا ؟ والناس فيهم الكافر والمسلم، ولم يقل على المسلمين مثلاً أو على المؤمنين ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في آل عمران ٩٦ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ فذكر:

آ ـ أنّ هذا البيت وضع للناس، فناسب أنْ يدعو الناس إلى حجه .

ب ـ وقال: ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ فذكر العالمين، فناسب أن يدعو العالمين إلى حجه.

ج ـ وقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧] فذكر العالمين فناسب أن يدعو العالمين إلى حجه.

٢ـ الحج يختلف عن كل العبادات، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] يعد دعوة للناس أجمعين للدخول في الإسلام ، بخلاف ما لو قال: صلّوا أو صوموا، والسبب في ذلك أنّ الصلاة والزكاة والصيام تشترك فيها جميع الديانات، حتى كفار قريش كانوا يصلون.

* شواهد قرآنية:

ـ عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم:٥٥].

ـ عن الصوم: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

ـ عن موسى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس:٨٧].

ـ عن كفار قريش: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥].

فلو قال: صلّوا أو زكّوا أو صوموا، لقالوا: إننا نفعل ذلك .

إذن هذه الدعوات لو قالها لا تكون دعوة للدخول في الإسلام، بخلاف الحج؛ لأنّ أهل الكتاب من النصارى واليهود لم يكونوا يحجون إلى بيت الله الحرام، فلما قال الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] كان معناها أن الكلُّ مدعوّ للدخول في الإسلام؛ لأنّ هذه هي العبادة الوحيدة التي لم تكن عند أهل الكتاب، هم كانوا يصلون ويزكون ويصومون، إلا الحج لم يكونوا يحجون لمكة .

ولذلك هذه دعوة للدخول في دين الله . والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ فما الفرق بين الألفاظ الثلاثة: [قدر ـ استطاع ـ أطاق] في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٨٤ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية تنوع في الخطاب من الأمر إلى الاستفهام، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر كيف تنوع الخطاب القرآني في هذه الآية بأساليب الإنشاء ، وما ذلك إلا لأغراض أرادها من ورائه، فأولاً جاء بالأمر ﴿قُلْ﴾ اهتماماً بالمقول، وافتتح المقول بالنداء تسجيلاً عليهم، ثم بالاستفهام إنكاراً لكفرهم بآيات الله تعالى، فتذوق تفنن التعبير القرآني ودلالاته.

❋❋❋❋

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آل عمران ٩٩ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ وفي الأعراف ٨٦ ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ [الأعراف:٨٦] بزيادة الواو ؟

الجواب:

في آية آل عمران جملة ﴿تَبْغُونَهَا﴾ حال من الضمير (تصدون)، أو من (السبيل) وإذا كان الفعل حالاً لا يدخله الواو .

وأما في آية الأعراف: فهي جملة معطوفة على جملة(توعدون)؛ ولذلك كانت ﴿وَتَبۡغُونَهَا﴾ [الأعراف:٨٦] كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ولم يقل: (آتيناهم الكتاب)؟

الجواب:

١ـ القرآن الكريم يستعمل (أوتوا الكتاب) في مقام الذم، ويستعمل (آتيناهم الكتاب) في مقام المدح.

❁ شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة:١٠١] هذا ذم.

ـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ [آل عمران:١٠٠] هذا ذم .

٢ـ بينما (آتيناهم الكتاب) تأتي مع المدح .

❁ شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] . مدح.

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القصص:٥٢] . مدح .

٣ـ هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب) و(آتيناهم الكتاب) ، فحيث قال: (أوتوا الكتاب) فهي في مقام ذم ، وحيث قال: (آتيناهم الكتاب) فهي في مقام ثناء ومدح.

والقرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات، وإن لم تجر في سنن العربية، والفعل (أوتوا) في العربية لا يأتي في مقام الذم، وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم.

٤ـ عموماً رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه كما في قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [القصص:٥٢] ، ويأتي بصيغة (المبني للمعلوم) ، بينما يأتي بصيغة (المبني للمجهول) لما فيه ذم ، كما في قوله: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ، ففيها ذم، فنسبه للمجهول.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥] . هذا ذم.

ـ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى:١٤] ، .هذا ذم .

ـ ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ [فاطر:٣٢] هذا مدح.

السؤال الثاني:

ذكر في آية البقرة ١٠٩ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ ولم يذكرها في آية آل عمران ١٠٠ وقال: ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ ، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ (من) تفيد الابتداء .

٢ـ في آية البقرة١٠٩ ذكر الله أنّ كثيراً من الكفار يتمنون لو أنهم ردوا المسلمين من بعد الإيمان كافرين، أي: بلا مهلة، وسبب ذلك: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] فهم يتمنون الإسراع في تكفيرهم وأنْ ينقلوهم فوراً من حالة الإيمان إلى حالة الكفر، فناسب الحرف (منْ) التي تفيد الابتداء مباشرة دون مدة زمنية طويلة .

٣ـ بينما آية آل عمران فيها تحذير للمسلمين من إطاعة الكافرين؛ لأنهم ينفثون فيهم أوهامهم وضلالهم شيئاً فشيئاً حتى يردوهم مع مرور الزمن كافرين، وليس معناه أنهم ينقلونهم فوراً من الإيمان إلى الكفر، فجاء ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، وهي تفيد المهلة المتراخية .

لذلك الآية الأولى مقام (تمنّ) ، والآية الثانية مقام (تحذير).

٤ـ ونجد نفس الأمر في آيات البقرة [٥٥ ـ ٥٦]في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦] ، ومعناها أنّ الله لم يتركهم مدة طويلة ميتين. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية ؟

الجواب:

انظر هنا كيف استطاع الاستفهام أن يُلقي ظلاله البلاغية، فالاستفهام هنا ليس حقيقياً بل خرج إلى معنى الاستبعاد، استبعاد كفر المؤمنين ونفيه.

❁❁❁❁

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ؟

الجواب:

تدبر هذا التمثيل الرائع لهذه النعمة التي حظيت بها الأمة، ألا ترى كيف نقلك قوله تعالى: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ إلى عالم التخيل، وكيف استطاع هذا القول أنْ يقرِّب لك المعقول باستعارة المحسوس إليه، فالنار حقيقة وتصويرها بحفرة تمثيل وتصوير، لكنك ما كنت لتتخيل شناعة هذا الموقف وحال إنقاذك منها دون هذه الصورة الرائعة، فما أكمل بيان الله عز وجل!

ويذكر هنا أنّ أعرابياً كان جالساً وأحد القرّاء - قيل: إنه عبد الله بن مسعود- يقرأ القرآن في المسجد النبوي، والأعرابي ينصت للقارئ، فقرأ هذه الآية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ

﴿مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران:١٠٣] فانتفض الأعرابي وقال: والله ما أخرجنا منها وهو يريد أنْ يعيدنا فيها ثانية، فقال ابن مسعود: خذوها من غير فقيه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾ ، فما هي منظومة هذه الكلمة التي وردت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

منظومة كلمة (شفا) هي:

١- الجنب:

هو الطرف المنيع. والبلاد حدودها معروفة، فإذا اخترق العدو جنوبها فقد ذهبت. و(جنب) الإنسان من الإبط إلى الحوض ومحميان باليدين، فإنْ لم يحصل هذا فأي ضربة قوية على الجنب قد تودي بصاحبها.

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٦] .

٢- الشفا:

المكان المشرف أو طرف هاوية أو طرف بئر عميقة .

كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

٣- ساحل:

هوطرف اليابسة: كما في قوله تعالى: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه:٣٩] .

٤- شاطىء:

طرف الماء.

٥- الجرف:

شاطىء المسيل إذا أخذه السيل يجرف كل شيء في طريقه؛ لهشاشة الأرض الترابية، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة:١٠٩].

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة ﴿تَفَرَّقُواْ﴾ في آية آل عمران ١٠٣، وكلمة ﴿تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشورى:١٣] في آية الشورى رقم ١٣ ؟

الجواب:

نلاحظ في القرآن كله وليس فقط في هذه الآية موضوع الحذف، كما جاء في القرآن مثل: ﴿تَنَزَّلُ﴾ [القدر:٤] و ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ [فُصِّلَت:٣٠]، ﴿تُبَدَّلُ﴾ [إبراهيم:٤٨] والفعل ﴿تَتَبَدَّلُواْ﴾ وكذلك ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النساء:٩٧] و ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النحل:٢٨] ، وهذا الحذف في عموم القرآن، وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين:

آ ـ للدلالة على أنّ الحدث أقلّ.

ب ـ أو أنْ يكون في مقام الإيجاز.

المقارنة بين الآيتين [آل عمران١٠٣ ـ الشورى١٣]:

١ ـ في آية (١٠٣) آل عمران، الكلام فيها عن أمة واحدة لكل المسلمين، وقد نهاهم الله تعالى عن أي جزء من التفرّق ولو كان قليلاً، فقال: ﴿تَفَرَّقُواْ﴾ وأمّا في آية الشورى١٣ في قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى:١٣] فالكلام لكل البشر، وذكر كل الأنبياء من زمن نوح عليه السلام إلى قيام الساعة فقال: (تتفرقوا).

بينما آية آل عمران هي خاصة بالمسلمين؛ لذا جاء الفعل ﴿تَفَرَّقُوا۟﴾[آل عمران:١٠٣] ؛ والسبب أنّ الأمة المحمدية هي جزء من الأمم الإسلامية المذكورة في آية الشورى.

وكذلك فإنّ الحدث ممتد زمنياً في سورة الشورى، فقال: ﴿تَتَفَرَّقُوا۟﴾ ، بينما الحدث محدد في سورة آل عمران، فقال: ﴿تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣] .

٢ـ والملاحظ في آية الشورى أنّ الوصية بعدم التفرق هي وصية خالدة لأمة الإسلام على مدى الأزمان من زمن نوح إلى خاتم الأنبياء عليه السلام فقال ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ ؛ لأنّ التفرق هو المأتى الذي يدخل إليه أعداء الإسلام فيتفرقون به؛ لذا جاءت الوصية خالدة مستمرة فنهاهم عن التفرّق .

٣ـ ونلاحظ أنه تعالى وصّى الأمم مرة، ووصّى الأمة الإسلامية مرتين، فآية الشورى أشد تحذيراً للأمة الإسلامية، فقد قال سبحانه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى:١٣] ، فلم يكتف بـ ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ بل زاد ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ ، أي: شرعه لنا في الوصية العامة لنوح ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وخصّ بـ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: خصّ الأمة الإسلامية في تتمة الآية.

٤ـ والحذف هنا له سببان:

آـ الأول: لأن الأمة المحمدية أصغر من ناحية العدد.

ب ـ ونهانا عن التفرّق مهما كان قليلاً فقال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]

٥ـ وفي آية آل عمران ١٠٣ أراد ربنا تعالى أن نلتزم بهذا الأمر، فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وجاء بالحال المؤكِّدة ﴿جَمِيعًا﴾ وأراد التشديد على الالتزام بهذا الأمر، فأكّد على الجمع الكامل وعلى سبيل العموم والاستغراق كأنه فرضُ عين على الجميع، فلا يُعفى أحد من المسؤولية بأن لا نتفرق وأن نعتصم بحبل الله سبحانه؛ لأنّ الفرد قد يهدم أمّة كما أنه قد يبني أمة، و(أن لا نتفرّق) هو فرض عين على الجميع، وليس فرض كفاية .

٦ـ وذكّرهم بنعم الله عليهم ونهاهم عن التشبّه بمن تفرّق واختلف من الأمم السابقة: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٥]

٧ـ وتوعدهم على ذلك بالعذاب وأطلق العذاب في قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥] ، ولم يقل هنا كما قال في مكان آخر:﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] للدلالة على أنّ عذاب التفرق يطولهم في الدنيا والآخرة.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦] الآية لا تدل على الآخرة؛ لأن كلمة ﴿عَذَابٌ﴾ مصدر، وكلمة ﴿عَظِيمٌ ﴾ صفة ، والمصدر لا يعمل بعد وصفه، ومعنى الآية في التفاسير: اذكروا يوم تبيض وجوه وتسود

وجوه، فهي ليست متعلقة بالعذاب العظيم، والتفرّق يكون عذابه عظيماً في الدنيا والآخرة.

٩ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى:١٣] اختار الاسم الموصول ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾ [الشورى:١٣] عندما ذكر شريعة محمد ﷺ، ولم يقل: (وما أوحينا إليك) ، مع أنّ كليهما اسم موصول؛ لأنّ (الذي) أعرف وأخصّ من (ما) التي تشترك في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث والعاقل وغير العاقل، أمّا (الذي) فهي للمفرد وتسمى مختصاً، وقد بيّن تعالى شريعتنا وعرفناها وعرفنا الأوامر والنواهي، فجاء بالأعرف اسم الموصول (الذي)، بينما نحن لا نعلم على وجه التفصيل ما وصّى الله تعالى نوحاً وعيسى وموسى وإبراهيم، لذا اختار سبحانه (ما) اسم الموصول غير المعرّف.

ونحن معرفتنا بالشرائع الأخرى قليلة، ولا نعلم عنها إلا ما أعلمنا ربنا عنها ، إضافة أنّ معظمها أصابه التحريف، فاستعمل معها (ما) .

١٠ـ خاطب المؤمنين في آية آل عمران ١٠٠، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ آمراً وناهياًومحذراً.

١١ـ في آية الشورى جاء بأن التفسيرية ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ [الشورى:١٣] في حين نهاهم نهياً مباشراً في آل عمران: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ .. وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]

والكلام المباشر الصريح أهم وآكد من المفسـر، فقولك: يا فلان (افعل) أقوى وآكد من قولك: (أوصيته أن افعل). والله أعلم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ والحبل معروف، لكن ما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الحبل في الأصل ما يُشدّ به للارتقاء أو النجاة أو نحوه، فانظر بلاغة القرآن العظيمة في تصويره لهيئة اجتماعهم على دين الله كاستمساك جماعة بحبل أُلقي إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط ليرتقوا به إلى القمم، فما أعظم هذه الاستعارة التمثيلية البليغة التي جعلت الآية فيه على أقوى وجه لتمام البلاغة؛ لكثرة ما فيها من المعاني.

السؤال الخامس:

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمات منظومة الإمساك والسيطرة هي:

١- **الحبل:**

هو كل ما يشد به كي لا يضيع، والحبل هو المفتول القوي. آل عمران ١٠٣.

٢- **الوثاق:**

هو ما يُشد به الشيء حتى لا يهرب كالأسير والسجين. محمد ٤.

٣- **السلسلة:**

هي حبل من حديد متسلسل الحلقات يُشد به السجين أو الأسير. [غافر ٧١- الحاقة ٣٢].

٤ - الطوق:

هو حلقة تُشد حول الرقبة وفيها زردة، ومنها يُقاد الأسير أو السجين وتكون يداه طليقتين والطوق في رقبته. آل عمران ١٨٠.

٥ - الصفد:

وهي التي توضع في الأيدي أو الأرجل كما يفعل مع مجموعات من أهل النار. [إبراهيم ٤٩ ـ ص ٣٨].

٦ - القفل:

هو ما تغلق به الأبواب. محمد ٢٤.

٧- الغل:

هو الطوق نفسه، لكن إذا جمعت إليه اليدان؛ لذلك يوجد في الغل حلقتان واحدة تجمع فيها اليدان، والثانية طوق حول الرقبة. الإسراء ٢٩.

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ ما الفرق بين (النعمة) و(النعيم) ؟

الجواب:

(النعمة) في القرآن هي لنعم الدنيا، وتستعمل مفرداً وجمعاً كما في آيات البقرة[٢١١ـ وآل عمران ١٠٣] ، وجاءت مفردة (١٧)مرة في القرآن .

وأما (النعيم) فهو خاص بنعيم الجنة، وقد وردت كلمة النعيم (١٦) مرة في القرآن.

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ﴾ ، هل (من) هنا للتبعيض ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مِّنكُمۡ﴾. (من) ليست للتبعيض؛ لأنّ الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة باليد أو باللسان أو بالقلب، ولذلك فإن (من) هنا للتبيين لا للتبعيض .

وقيل: هي للتبعيض لمن يقدر على الدعوة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل العلماء والمصلحين؛ لأنّ في القوم من لا يستطيع ذلك كالمرضى والعجزة وقسم من النساء .

السؤال الثاني:

ماذا تشتمل الآية من المطالب ؟

الجواب:

الآية مشتملة على ثلاثة أشياء:

آ ـ الدعوة إلى الخير.

ب ـ الأمر بالمعروف .

جـ النهي عن المنكر.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (جاءهم البينات) و(جاءتهم البينات)؟

الجواب:

١ـ القرآن أحياناً يستعمل معنى الكلمة فيذكر ويؤنث بحسب المعنى.

٢ـ وكلمة (البيّنات) حيث كانت بمعنى (العلامات) الدالّة والآيات والمعجزات أنّثها، وحيث كانت بمعنى (الأمر والنهي) ذكّرها.

* شواهد قرآنية: في التأنيث:

ـ ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩- ٢١٠ - ٢١١] **هذه آيات، فأنث.**

ـ ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٣] **هذه آيات، فأنث.**

ـ ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ ... مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [النساء:١٥٣] هذه معجزات، فأنث.

* شواهد قرآنية: في التذكير:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥] ﴿ذكّر﴾ كلمة(البينات)؛ لأنها بمعنى الدين أو الأمر والنهي وحبل الله، وليست بمعنى المعجزات.

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم هنا في آية آل عمران ١٠٦ (تبيض وجوه) على (تسود وجوه) ثم قدّم بعد ذلك (تسود وجوههم) على (تبيض وجوههم) ، وكان المظنون أن يكون التفصيل على نسق ما بدأ، كما في آيات سورة هود ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود:١٠٥-١٠٦] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود:١٠٨] ؟

الجواب:

آيات سورة آل عمران:

١ـ التقديم والتأخير في آل عمران جرى بحسب القرب والبعد، فمن كان قريباً قدّم القول فيه، ومن كان بعيداً أخّر القول فيه .

والناس صنفان مخاطب وغائب، ولا شك أنّ المخاطب أقرب من الغائب وبيان ذلك من السياق في آل عمران.

٢ـ السياق في آل عمران إنما هو في خطاب المؤمنين، انظر الآيات: [١٠٠ـ ١٠٥] ، حيث نرى أنّ المؤمنين هم المخاطبون ، وهم الذين تبيض وجوههم .

والذين (تفرقوا واختلفوا) هم الذين (تسود وجوههم) ، وهم في السياق غائبون، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥] ، فأخبر عنهم بضمير الغيبة.

ولذلك قدّم القول في المخاطبين فقال: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران:١٠٦] .

٣ـ بعد ذلك كان الكلام عن الذين اسودت وجوههم وهم المخاطبون فيه، وأما الذين ابيضت وجوههم فهم غائبون، انظر قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ ، فقد خاطبهم ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ و ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ .

وأما الذين ابيضت وجوههم فهم غائبون، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران:١٠٧] ، فأخبر عنهم بضمير الغيبة.

فقدّم القول في المُخاطبين كما فعل أولاً، فجرى الكلام على نسق واحد في التقديم والتأخير.

آيات سورة هود:

السياق فيها في ذكرأقوام الأمم الكافرة الذين عصوا رسلهم وأنزل بهم العقوبات، ثم عقّب بعد ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود:١٠٠-١٠١] فالسياق في الأشقياء من الناس؛ فقدّم الأشقياء.

وأمّا التفصيل فيما بعد، فقد جرى على نسق ما ذكر؛ لأنهم كلهم غائبون فهم في منزلة واحدة، فقد قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود:١٠٦] ثم قال بعدها: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود:١٠٨] .

بخلاف ما عليه السياق في آل عمران فإن منهم مخاطباً ومنهم غائب، فجرى التفصيل في هود على ما أجمل، أي لما قال: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود:١٠٥] قدّم الأشقياء، فلمّا فصّل الكلام قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ [هود:١٠٦] ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ [هود:١٠٨] فكان كل تعبير مناسباً في سياقه الذي ورد فيه . والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَذُوقُوا۟﴾، ما دلالات (ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ذاق:

وردت في القرآن الكريم (٦٣) مرة، وهي تعني ذوق العذاب الأليم والبأس والموت والحميم والعذاب الأكبر والعذاب الأدنى وعذاب النار وعذاب السعير وعذاب الحريق، أي: بشكل عام يذوق الإنسان وبال أمره وشر عمله ويجني ما كسبت يداه.

انظر الآيات[آل عمران ١٠٦ ـ السجدة ١٤].

أذقنـــا:

وهي تعني ذوق الرحمة والنعماء، والفاعل في الفعل هو الله تعالى، فمنه الرحمة والخير .

انظر الآيات[يونس ٢١ ـ الشورى ٤٨].

❋❋❋❋

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة البياض والسواد في هذه الآية والتي سبقتها ؟

الجواب:

١ـ في الدنيا نجد صاحب البشرة ذات اللون الأسود؛ لأنّ المادة الملونة للبشرة موجودة في جسده بقوة، وتجد صاحب البشرة ذات اللون الأبيض لأن المادة الملونة للبشرة غير موجودة في جسده بالقدر الكافي، وكلاهما قد أمدهما الله باللون المناسب

حسب اختلاف البيئة، وقد تجد أبيض وجهه مغبر ترهقه قترة، وقد تجد أسود يشع نور اليقين من وجهه.

وفي الدنيا السواد والبياض أمر لا يكرهه الله تعالى، وهو الذي رتب هذا مساعدة للإنسان في التواؤم مع البيئة، ومثل ذلك ينطبق على سواد العين وبياضها، فلا يستطيع أحد أنْ يقول إنّ بياض العين أحسن من سوادها أو العكس؛ لأنّ الله قد أعد كل شيء لمهمته.

٢ـ وأما في الآخرة فقد زالت الدنيا وفنيت وتبدلت الأرض والسماء، وسوف تكون على وجوه الكفار غبرة سوداء وترهقهم قترة، ولو كانوا في الدنيا بيض الوجوه، والذي صيرهم إلى هذا اللون هو الكفر بعد الإيمان ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: بعد إيمانهم بالله الذي تم في عالم الذر.

بينما تجد وجه المؤمن آنذاك مشرقاً أبيض فرحاً برحمة الله تعالى له .

٣ـ وربنا تعالى ذكر القسمين أولاً، فقال: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ فقدّم البياض على السواد، ثم لمّا شرع في حكم هذين القسمين قدّم حكم السواد فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ ، ثم قال بعدها في الآية التي تليها: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٧] .

والسبب في ذلك أنّ الله ابتدأ بذكر البياض ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ﴾ ،لأنّ فيه تقديم الأشرف على الأدنى، كما أن الواو للجمع لا للترتيب .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾ ، وقوله تعالى في آية الأعراف ٤٢ : ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)﴾ [الأعراف:٤٢] ، فما دلالة الكلمتين: (الجنة) و﴿الرحمة﴾ ؟

الجواب:

١ـ الجنة مخلوقة لله وهي باقية بإبقاء الله لها، بينما الرحمة باقية ببقاء الله تعالى، وهذا ضمان كاف، فمن يرى اللهُ فيه حُسنَ العبادة لذاته سبحانه، يضعه الله في الرحمة .

٢ـ هناك جنة من الجنات اسمها (علِّيُّون) ليس فيها متعة من المتع التي سمعنا عنها في الجنة من أكل لحم الطير والفواكه، وليس فيها إلا أن ترى وجه الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] .

وما دام العبد لا يأكل في الجنة عن جوع وإنما عن متعة، فما الأفضل له جنة المتع أم متعة رؤية وجه الله ؟ أي أتتمتع بالنعمة أم بالمنعِم ؟ لا شك أن التمتع بالمنعِم أرقى وأسمى من التمتع بالمتع الأخرى .

إضافة إلى أنّ رحمة الله تحيط بهم، ويؤكد الحق أنهم داخلون فيها بظرفية جديدة بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)﴾ [الأعراف:٤٢].

فالحق يطمئننا في الآية أنّ قوله: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ هي للدخول إلى الرحمة وأنّ قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾ أي: أنها لا تنزع منهم أبداً فهم خالدون فيها، اللهم اجعلنا منهم . اللهم آمين.

السؤال الثالث:

هل من لطائف عددية في القرآن حول (اللون الأبيض) ؟

الجواب:

وردت كلمة (الأبيض) ومشتقاتها في القرآن في (١٢) موضعاً تجدها في الجدول التالي:

مسلسل	الكلمة	السورة ورقم الآية	الآية
١	﴿ٱبۡيَضَّتۡ﴾	[آل عمران: ١٠٧]	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾
٢	﴿وَٱبۡيَضَّتۡ﴾	[يوسف: ٨٤]	﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾
٣	﴿تَبۡيَضُّ﴾	[آل عمران: ١٠٦]	﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾
٤	﴿ٱلۡأَبۡيَضُ﴾	[البقرة:١٨٧]	﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾
٥	﴿بَيۡضَآءُ﴾	[الأعراف: ١٠٨]	﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ﴾
٦	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[طه: ٢٢]	﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾
٧	﴿بَيۡضَآءُ﴾	[الشعراء: ٣٣]	﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾
٨	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[النمل: ١٢]	﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾
٩	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[القصص: ٣٢]	﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾
١٠	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[الصافات: ٤٦]	﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦﴾
١١	﴿بِيضٞ﴾	[فاطر: ٢٧]	﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ﴾
١٢	﴿بَيۡضٞ﴾	[الصافات: ٤٩]	﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾

المجموع لأرقام الآيات أعلاه هو: (٨١٣).

* ملاحظات:

١ـ اللون الأبيض هو الأساس لجميع الألوان، وإذا تم تحليله ينتج عنه ألوان الطيف السبعة .

٢ـ جُمّل كلمة (أبيض) هو: (١+٢+١٠+٨٠٠) ويساوي (٨١٣).

والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾

السؤال الأول:

ما أهم النقاط البيانية في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ تفيد الحصر بتقديم الجار والمجرور، أي: له فقط لا لغيره.

٢ـ قال: ﴿مَا﴾، ولم يقل: (من)؛ لأنّ المراد الإشارة إلى الحقائق والماهيات، فدخل فيه الكل ، والحرف (ما) أشمل وأعم من (من).

٣ـ كرر ﴿مَا﴾ مع السموات ومع الأرض للتأكيد على المعنى، فالسماوات ملكه والأرض ملكه، ولا يشاركه فيهما أحد مطلقاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة حرف الجر في الآية: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ ؟

الجواب:

كلمة (إلى) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ لا تدل على كونه تعالى في مكان وجهة، بل المراد أنّ رجوع الخلق إلى موضع لا ينفذ فيه حكم أحد إلا حكمه، ولا يجري فيه قضاء أحد إلا قضاؤه . والله أعلم .

❊❊❊❊

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ جاء لفظ ﴿كُنتُمْ﴾ في الماضي؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعني هذا وجودكم، وهذه كينونتكم. ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعني: أُوجِدت إيجاداً، وجملة (كنتم خير أمة أخرجت للناس) لا تعني: كنتم خير أمة في الماضي والآن أنتم لستم خير أمة، لكنْ تعني أنتم كوّنتم أمة خيرية.

٢ـ لماذا (كوّنتم)؟ لأنّ هذه الأمة أمة عالمية وليست أمة عرقية، ومن بدء الإسلام كان فيها العربي والفارسي والحبشي والرومي، وليس عبثاً أن يدخل هؤلاء في الإسلام في أول تكوينه في مكة في بنية الإسلام، هذا التكوين هو تكوين خيري .

٣ـ ثم وصفهم ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ كنتم خير أمة بهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكينونة متصلة بالوجود حقيقة.

٤ـ مسألة (كان) لا تشير إلى الماضي دائماً ولكن بحسب موقعها، وقد تشير إلى معنى الاستمرار.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء:٩٦] يعني هذا هو الله ، وهذا شأنه سبحانه وتعالى أنه غفورٌ رحيم، وأنه بهذه الصفة. والله تعالى موصوف بالمغفرة وبالرحمة، وهذا كونه وهكذا وجوده ، ولا يعني أنها في الماضي.

٥ـ لمعرفة المزيد عن كان وأخواتها انظر ذلك في آية آل عمران رقم (٧٩).

السؤال الثاني:

ما المقصود بكلمة (أمة) في الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ؟

الجواب:

الأمّة في اللغة لها أكثر من معنى، ومن معانيها: الجماعة من الناس الذين هم على فكر واحد أو على اعتقاد واحد، فيسمون (أمة)؛ ولذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ، هذا لا يعني العِرق العربي ، وإنما أمة الإسلام.

وهناك معانٍ أخرى لكلمة (أمّة) ، وفي لسان العرب نجد أنه ينقل أكثر من معنى لهذه اللفظة .

فمن معاني الأمة: الرجل المتفرد في علمه وفي خلقه، وعندما يكون متفرداً في شيء يقولون: (فلان أمة) ، ويعني: كأنّ الأمة اجتمعت فيه بكل عقولها وبكل أذهانها. ومن معاني الأمة: الرجل المُتّبَع.

وكِلا هذين المعنيين يصلح على إبراهيم عليه السلام، فهو الرجل الذي لا نظير له والإمام المتّبع، كما قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٠] قال أبو عبيدة: أمة، أي: إماماً.

فإذن يحتمل من حيث اللغة المعنيين؛ لأنه عليه السلام كان منفرداً عن سواه بالرسالة، وبالنبوة، وهؤلاء لا نظير له بينهم.

السؤال الثالث:

فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ، ما فائدة البناء للمجهول؟

الجواب:

ما قال: (خرجت)؛ لأنّ ربنا أخرجها إخراجاً، وهذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها فقال: (أُخرجت للناس)، ولم يقل: خرجت من تلقاء نفسها.

الفعل (أخرج) فعل متعد نحو: (أخرجته)، بينما الفعل (خرج) فعل لازم نحو: (خرجت من البيت).

و﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] أي أنّ الله سبحانه وتعالى أخرجها على نمط معيّن كما يريد، ولم تخرج من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. وهذه الأمة أُخرجت بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة.

السؤال الرابع:

لماذا عبّر تعالى بكلمة (الفاسقين) بدل (الكافرين) في قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ ؟

الجواب:

١ـ نعلم أنّ المؤمنين يقابلهم الكافرون، ولكنّ الله تعالى استخدم لفظ ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في مقابل المؤمنين في الآية. وكما نعلم فإنّ مراحل الإيمان هي: [إسلام، إيمان، تقوى، إحسان، اطمئنان]، وكذلك فإنّ الكفر مراحل، وكلمة (كافر) تُطلق على واحد من ثلاثة أنواع:

آـ ملحد: وهو الذي لا يؤمن بوجود إله .

ب ـ مشرك: وهو الذي يؤمن بوجود الله، ولكنه يُشرك معه إلهاً آخر .

ج ـ وكافر: وهو الذي يؤمن بوجود إله واحد، لكنه يرفض عبادته وتصديق ما بعثه إلى رسله.

وإبليس عليه لعنة الله تعالى كان يعترف بوجود الله الواحد، لكنه رفض أوامر الله تعالى وعصاه ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:٣٤] .

٢ـ و(الكفر) إمّا أن يكون عن جهالة، ويقال لصاحبه: (كافر)، وإمّا أن يكون عن علم كأنْ يكون مؤمناً ثم يكفر مثل إبليس، ويقال لصاحبه: (فاسق) ومعنى الفسق مشتق من(فسقت النواة من التمرة إذا خرجت منها، بمعنى كانت فيها ثم خرجت منها)، فالخارج من منهج الله تعالى يسمى (فاسقاً) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف:٥٠] فالفاسق هو أسوأ أنواع الكفار.

٣ـ إذن من حيث العقيدة هناك: (كافر ومشرك وملحد)، ومن حيث الأصل هناك (كافر أصلي وكافر فاسق) ، ومن حيث إعلان الكفر هناك (كافر صريح ومنافق).

وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الآية تتحدث عن الذين كانوا يعرفون علامات الرسول ﷺ من كتبهم ويعرفون صفاته في التوراة والإنجيل، ثم حرّفوها وكتموا عليها، فأولئك كفروا وهم يعلمون أنّ الرسول ﷺ حق من قبل أن يُبعث وكفروا به بعد البعثة، فكان من الأنسب استخدام لفظ (الفاسقين) بدل (الكافرين) .

فسبحان الله تعالى ما أعظم هذا القرآن! وما أجمل هذه اللغة التي بها نزل.!

السؤال الخامس:

في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ ، إذا علمت أنّ الاهتمام غالباً هو سبب التقديم في الكلام دون غيره، فهل

لقائل أن يقول: إنّ الإيمان بالله يأتي في المرتبة الثانية بعد فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟.

الجواب:

طبعاً لا، وإنما قدّم ما هو الأهم في هذا المقام للتنويه بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأخرُ الكلام عن الإيمان فيه دليل على أنّ إيمانهم ثابت محقق من قبل، وتأخير ما هو أقوى في الترتيب لا يضعف من أهميته، وإنما يزيد من أهمية ما سبقه.

السؤال السادس:

قوله في هذه الآية: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ باستخدام اسم التفضيل (أكثر)، بينما في سورة الحديد في الآيتين المتتاليتين [٢٦ـ ٢٧] قال تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد:٢٦] ، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قال سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ، ثم قال: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد:٢٧] ، فاستعمل صيغة (كثير) في الآيتين .

٢ـ (كثير) على وزن (فعيل) ، وهي صفة مشبهة. (أكثر): اسم تفضيل. ويعبّر بـ (أكثر) إذا كان السياق في تعداد أسوأ الصفات أو الإطالة في ذكرها.

و﴿وَأَكۡثَرُهُمُ﴾ جاءت صيغة التفضيل هذه في مكانين في آيتي المائدة ١٠٣ وآل عمران ١١٠.

٣ـ في آيتي الحديد ذكرأهل الكتاب، وانتقل إلى كلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب، فالكلام عن أهل الكتاب جزء من آية، ثم انتقل بكلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب.

بينما في آية آل عمران كان الحديث عن أهل الكتاب لا ينقطع تقريباً من الآية ٦٥ وحتى الآية ١١٥، أي: أنّ هناك آيات كثيرة أفاض فيها عن أهل الكتاب، فقال: (أكثر)، أما التي لا يطيل فيها فيقول: (كثير).

٤ـ قد تشترك صيغة (فعيل) في المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول من حيث الصيغة فقط ، فإذا كان أصل الفعل (متعدياً) تصير (مبالغة)، وإذا كان أصل الفعل (لازماً) تصير(صفة مشبهة). أمثلة:

(سميع) من سمع، وهو فعل متعد، إذن (سميع) صيغة مبالغة.

(عليم) من علم، وهو فعل متعد، إذن (عليم) صيغة مبالغة.

(رحيم) قالوا: إذا كانت من (رحِم) فعل متعد فهي مبالغة، وإذا كانت من (رَحُم) فعل لازم تصير صفة مشبهة.

(طويل) من طال (فعل لازم) صفة مشبهة، وكذلك قصير وقبيح وجميل هي صفات مشبهة. والله أعلم.

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الضرر) و(الأذى) ؟ ومن المعنيون في الآية ؟

١ـ الأذى: هو الحدث الذي يؤلم ساعة وقوعه ثم ينتهي، مثل الصفعة البسيطة .

٢ـ الضرر: هو أذى يؤلم وقت وقوعه وتكون له آثار بعد ذلك.

٣ـ الخطاب في الآية للمؤمنين يتعلق بالفاسقين من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأخبر الله فيها أن أهل الكفر والفسق ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾ [آل عمران:١١١]

٤ـ ينقسم (الضرر) من حيث (التأثير) إلى قسمين: ضرر قاصر وضرر متعد، ومن حيث (المفعول) ينقسم إلى قسمين أيضاً: ضرر مؤقت وضرر بائن، والضرر المؤقت هو الذي يستمر لفترة زمنية بسيطة، أمّا الضرر البائن فهو الذي يستمر مفعوله لوقت طويل، والضرر المؤقت هو ما يسمى إيذاء أو أذى، أما الضرر البائن فهو الضرر الحقيقي المقصود في اللغة، فلو كان الإيلام مؤقتاً يسمى إيذاء، وإن كان دائماً يسمى ضرراً؛ لأنه يدوم وقتاً أطول.

٥ـ وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (أذى) استعمالاً دقيقاً، كما في الآيات التالية:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩] والنظرة تؤذي؛ لأنها مؤقتة غير دائمة.

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب:٥٧] فمجرد أذى الرسول ﷺ يستوجب لعنة الله تعالى في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب مهين جزاء إيذائهم للرسول .

- ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦] .

- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة:٢٦٢].

- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء:١٠٢].

وفي آية سورة آل عمران قال: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١] فالآية تدل على أنّ ما يسمعه المؤمنون من الفاسقين هو ليس إلا أذى كلامياً فقط وليس ضرراً، لأنهم مؤمنون متمسكون بإيمانهم، والخطاب في الآية هو للمؤمنين، أمّا غير المؤمنين فلن يكون ضرر الفاسقين أذى بالنسبة لهم.

السؤال الثاني:

في الآية الفعل ﴿يُقَاتِلُوكُمْ﴾ هو فعل الشرط مجزوم، محذوف منه النون والفعل ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ هو جواب الشرط مجزوم أيضاً، وعلامة جزمه حذف النون، وأصله

(يولونكم﴾، لكن جاء العطف بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ والأصل: أن يجزم الفعل لأنه معطوف على مجزوم، أي: ثم لا ينصروا، لكنه جاء مع النون (ينصرون) والله هو المتكلم !!! فلماذا ؟

الجواب:

١ـ لو قال الله (ثم لا ينصروا) يكون هذا القول تأريخاً لمعركة واحدة، لكن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ يحمل قضية بعيدة عن الشرط والجزاء، إنها حكم من الله على أهل الفسق بأنهم لا يُنصرون أبداً سواء أقاتلوا أم لم يقاتلوا، إنها قضية ثابتة منفصلة وليست معطوفة على الشرط .

٢ـ قوله تعالى:﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ ولم يقل مثلاً: (فلا ينصرون) أي: أن الله أورد حرف (ثم) وهو يفيد التراخي، وهذا يفيد أنهم لن ينتصروا عليكم أيها المؤمنون حتى لو استعدوا بعد فترة، أما حرف (الفاء) لو كان موجوداً لأفاد أنهم لا ينتصرون عليكم في بداية عهدكم؛ لأن الفاء تفيد التعقيب .

٣ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ ولم يقل: (ينتصرون) ، لماذا؟ لتؤكد الآية أنّ أهل الكفر لن ينتصروا عليكم بذواتهم، ولن يُنصروا بغيرهم، فهي قضية دائمة ممتدة، وليست خاصة بزمن النبي ﷺ .

٤ـ لذلك إنْ رأيتم أيها المسلمون نصراً للكافرين عليكم منهم أو بتعصب قوم لهم فاعلموا أنكم دخلتم معهم في معركة على غير منهج الله .

فمثلاً: انكسارنا أمام اليهود مثلاً سببه أننا انتبهنا إلى كل شيء إلا الإسلام ، قدّمنا الانتماء لعصبيةٍ وقوميةٍ وعرقيةٍ ويسار ويمين، فكيف نطلب نصراً من الله ؟ لا يحق لنا أنْ نطلب نصراً من الله إلا إذا دخلنا المعركة ونحن من جند الله، والهزيمة لا تحدث عندما نكون نحن من جند الله؛ لأنّ الله ضمن هذا بقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٣].

٥ـ بالطبع هذا ليس خطأً لغوياً في القرآن- حاشا لله- كما يدعي بعض المستشرقين الذين يجهلون اللغة العربية، ولهؤلاء نقول إنه علينا أن نفهم القرآن أولاً قبل إعراب الجمل والكلمات ، لأنّ الإعراب تابع للفهم .

ولذلك نجد أنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٣] ليست معطوفة على ما قبلها ولكنها تفيد الاستئناف على التراخي، وتعني أنّ أعداء الله تعالى لن يُنصروا على المؤمنين، وليس عندهم نُصرة من الله تعالى حتى لو كان عندهم عدّة النصر، فهم لا يُنصرون على الإطلاقِ، إذ لا يوجد عاصٍ يُنصر من عند الله تعالى، فهي إذن جملةٌ مستقلةٌ وحدها وليست معطوفة على ما قبلها .

واستخدام الفعل المضارع في الآية ﴿يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [آل عمران:١١١] ، ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ [آل عمران:١١١] تفيد الاستمرار؛ لأنّ القتال ضد الدين مستمر كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] والخطاب في الآية موجه للأمة المسلمة التي تقيم الشريعة وتعرف حدود الله تعالى.

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ [البقرة:٦١] في سورة البقرة، وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١١٢] في سورة آل عمران؟ ما دلالة الاختلاف بين (النبيين والأنبياء) و(بغير حق وبغير الحق)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة:٦١] ما معنى الضرب في القرآن الكريم؟

الجواب:

(ضرب) بمعنى ألزم ودمغ، يقال: ضربت النقود، أي: حُفر على المعدن رسم أو اسم حتى لا يُمسح، وضرب الشيء، أي: التصق به التصاقاً شديداً، كما قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] بمعنى الإلصاق والتثبيت وعدم المفارقة.

ومعنى (ضرب الذلة) اتصالها بهم وإحاطتها بهم، وفيه استعارة مكنية إذ شُبِّهت الذلة، وهي أمر معقول غير محسوس بقُبّة أو خيمة شملتهم وأحاطت بهم، وشُبِّه اتصالها وثباتها بضرب القُبّة وشدّ أطنابها، بحيث يصعب أن يتنزعوا هذه المذلة عنهم، فهل يمكن أن تؤدي صورة أخرى ما أفادته هذه الصورة القرآنية الفريدة؟

❁❁❁❁

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾

السؤال الأول:

ما سر تقديم وتأخير ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ في آيات سورة آل عمران ١١٠، ١١٤؟

الجواب:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤] وقال تعالى في آية أخرى في نفس السورة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران:١١٠].

إذا لاحظنا ترتيب المواقف في الآيتين لوجدنا أن الآية ١١٤ في سورة آل عمران جاء فيها ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ في البداية، ثم تلاها ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، أما

في الآية ١١٠ فجاءت في آخر الترتيب؛ وذلك لأنّ الخطاب في هذه الآية هو للمسلمين ونحن آخر الأمم من حيث الترتيب الزمني، فجاء الإيمان بالله آخراً؛ لأنّ هناك من سبقونا بالايمان من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أمّا في الآية ١١٤ فالخطاب لأهل الكتاب الذين أسلموا قبل بعثة الرسول ﷺ وفي زمن أنبيائهم موسى وعيسى عليهما السلام ؛ لذا جاء قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أولاً في الترتيب ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ؟

الجواب:

المسارعة في الخيرات هي أسلوب القرآن الكريم، وهناك فرق بين فعل الخير والمسارعة فيه، والله تعالى يريد منا المسارعة في الخير ويريدنا أن نلجأ إليه كالذي يفِرّ كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠] ولم يقل: امشوا أو اذهبوا. فالمسارعة إذن واجبة وهي التوجه باقبال واندفاع إلى الله تعالى، ولا نكون كالمنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

والمسارعة في الخير معناها الرغبة في الاستكثار منه والمبادرة إليه، وفيه استعارة لطيفة تُدرك بالتأمل والتدبر، فحرف ﴿فِي﴾ هنا استعارة تخيلية تؤذن بتشبيه الخيرات بطريق يسير فيه السائرون، أمّا إذا قلت: يسارعون إلى الخيرات، فالمرء لم يبلغ بعدُ الخيرات، بل يسعى لبلوغها.

السؤال الثالث:

ما دلالة (المعروف والمنكر) المذكورين في الآية ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾؟

الجواب:

المعروف: هو ما تعارف عليه الناس واتفقوا عليه، بشرط ألا يصطدم بشرع: أي لا يحلّ حراماً أو يحرّم حلالاً.

أما المنكر: فهو ما استنكره الناس كالكذب والغش والغدر والاعتداء على الآخرين والخوض في الأعراض والخيانة وغيرها.

السؤال الرابع:

جاءت لفظة ﴿وَيُسَٰرِعُونَ﴾ في الآية بدون ألف في المصحف، فما التعليل اللغوي لذلك ؟

الجواب:

التعليلات اللغوية:

أولاً ـ تزاد الألف لمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل:٢١] تنبيهاً على أنّ المؤخر أشد وأثقل من المتقدم عليه لفظاً؛ فالذبح أشد من العذاب .

- ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ التوبة ٤٧، (الإيضاع) أشد إفساداً من الخبال، وللعلم فإنّ (الإيضاع) هو إسراع السير، و(الخلال) في الأصل تخلل الصفوف، والمعنى لأسرعوا في إفسادكم. وأما (الخبال) فهو الاضطراب والفساد.

ثانياً ـ يغلب حذف رمز الألف من الأفعال ذات الصيغ المزيدة، وتجد أنّ الصيغة الواحدة نفسها تميل الألف فيها إلى الحذف في صيغة المضارع أو في اتصال الضمائر، ويغلب إثباتها في صيغة الماضي حين يكون الفعل مجرداً من الزوائد.

* شواهد قرآنية:

حذف الألف	إثبات الألف
﴿وَيُسَـٰرِعُونَ﴾ [آل عمران:١١٤]	﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران:١٣٣]
﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام:٨٠]	﴿حَآجَّ﴾ [البقرة:٢٥٨] ﴿حَآجُّوكَ﴾ [آل عمران:٢٠] ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ [آل عمران:٧٣]
﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾ [النحل:٢٧]	﴿شَآقُّواْ﴾ [الأنفال:١٣]
﴿فَلَا تُصَـٰحِبْنِي﴾ [الكهف:٧٦]	﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾ [لقمان:١٥]

لذلك نرى أنّ المعيار الذي اتبع ليس قاطعاً، وإنما هو الغالب، ولذلك ليس من الغريب أنْ نجد الفعلين (هاجر) و (جاهد) في آية واحدة في البقرة ٢١٨ باثبات الألف للفعل الأول وحذفه من الفعل الثاني. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢١٨﴾﴾ ، وقد تكرر ذلك في أربعة مواضع في سورة الأنفال في الآيات [٧٢ـ٧٤ـ٧٥].

وملخص المذاهب عند العلماء في زيادة الألف بعد الواو هو:

١ـ الدلالة على انفصال الكلمة عما بعدها، فيُعلم أنّ الكلمة مستقلة يمكن الوقف عليها.

٢ـ الفرق بين ما بعده ضمير منفصل، فتجعل فيه الألف كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى:٣٧] وما بعده ضمير متصل، نحو: ﴿كَالُوهُمْ﴾ [المطفّفين:٣] فلا تجعل فيه الألف.

٣ـ إرادة الفرق بين واو الجمع وغيرها في نحو(نفر وخرج)، فإنّ الواو التي بعد الراء وقبل الخاء يحتمل أن تكون علامة جمع، أي: فاعل نفر، ويكون (خرج) غير معطوف، وتحتمل العطف ويكون فاعل (نفر) مقدراً، ففرقوا بين المعنيين بالألف، فإذا وجدت عُلِم أنه فاعل، وإذا عُدمت عُلِم أنه ليس بفاعل.

ثالثاً: كلمة (أيها):

كتبت في المصحف بألف (أيها)، إلا في ثلاث مواضع:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١] .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزُّخرُف:٤٩] .

٣ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن:٣١] .

يقول أبو العباس في توضيحها:

آـ آية النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ والسر في سقوطها الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء بها، وتنبيه على الاقتصار من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي.

ب ـ آية الزخرف ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزُّخرُف:٤٩] نظيره من كلام فرعون في موسى عليه السلام ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأعراف:١٠٩] يدل على عظمة علمه عنهم وأنه ليس فوقه أحد.

ج ـ آية الرحمن ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ تدل على عظمة الصفة الملكية فإنها تقتضي جميع الصفات الملكوتية والجبروتية، فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى التفكر في آلاء الله في بيان النعم فيشكروا ، ولبيان النقم ليحذروا. والله أعلم .

السؤال الخامس:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُسَـٰرِعُونَ﴾ ما أخوات هذه الكلمة في القرآن الكريم؟

الجواب:

الكلمات هي: [عبر ـ جاوز ـ قطع ـ سبق ـ سارع].

١ – عبر:

هو المرور أفقياً أو عرضياً كالمرور عبر المسجد ليصل إلى مكان الوضوء: النساء ٤٣ .

٢- جاوز:

المرور طولياً مع الطريق: [الكهف ٦٢ـ الأحقاف ١٦ـ يونس ٩٠ـ الأعراف ١٣٨].

٣- قطع:

تعني الوقت المستغرق لعبور الطريق. يقال قطعت الطريق في بضع ساعات: العنكبوت ٢٩.

٤- سبق:

﴿استباق﴾، وتعني السرعة للوصول أولاً: [الواقعة ١٠ـ المؤمنون ٦١ـ يس ٤٠].

٥- سارع:

السباق من المسارعة، والسباق من أشد أنواع المسارعة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران:١٣٣] ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [آل عمران:١١٤] .

❁❁❁❁

﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾

السؤال الأول:

ما معنى (يُكفروه) في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾؟

الجواب:

هناك فريقان من الناس: فريق اتبع الحقّ، وفريق لم يؤمنوا، وقوله تعالى: ﴿يُكْفَرُوهُ﴾ أي: يُغطَّى عنهم أو يمنع عنهم أو يُحجب عنهم، أي: أنّ كل عمل خير تجده عند الله تعالى، لكن بشرط التقوى، والآية أشارت للشرطين في العمل:

١ـ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لله تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر:٣] ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر:١١].

٢ـ وما كان صحيحاً صالحاً فهو الذي ينجي يوم القيامة بإذن الله.

❀❀❀❀

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم الله تعالى (المال) على (البنين)؟

الجواب:

أثبتت الدراسات والواقع المجرب أنّ المال عند أكثر الناس أعز من الولد، وقد يستغني الإنسان عن ولده في أمور معيشته، ولكنه لا يستطيع أن يستغني عن المال، فبدونه لا تتحقق له معيشة وحياة، والإنسان يحرص على ماله ويصحبه عادة حتى الممات.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] وفي الأعراف ١٦٠ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ بذكر الفعل (كانوا)، وقوله تعالى في آل عمران: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧] بدون (كانوا)؟

الجواب:

زاد في البقرة والأعراف قوله تعالى: ﴿كَانُوٓاْ﴾ بخلاف آية آل عمران وذلك:

١ـ أنّ آيات البقرة والأعراف وآية التوبة ٧٠ هي في أقوام قد مضوا وهم بنو إسرائيل وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات .

٢ـ أمّا آية آل عمران فهي ليست في أقوام ماضين، وإنما مثلٌ ضربه الله لكل عصر .

٣ـ لذلك نرى أنه عندما يتكلم الله سبحانه عن الحال يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: في الوقت الحالي وليس الزمن الماضي، كما في آية آل عمران ١١٧، حيث قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ فوصَفَ حالة موجودة راهنة.

وكذلك الأمر عندما يتكلم عن قاعدة مطردة مطلقة، فهذا ليس ماضياً وإنما حال واستقبال، فيقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ كما في آية يونس ٤٤.

٤ـ وعندما يتكلم الله سبحانه عن الأقوام الماضية البائدة يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كما في آية العنكبوت ٤٠.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ ما الفرق بين كلمتي (ريح) و(رياح) في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ؟

الجواب:

تدبر هذا التمثيل القرآني، ستجد أنك أمام صورة في غاية الدقة والإحاطة بالأمور، فقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ليس جزءاً من الصورة لو سقط الكلام لكان المعنى تاماً لا لبس فيه ، لكنه صار إدماجاً في التمثيل ليُكسبه تفظيعاً وتشويهاً ، ولينفي ما يمكن أن يتحصل للسامع من الشفقة والرحمة على حال أصحاب الحرث الهالك.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما (البطانة) لغة؟ وما مدلولهافي الآية؟

الجواب:

(البِطانة) لغة بكسر الباء، هي في الأصل داخل الثوب ، لكنّ البيان الإلهي يتخذها لتصوير حالة صديق الرجل وخصيصه الذي يطّلع على شؤونه، فيكون كبطانة الثياب في شدة القرب من صديقه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ ولم يقل: تعلمون أو تفقهون؟ ألا تؤدي ذات المعنى؟

الجواب:

إنّ هذه الآيات آيات فراسة وتوسّم في اختيار من يثق به الإنسان ويتخذه صديقاً، لذلك عبّر عنها بالعقل؛ لأنه أعمّ من العلم والفقه اللذين لا يكشفان حقيقة هذه الفئة.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية ٦٦: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٠٩] وكذلك في آية النساء ١٠٩، بينما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ في آية آل عمران ١١٩، وآية طه ٨٤، فما الهدف من تكرير هاء التنبيه أو حذفها ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٦٦.

❁❁❁❁

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ بالرفع في هذه الآية ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ ؟

الجواب:

أولاً ـ من يقول إنّ ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ مرفوعة؟ ومن يقول إنها حالة رفع؟ هذا الفعل مجزوم . وللآية قراءتان متواترتان: إحداها بالفتح (يضرَّكم)، والثانية بالرفع ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ وهذا الفعل مجزوم بالسكون وحُرِّك لالتقاء الساكنين وكانت حركة الضمّ للاتباع.

ثانياً ـ هذا الفعل (ضرّ) فعل ثلاثي مضعّف، إذا جُزِم وكان مضموم العين في المضارع مثل: [عدّ يعُدّ، وشدّ يشدّ، وضر يضُرُّ]، ففيه أربعة أحوال:

١. فكّ الإدغام مع الجزم (يضررْ) مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال:١٣] و قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧] وهذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

٢. الإدغام مع الفتح: كأنْ نقول لن يضُرَّك، كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] بالفتح، وهذا مجزوم، لكن لمّا صارهناك إدغام التقى ساكنان، فعندما أدغمنا الأول صار ساكناً والثاني ساكن فلابد من الحركة، وعندنا أوجه تحريك؛ ومنها أن نحركه بالفتحة؛ لأنها أخفّ الحركات، مثل: (يرتَّد) مجزوم، وعلامة جزمه السكون، لكن حُرِّك لالتقاء الساكنين، وحُرِّك بالفتح لأنها أخف الحركات.

٣. الإدغام مع الكسر: كقولنا: لا يُضرِّ ،نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾ [الحشر:٤].

٤. الإدغام مع الضمّ: إذا كانت العين مضمومة: مثل[يضُرُّ، يعُدُّ، يمدُّ] يصِحّ أن نقول: لم يمُدَّ ولم يمِدِّ ولم يمَدُّ.

فالفعل في الآية ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ إذن ليس مرفوعاً، ولكنه مجزوم، وعلامة جزمه السكون، وحُرِّك لالتقاء الساكنين، وكانت الحركة الضمّ للاتباع، هذا من ناحية التفصيل النحوي.

السؤال الثاني:

لماذا اختير في هذه القراءة الضم؟ مع أن الأكثر والأشيع هو الفتح؛ لأن الفتحة أخف الحركات وهو ما عليه الكثير من القُرّاء ؟

الجواب:

١ـ قراءة حفص هي التي تقرأ بالضمّ، ومن المُسلّمات أنّ الضمّ أثقل الحركات والفتحة أخفّها.

٢ـ عندما نقول يضُرَّكم – بالفتح – تعني كأنه ليس هناك ضرر أصلاً، لكن إذا قلنا: يضرُّكم – بالضم – فهي تعني أنه هناك أذى ولكن لا يضركم، كما في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١١١﴾ [آل عمران:١١١]، ولذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٢٠] إشارة إلى أن (يضرُّكم)

بالرفع لا تعني مسح الضرر كاملاً ولكن يبقى شيء من مخلّفاته التي لا ترقى إلى الضرر وهو مما يؤذي النفس، ولهذا جاءت الآية بعدها بالصبر.

فحالة الرفع هنا حالة ثقيلة، أمّا حالة الفتح فهي أخف منها فناسب حركة الإعراب الحالة التي تأتي فيها.

ومن هذا كله نقول إن ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ في الآية مجزومة؛ لأنه فعل مضعّف عينه مضمومة وجاءت للاتّباع.

٣ـ وقد يسأل سائل: لماذا تختلف القراءات والآية نفسها؟

في الآية قراءتان متواترتان بالرفع والفتح. وقالوا: هناك مواقف في الزمن ومواقف في الأشخاص، والناس ليسوا على وتيرة واحدة، فيلاقي بعضهم حالات أشد من حالات، والزمن ليس واحداً فقد تكون حالة أثقل من حالة، وقد يكون ما يلقاه شخص غيرما يلقاه شخص آخر؛ فلذلك خالف، وهي إشارة إلى الحالة الواقعية للحياة فلا تكون على وتيرة واحدة لذا جاءت في القراءات إحداها أثقل من الأخرى.

٤ـ ونلخّص ما ذكرناه في أحوال جزم الفعل الثلاثي المضعّف، وكان مضموم العين، ونقول: إنّ الأحوال كلها ممكنة سواء كان الفعل أمراً أم فعلاً مجزوماً إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر، فحالاته هي: فك الإدغام، الإدغام مع الفتح أو الكسر، والإدغام مع الضمّ، وهذا الذي فيه الشرط .

أمّا لو كان فعل الشرط ماضياً فيمكن أنْ يكون مرفوعاً ويُعدّ ماضياً كالفعل: (تود) وأصله: (ودّ) كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ

﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠] وأمّا لو كان الفعل مضارعاً فهو لا يحتمل الرفع.

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ﴾ (المقاعد) جمع مقعد، وهو مكان القعود، أي: الجلوس على الأرض، ومعلوم أنّ الحرب والقتال ليسا مكان قعود ولا جلوس بل وقوف وقيام، فلِمَ لم يأت البيان بأن يقول: وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مواقف للقتال؛ لأن الوقوف أولى؟

الجواب:

اعلم أنّ إضافة (مقاعد) لاسم القتال قرينة على أنه أطلق المواضع اللائقة بالقتال التي يثبت فيها المقاتل ولا ينتقل عنها، فعبّر عن الثبات والتمكن في المقاعد دون الوقوف؛ لأنّ الوقوف عرضة الحركة وعدم الثبات.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية بشكل عام ؟

الجواب:

هذه الآية تتحدث عن غزوة أحد، حيث جاء الكفار بثلاثة آلاف مقاتل وكان المسلمون قلة، وفي غزوة أحد خالف الرماة أمر الرسول ﷺ بعدم ترك الجبل وحصل ما حصل، وفاجأهم خالد بن الوليد فطوق جيش المسلمين وكان ما كان.

١ـ إنّ عبقرية البشر قد تتصارع مع عبقرية البشر، ولكن لا توجد عبقرية بشرية تستطيع أنْ تصادر ترتيباً ربانياً .

٢ـ لذلك لم يظهر دور لخالد بن الوليد في غزوة الخندق كما ظهر في غزوة أحد؛ لأنّ المقابلين لخالد في غزوة أحد خالفوا أمر القيادة فبقيت عبقرية بشر مقابل عبقرية بشر، ولكنهم لو ظلوا في حضن المنهج الإلهي في التوجيه لما استطاعت عبقرية خالد أن تطفو على تدبيرات ربه أبداً.

٣ـ التحقيق التاريخي لكل العسكريين الذين درسوا معركة أحد قال: لا هزيمة للمسلمين ولا انتصار للكفار؛ لأنّ النصر يقتضي أن يُجلي فريقٌ فريقاً عن أرض المعركة ويظل الفريق الغالب في أرض المعركة، وهذا لم يحصل.

٤ـ كانت أحداث غزوة أحد تمحيصاً للمؤمنين ليكونوا على قدر المسؤولية بتحمل أعباء الدعوة ونشرها في الأرض .

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما فائدة ﴿ وَلَقَدْ ﴾ في الآية مع الفعل الماضي، هل تفيد التأكيد؟

الجواب:

(قد) تفيد التحقيق، والتحقيق لا ينفك عنها إذا دخلت على الماضي، وأحياناً يجتمع معها التقريب والتوقّع، فالتحقيق لا ينفك، وقد يكون مع التحقق التقريب أو التوقّع أو تجتمع كلها لكن يبقى التحقيق معها.

* شواهد قرآنية:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف:٢٦]. (قد) هنا ليس فيها توقّع من بني آدم ولا فيها تقريب، لكنّ فيها معنى التحقيق.

- ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ [آل عمران:١٢٣] فيها توقّع؛ لأن الله تعالى وعدهم بالنصر كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٧] وفيها تقريب.

فالتحقيق لا يفارق (قد) مع الفعل الماضي، لكن إذا دخلت على الفعل المضارع قد يكون للتحقيق والتقليل.

❁❁❁❁

﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (آلاف) و(ألوف) كما في آية البقرة ٢٤٣ ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ وآية آل عمران١٢٤ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٢٤٣.

﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

هذه الآية تحمل في كيانها لفتات بلاغية رائعة، ألا ترى أنّ حق السياق أن يكون كالتالي: إن تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ويأتوكم من فورهم؟ فلِمَ قدَّم ﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾ على الإمداد ؟

الجواب:

إنّ تقدم المعطوف يوحي بتعجيل الطمأنينة إلى نفوس المؤمنين وسرعة النصر قبل تحقق جزاء الشرط، وهو قوله تعالى ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ﴾ .

❁❁❁❁

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران١٢٦ : ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ﴾ وقوله في آية الأنفال ١٠ : ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير للجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ وقال في سورة آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

١ـ يجب أنْ نرى أولاً سياق الآيات في السورتين، فسياق آية آل عمران فيه ذكر لمعركة بدر، وتمهيد لذكر معركة أحد وما أصاب المسلمين فيها من حزن وقرح ، والمقام في السياق كان مقام مسح على القلوب وطمأنة لها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٩-١٤٠] وغيرها من آيات التصبير والمواساة وخصص البشرى بهم ، وزاد كلمة ﴿لَكُمْ﴾ فقال: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ زيادة في المواساة والمسح على القلوب .

والجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ يعود على الإمداد السماوي؛ لذا قدّم هنا القلوب ﴿قُلُوبُكُم﴾ على ﴿بِهِۦ﴾ في آل عمران؛ لأنّ المقام مقام تصبير ومواساة، والكلام مسح على القلوب.

٢ـ أمّا في آية الأنفال فقدّم ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿قُلُوبُكُمْ﴾؛ لأنّ الكلام على الإمداد السماوي الذي هو محور آيات سورة الأنفال، وكذلك لم يخصص كلمة (البشرى) وجعلها عامة فقال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ .

السؤال الثاني:

في آية آل عمران ١٢٦ عرّف ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ وفي آية الأنفال ١٠ استعمل التنكير فقال ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فلماذا ؟

الجواب:

١ـ آية الأنفال نزلت في قتال بدر، وأمّا آية آل عمران فنزلت في موقعة أحد بعدها.

٢ـ في موقعة بدر بيّن أنّ النصر من عند الله تعالى فقط لا بغيره ولا بكثرة عَدَدٍ أو مدد، أي على معنى العموم ، ولذلك علّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية نصر من يستحق النصر، فجاء في ختام آية الأنفال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ .

٣ـ وأمّا في آية آل عمران فقد أحال الموضوع على كلمة ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾ بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله (العزيز الحكيم) الذي تقدم إعلامكم أنّ النصر من عنده، فناسب التعريف هنا . والله أعلم .

السؤال الثالث:

لِمَ عبّر الله تعالى في الآية عن الثقة والأمان بقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ ؟

الجواب:

في هذه الكلمة من الدلالة ما يقصر غيرها من الكلمات عن التعبير، فسكون القلب يعني عدم اضطراب نبضات القلب الناجم عن الخوف والهلع، وإذا كان القلب طبيعياً بنبضاته فهذا يعني أنّ الإنسان في حال أمن، وكأنه خارج إطار الحرب، بل هو في دار سلام وأمن.

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ ولم يقل مثلاً: (ليستأصل) ، فلماذا؟

الجواب:

قول الله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ معناه: أن يُقتل عدد من الكفار، ولم يقل: ليستأصل؛ لأنّ الله تعالى أبقى على بعض الكفار، لأنّ له في الإيمان دوراً مستقبلاً .

وللعلم فإنّ معركة أحد قد أخذت من سورة آل عمران حوالي ستين آية .

❋❋❋❋

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ﴾ في هذه الآية وفي آية المائدة ٤٠ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ؟

الجواب:

لو نظرنا في الآيات سنجد أنّ تقديم المغفرة على العذاب هو الأصل؛ لأنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾ [الأنعام:١٢] وفي الحديث في صحيح البخاري: «**رحمتي سبقت غضبي**»، لكن لماذا تغير الوضع في الآية ٤٠ في سورة المائدة حيث تقدم العذاب على الرحمة؟

والجواب: أنّ هذا الأمر يتعلق بقطع اليد ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة:٣٨] فقدّم العذاب؛ لأنّ الكلام في البداية كان عن عذابٍ ثم عن مغفرة، فلا بد أن يتقدم العذاب، ولو عكست لما استقام الكلام، بينما في الأماكن الأخرى كان الكلام اعتيادياً على مغفرة الله تعالى وعذابه، فدائماً يقدم الرحمة ويردف بالعذاب، حيث يقدم الرحمة ترغيباً للمطيعين ويؤخر العذاب ويذكره تحذيراً من المعصية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آيات[آل عمران ١٢٩ـ النساء ٣٥ـ المائدة ٧٤]: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، بينما أكّد ب (إنّ) في آيات البقرة ١٨٢و ١٩٩، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ فمتى يستعمل القرآن التوكيد بإنّ في مثل هذه المواطن ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم حرف التوكيد بهدف التوكيد، فيضعه في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا في آيات آل عمران والنساء والمائدة لم يؤكد المغفرة، بل قال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ بينما أكّدها في آيتي البقرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ وذلك لأن المقام يقتضي أن يكون كل تعبير في موطنه، وإيضاح ذلك:

أولاً ـ الآيات: آيات آل عمران ١٢٧ـ١٢٩: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

آيات المائدة ٧٣ـ٧٤: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

آيات البقرة ١٩٨ـ١٩٩: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

ثانياً ـ البيان:

١ ـ المقام في آيات آل عمران هو في إذلال الكافرين وكبتهم وقطع طرفٍ منهم، فلا يناسب ذلك توكيد المغفرة.

٢ـ آية النساء في إقامة الحد على من يأتي الفاحشة، ولا يناسب ذلك توكيد المغفرة أيضاً.

٣ـ سياق آيات المائدة في التهديد للذين يقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، وقد توعدهم إنْ لم ينتهوا عن ذلك بالعذاب الأليم، فالمقام مقام تهديد، وليس مقام تأكيد المغفرة.

٤ـ سياق آية البقرة ١٩٨ في الحج ومناسكه وشعائره، وهذا المقام أولى المقامات بتوكيد المغفرة، وأصحاب هذا المقام ذهبوا ليؤدوا فريضة الحج طلباً للمغفرة، قال الرسول ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» وقال: «**إن الله يباهي الملائكة بأهل عرفة ويشهدهم على أنه قد غفر لهم**» فاقتضى ذلك توكيد المغفرة.

٥ـ سياق آية البقرة ١٨٢ في الإصلاح وحفظ الموصي من أنْ يقع في جنف أو إثم، أَفَتَرَى أنّ الذي يسعى في هذا لا يستحق توكيد المغفرة ؟

وازن بين المقامين اللذين مرّا: مقام المعصية والكفر ومقام الإصلاح وحفظ الحقوق، ثم احكم أيهما ينبغي أنْ يكون مقام توكيد المغفرة تجد الجواب بيناً شافياً.

❁❁❁❁

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول) ؟

الجواب:

في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجر ذكر الرسول ﷺ في السياق أو أي إشارة إليه ، كما جاء في سورة آل عمران ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩] و ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور:٥٤] ، وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية آل عمران ٣٢.

السؤال الثاني:

ما دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ جاءت هذه الآية بعد النهي عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة، مما يدل على أنّ الربا ليس من الصغائر، بل من الكبائر التي يستحق عليها الوعيد بالنار.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران:١٣١] وفيها وجوه:

آـ أنها مثل نار الكفار من غير فرق تمسكاً بالظاهر.

ب ـ أنها أخف من نار الكفار لما بينهما من تفاوت في المعاصي.

ج ـ النار دركات أُعد بعضها للكفار وبعضها للفساق .

وكل الوجوه لبيان أنّ النار معدة فعلاً للكفار تعظيماً للزجر، ولا يدل ذلك على أنّ النار لا يدخلها غيرهم .

٣ـ قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ إخبار عن الماضي، فلا بد- والله أعلم ـ أن يكون قد دخل ذلك الشيء في الوجود .

٤ـ لما ذكر الله سبحانه الوعيد ذكر بعده الوعد على عادة القرآن، فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

٥ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ تفيد الترجي، أي: لتكونوا على رجاء وطمع في أنْ يفعل بكم فعل المرحوم بالتقريب والمحبة عند إطاعة أوامره وإطاعة أوامر رسوله ﷺ .والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (الطاعة) و(العبادة) ؟

الجواب:

١ـ العبادة: هي غاية الخضوع، ولا تُستَحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود .

٢ـ الطاعة: هي الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك، وقد تكون الطاعة للخالق والمخلوق، أمّا العبادة فلا تكون إلا للخالق .

والطاعة في مجاز اللغة تكون باتباع المدعو الداعي إلى ما دعاه إليه، وإنْ لم يقصد التبع كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان، وإنْ لم يقصد أنْ يطيعه ولكنه اتبع دعاءه وإرادته .

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ترى لو قلت: (وأسرعوا) إلى مغفرة أتُحقق ذات الغرض والفائدة التي تحققها صيغة ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾ ؟

الجواب:

بالطبع لا، فالبيان القرآني جاء بصيغة (سارعوا) للمبالغة في طلب الإسراع. وتنكير ﴿مَغْفِرَةٍ﴾ ووصلها بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ـ مع استطاعة الإضافة مباشرة بأن يقول: وسارعوا إلى مغفرة ربكم ـ غرضه التضخيم والتعظيم.

ثم لسائل أن يسأل: لِمَ جاء البيان الإلهي بقوله: (جنة عرضها)، ولم يقل: جنة طولها؟ والجواب أنّ الكلام هنا على طريقة التشبيه البليغ، والأصل: وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، كما جاء في سورة الحديد، والغرض هنا أريد به تمثيل شدة الاتساع ليُطلق العنان لخيال السامع، فإذا كان عرض الجنة بهذا الاتساع صعب التخيّل، فكيف يكون طولها؟!

السؤال الثاني:

ما الفرق البياني بين آية آل عمران ١٣٣ وآية سورة الحديد رقم ٢١؟

الجواب:

أولا ـ استعراض الآيات:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣] .

وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١] .

ثانياً ـ المقارنة بين آية آل عمران وآية الحديد:

آية الحديد ٢١	آية آل عمران١٣٣
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾	﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾
﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾	﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾
﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾	ـ

البيــــان:

أولاً: السماء والسموات:

السماء في اللغة وفي المدلول القرآني لها معنيان:

١ـ واحدة السموات السبع، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك:٥] .

٢ـ كل ما علا وارتفع عن الأرض، نحو:

آ ـ سقف البيت في اللغة يسمى سماء.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥] يقول المفسرون: (أي: ليمدّ حبلاً إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه)، فالسماء هنا بمعنى السقف.

ب ـ وقد تكون بمعنى السحاب: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧].

ج ـ وقد تكون بمعنى المطر: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:١١].

د ـ وقد تكون بمعنى الفضاء والجو: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل:٧٩].

هـ ـ وقد تكون بمعنى الارتفاع العالي: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

فالسماء كلمة واسعة جداً قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف، وبهذا تكون السموات ـ والسموات موطن الملائكة ـ جزءاً من السماء؛ لأنّ السماء هو كل ما علا وارتفع مما عدا الأرض، والسموات جزء منها بهذا المعنى الواسع الذي يشمل الفضاء والسقف والمطر والسحاب؛ لذلك فإنّ (السماء) تكون أوسع من (السموات)، فهي تشملها وغيرها.

ودليل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦] وقوله: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء:٤] وحيث إنّ القول أوسع من السر، فهو

قد يكون سراً أوجهراً ، والسر جزء منه ، فلمّا وسّع قال: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ [الأنبياء:٤] وقال: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنبياء:٤] ، ولمّا ضيّق وقال: ﴿ٱلسِّرَّ﴾ [الفرقان:٦] قال: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الفرقان:٦] .

ثانياً ـ (عرضها، عرضها كعرض):

١ـ لمّا قال: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قال: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ، ولكن عندما اتسعت اتساعاً هائلاً جاء بأداة التشبيه ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد:٢١]؛ لأنّ المشبه به عادة أبلغ من المشبه، فهي لا تبلغ هذا المبلغ الواسع الذي يشمل كل شيء.

٢ـ كلمة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد:٢١] تأتي عامة، كما في الآيات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧]، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات:٢٢]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك:١٦].. ثم تتسع لأشياء أخرى، وعندما يقول الله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح:١٥]، فهي ليست الفضاء ولا السقف ولا السحاب، وإنما تشمل الجميع، فعندما اتسعت قال: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد:٢١]؛ لأنها أقوى وأوسع وأشمل ، وعلى هذا بُني التعبير كله في الآيتين .

ثالثاً ـ كاف التشبيه:

١ـ في آية الحديد استعمل (الكاف) للتشبيه وفي آية آل عمران لم يستخدمها.

٢ـ (السموات) جمع السماء. صحيح هي مفرد، لكن حينما تأتي وحدها تأتي لعدة معان .

٣ـ (السماء والأرض) عظيمتان جداً، فاستعمل لها التشبيه؛ لأنها غير محدودة، لكن لمّا استعمل (السموات) استعمل التحديد ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ للتقريب.

والعربي عندما يسمع: (عرضها عرض السموات والأرض) قد يفهم منها السماء الأولى الواحدة، لكن لمّا قال: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:٢١] يفهم أنّ هذا إطلاق. ﴿كَعَرْضِ﴾ أقوى من ﴿عَرْضُهَا﴾ وأشمل وأوسع، هكذا يُفهم.

رابعاً ـ أعدت للمتقين، أعدت للذين آمنوا:

١ـ عندما ضيّق في آية آل عمران حددها للمتقين، ثم وصفهم في الآيات التي بعدها.

٢ـ وعندما وسّع في آية الحديد عمّم القول ليسع الخلق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١] ، وهؤلاء المتقون جزء من الذين آمنوا، ولم يحدد عملاً محدداً لهؤلاء.

خامساً ـ سابقوا، سارعوا:

١ـ عندما قال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾ قال: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، وعندما قال: ﴿سَابِقُوٓا۟﴾ قال: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:٢١] .

وكثرة الخلق المتجهين لمكان واحد تقتضي المسابقة، فإنْ قلّوا اقتضى ذلك المسارعة فقط ، وليس المسابقة.

٢ـ في آية الحديد: اتسع المكان فاتسع الخلق، وذكر السماء التي تشمل السموات وزيادة، وذكر الذين آمنوا بالله ورسله، وهي تشمل المتقين وزيادة ، ثم زاد وقال: ﴿ذَٰلِكَ

فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢١]؛ لأنّ الفضل أوسع مما جاء في آل عمران، بل الفضل واضح إذ جاءت عامة.

٣ـ استخدم ﴿إِلَىٰ﴾ في الآيتين؛ لأنّ المغفرة هي غاية ما يسعى إليه المؤمن وهو يُسارع ويسابق من أجلها .

سادساً ـ تكرار العطف:

لو لاحظنا الناحية الفنية لرأينا وضع كل واحدة يناسب ما هي فيه.

١ـ ففي سورة الحديد تتكرر عبارات ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ و﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ و ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾، ففيها تفضلات كثيرة، وبدأت آية الحديد بدون (واو) العطف ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ .

٢ـ آية آل عمران فيها تعاطفات، ونرى المتقين والأمر بالتقوى يتكرر عدة مرات، وبدأت آية آل عمران بـ (واو) العطف ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ .

٣ـ عندما نأتي إلى سياق آيات سورة آل عمران في الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ هناك تشريع ونهي عن ارتكاب إثم عظيم، ودعوة للتقوى، أي: اتقوا ما يوصلكم إلى النار، لاحظ الواوات، ثم قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ جاءت الآية في إطار العطف.

٤ـ بينما سياق الآية الأخرى في سورة الحديد: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠]،

ففيها نوع من الإيضاح والشرح لقضية معينة، وليس فيها نهي أو أمر، فجاءت ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ من غير الواو.

٥ـ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ عندما يكون هناك تشريع ويكون هناك إثم عظيم وهو الربا، وكان كثير من المسلمين يتعاطون بالربا قبل تحريمه، فلمّا جاء التحريم طلب منهم أنْ يسارعوا وليست مسألة مسابقة، وإنما كل واحد مسؤول عن فعله؛ لأنه أمر شخصي، فطلب إليه أن يُسرع إلى مغفرة، وكيف يُسرع لها؟ بالتوبة، والتوبة شخصية، فجاءت كلمة (سارعوا) ، وليس هناك مجال للمسابقة ، لآنّ المناسبة تعنيك والكلام عن الربا ، والربا أمر شخصي.

٦ـ لكنْ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ الكلام عن الدنيا، والدنيا فيها منافسات ولعب، وما من لعب إلا وفيه منافسة، واللهو يتنافس فيه الناس، والتفاخر الناس يتنافسون فيه أيضاً، فاللعب واللهو والتفاخر كلُ يريد أنْ يظهر شأنه فيه، والموضوع ليس هنا في اللعب واللهو، ولكنّ المسابقة هي أنْ تتسابقوا إلى مغفرة من ربكم وتلجئوا إلى الله تعالى عن هذا اللهو والعبث،وفي هذا تسابق، والسباق قطعاً فيه سرعة وزيادة.

٧ـ انظر إلى جمال هذا التعبير ودقته، وكيف أنّ كل آية كاللوحة الفنية المتناسقة لوحظ فيها كل جزئية من جزئياتها واعتنى بكل لمسة من لمساتها.

٨ـ جاء في الحديث ذم العجلة بقوله ﷺ: «**العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن**».

لكن النبي ﷺ استثنى خمسة مواضع من ذم العجلة فقال: «**إلا في التوبة من الذنب، وقضاء الدَّين الحالّ، وتزويج البكر البالغ، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل**»

السؤال الثالث:

كتبت كلمة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ بدون ألف، فما التعليل اللغوي لذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.

❊❊❊❊

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾

السؤال الأول:

ما (الكظم) المذكور في الآية ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ ؟

الجواب:

الكظم لغة: الإخفاء والإمساك، وهو مأخوذ من كظم القِربة إذا ملأها وأمسك فمها، وعلى هذا تكون الآية تمثيلاً رائعاً بحق الخُلُق العظيم من جهتين:

أولاً: إخفاء الغضب من جهة.

ثانياً: إمساكه عند وصوله حد الامتلاء تماماً، كالماء إذا خيف أن يظهر من القربة، وهي هنا النفس الغاضبة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين السراء والضراء؟ ولماذا جاء بالصيغة الفعلية ﴿يُنفِقُونَ﴾ ؟

الجواب:

السراء هو الغنى ، والضراء هو الفقر، وجاء بالصيغة الفعلية ﴿يُنفِقُونَ﴾ لبيان تكرار الحدث، فهم ينفقون في حال الرخاء والشدة واليسر والعسر .

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ اللام للجنس، فيتناول كل محسن ، أو للعهد إشارة إلى هؤلاء، ومعنى العهد المعرفة، وهي هنا تسمى العهد الذكري، وهو أنْ يتقدم لمصحوبها ذكر في اللفظ ،كما في الآية، حيث ذكرت وجوه الإحسان من الإنفاق وكظم الغيظ.

٢ـ الإحسان إلى الغير: يشمل صنفين من العمل:

آـ إيصال النفع إلى الناس، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ويدخل فيه إنفاق المال وتعليم الجاهل وهداية الضال ووجوه الخير.

ب ـ دفع الضرر عن الناس، وهو المراد بقوله تعالى:﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ بأن لا يقابل الإساءة بإساءة أخرى ، وأنْ لا يظلمهم وأنْ يبرئ ذمته من التبعات والمطالبات.

٣ـ ولما كانت هذه الأمور إحساناً إلى الغير ذكر الله ثوابها، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤] فإن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب.

والله أعلم.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ شرط وفعله ماضٍ، فما معنى الشرط؟ وما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الثالث في آية البقرة ١٩١.

السؤال الثاني:

ما دلالة المغفرة في الآية ؟

الجواب:

يقول النبي ﷺ كما رواه البخاري: «**إن عبداً أذنب ذنباً، فقال: يا رب، أذنبت ذنباً، فاغفره لي، فقال الرب: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنوب، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنباً آخر، فقال: يا رب قد أذنبت ذنباً، فاغفره لي، فقال الرب:علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنوب، قد غفرت لعبدي، ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يا رب قد أذنبت ذنباً، فاغفره لي، فقال الرب: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنوب قد غفرت له وليفعل عبدي ما يشاء**» إذا كان كلما أذنب استغفر فليذنب يعني: لا ييأس من رحمتي .

ورب العالمين سبحانه وتعالى يقول في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وقال النبي ﷺ: **«ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة»**.

إذن يا أخي المؤمن الكريم تُب إلى الله عز وجل وادعُ الله أن يثبتك على التوبة ويتقبلها منك، وإذا عدت مرة أخرى أسرع بالعودة إلى الله عز وجل هكذا ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].

❁❁❁❁

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الدلالة بين ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ و﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ ؟

الجواب:

وردت في وصف الجنة ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ حوالي ٣٤ مرة، ووردت ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الأنعام:٦] أربع مرات في الآيات [الأنعام ٦ ـ الأعراف ٤٣ ـ يونس ٩ـ الكهف ٣١].

فعندما يكون الوصف للجنة يستعمل (من تحتها) ، كما في آية المائدة ٥ـ وآل عمران ١٣٦.

وعندما يكون الوصف للمؤمنين ساكني الجنة يستعمل ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الأنعام:٦]

والأنهار هي من تحت الجنة وتحت ساكنيها، جعلنا الله منهم مع النجاة من النار، اللهم آمين.

السؤال الثاني:

جاءت ختام آية آل عمران ١٣٦بـ (الواو) ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ بخلاف ختام آية العنكبوت ٥٨ جاءت بدون (واو) ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨)﴾ [العنكبوت:٥٨] فلماذا ؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم في آل عمران ذكر الأوصاف، وهي قوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ و ﴿وَالْكَاظِمِينَ ﴾ و ﴿وَالْعَافِينَ﴾ و ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا ﴾ و ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ و﴿وَجَنَّاتٌ ﴾ ناسب ذلك العطف بالواو المؤذنة بالتعدد والتفخيم .

٢ـ ولم يتقدم مثله في العنكبوت فجاءت بغير واو كأنه تمام الجملة .

❁❁❁❁

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب وعذاب) في القرآن الكريم؟ وما معنى (العاقبة)؟

الجواب:

١ـ كلمة (العقاب) ومشتقاتها، وردت في القرآن في٦٤ موضعاً.

٢ـ كلمة (العذاب) ومشتقاتها وردت في القرآن في ٣٧٠ موضعاً.

٣ـ الفعلان (عذب) و (عقب) كلاهما ثلاثيان، والحرفان الأول والثالث مشتركان، بينما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف (الذال) من أحرف الرخاوة وفيها امتداد، بينما حرف (القاف) من أحرف الشدة وفيه سرعة، ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، بينما امتداد الذال يكون للدنيا والآخرة.

لذلك نستنتج من ذلك أنّ كلمة (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة (العقوبة) .

٤ـ أي أنّ (العقاب) فيه شدة وسرعة ، واستعملها القرآن في الدنيا، بينما استعمل (العذاب) في الدنيا والآخرة .

٥ـ ليس في القرآن (سريع العذاب) وإنما ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾.

* شواهد قرآنية: على العقاب:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥] .

- ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ [الحج:٦٠] .

- ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:١٣٧].

* شواهد قرآنية: على العذاب:

ـ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

ـ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر:٣].

٦ـ (العاقبة) بمعنى نتيجة العمل، يعني: ما يعقب العمل، وما يأتي بعده قد يكون خيراً وقد يكون شراً، ولذلك استعمل العاقبة في ٣٢ موضعاً في القرآن كله، هكذا ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:١٣٧].

❃❃❃❃

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بصيغة اسم التفضيل، ما اسم التفضيل نحواً ولغة؟

الجواب:

١ـ يصاغ اسم التفضيل من كل فعل ثلاثي تام (غير ناقص) متصرف (غير جامد) مثبت مبني للمعلوم، وليس الوصف منه على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء ، قابل للتفاوت.

ويسمى ما قبل اسم التفضيل مفضلاً، ويسمى ما بعده مفضلاً عليه.

٢ـ إذا لم تتحقق الشروط يتوصل إلى التفضيل منه بذكر مصدره الصريح، بعد: (أشد) أو (أكثر) أو (أعظم) نحو: أكثر مالاً ، و أشد قوة.

٣ـ يصاغ على وزن (أفعل) ليدل على المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما عن الآخر في هذه الصفة.

٤ـ سقطت الهمزة من كلمتي (خير وشر) والأصل (أخير وأشر).

٥ـ قد تكون المفاضلة تقديرية لا حقيقية، نحو: القتل بالسيف أهون عندي من أنْ أحرق بالنار.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣] أي: أقل قبحاً وشراً.

ـ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان:٢٤]؛ لأنه ليس ثمة اشتراك في الخير بين المستقرين، وليس عند أهل النار خير، بل هو شر محض.

٦ـ قد لا يستعمل اسم التفضيل لمعنى المفاضلة بين شيئين، بل قد يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢]، فالمقصود هنا القرب من مال اليتيم بمزيد الحُسن.

ـ ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] المراد من ذلك الزيادة في الحُسن.

ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] المراد من ذلك الزيادة في الحُسن.

٧ـ اسم التفضيل لا يتعدى بنفسه إلى المفعول، بل يتعدى بواسطة حرف الجر، وتفصيل ذلك:

آ ـ بواسطة اللام عموماً:

ـ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف:١٢].

ب ـ بواسطة الباء:

وتأتي مع فعل دال على العلم أو الجهل:

ـ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ [الإسراء:٥٤].

ـ ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق:١٤].

ج ـ بواسطة (اللام) أو (إلى):

١ـ مع فعل دال على الحب والبغض، فيُعدى باللام إلى ما هو مفعول في المعنى كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

٢ـ كما يُعدى بـ(إلى) لما هو فاعل في المعنى، نحو قولك:

ـ هم أحب الناس إلى خالد، أي: أن خالداً يحبهم.

ـ هم أحب الناس لخالد، أي: هم يحبون خالداً.

د ـ حالة خاصة:

إن كان الفعل يتعدى بحرف الجر عُدّي اسم التفضيل بذلك الحرف نفسه تقول: هو أزهد في الدنيا وأسرع إلى الخير.

حالات اسم التفضيل:

لاسم التفضيل أربع حالات هي:

١ـ أنْ يكون مجرداً من (أل ومن الإضافة) فيكون مفرداً مذكراً وتتصل به (من) لفظاً، نحو قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكهف:٣٤].

٢ـ أن يكون مضافاً إلى نكرة، فيجب هنا الإفراد والتذكير، ويلزم المضاف إليه أن يطابق الموصوف نحو:

ـ الكتاب أفضل صديقٍ ـ هند أفضل امرأةٍ .

ـ الهندات أفضل نسوةٍ .

٣ـ أن يكون مضافاً إلى معرفة ، فيجوز هنا المطابقة وعدمها.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ [البقرة:٩٦] أفرد.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣] طابق الجمع .

ـ أنتم أفضل الناس أو أفاضل الناس .

٤ـ أن يكون معرفاً بأل، وتلزم هنا المطابقة، ولا تذكر معه(من) التفضيلية، نحو: محمد الأفضل ـ خديجة الفضلى .

وهذه الصفة تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة، والتفضيل بـ (أل) هو أعلى وأعم درجات التفضيل، فلا يذكر معه المفضل عليه .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران:١٣٩] .

ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف:١٠٣].
- ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه:٦٨].
- ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه:٧٥].
- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان:١٦].

ملاحظة هامة:

القاعدة النحوية: تنص على أنّ اسم التفضيل إذا كان ما بعده ليس من جنسه يُنصب مثل ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف:٣٤]، هو أحسنُ شعراً.

أمّا إذا كان ما بعده من جنسه فيضاف، نحو: أنت أفضلُ رجلٍ.

وفي آية يوسف ٦٤ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ تعني أنّ حفظ الله تعالى ليوسف هو خير من حفظكم له، فكأنه تعالى قارن بين حفظ إخوة يوسف ليوسف وحفظه تعالى له.

❊❊❊❊

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

السؤال الأول:

استطاعت البلاغة القرآنية أنْ تنقص من قدر المصيبة على المؤمنين في الآية ١٤٠، فأين تكمن البلاغة في هذه الآية التصويرية؟

الجواب:

١ـ لقد عبّر الله تعالى عن المصيبة بقوله ﴿يَمْسَسْكُمْ﴾ ولم يقل: (يصبكم)؛ لأنّ المسّ أصله اللمس باليد، فيكون أمراً سطحياً لا يخترق الجسد، خلاف الفعل (يصبكم) الذي يفيد اختراق القرح إلى داخل الجسد، وهذا مؤذن بالتخفيف.

ثم صوّر الهزيمة بـ(القرح) أي: الجرح، وهو هنا مستعمل في غير حقيقته، فيكون بذلك استعارة للهزيمة، إذ لا يصح أنْ يراد بها الحقيقة؛ لأنّ الجراح التي تصيب الجيش لا يُعبأ بها إذا كان معها النصر، ناهيك عن أنّ تصوير الهزيمة بالقرح مؤذن بالشفاء منه.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: يوم أُحد بإدالتهم عليكم ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ﴾ أي: الكفار في يوم أُحد نفسه وفي يوم بدر ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: في مطلق كونه قرحاً، وإنْ كان أقل من قرحكم في أُحد وأكثر منه في بدر، والقرح هنا يؤول بمجرد الانهزام لا بكثرة القتلى .

السؤال الثاني:

لِمَ اختار البيان الإلهي صيغة المضارع في ﴿يَمْسَسْكُمْ﴾ والماضي في ﴿مَسَّ﴾ ولم يكونا في زمن واحد؟

الجواب:

إنها دقة التعبير في إيراد الحقائق الواقعية، فالتعبير عما أصاب المسلمين بصيغة المضارع في ﴿يَمْسَسْكُمْ﴾ لقربه من زمن يوم أحد ، وعما أصاب المشركين بصيغة الماضي ﴿مَسَّ ٱلْقَوْمَ﴾ لبُعدِه لأنه حصل يوم بدر.

السؤال الثالث:

ما دلالة ذكر وحذف اللام في آيتي آل عمران (١٤٠-١٤١) في الأفعال ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ﴿وَيَمْحَقَ﴾ ، وكذلك في آية الإسراء١٢ ؟

الجواب:

آيتا آل عمران ـ ١٤٠ـ١٤١.

١ـ اللام في ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ هي (لام) التعليل، ثم قال الله: ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ عَطَفَ بدون لام ، ثم قال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ مع اللام، ثم قال: ﴿وَيَمْحَقَ﴾ بدون لام ، علماً أنها كلها معطوفة على بعضها ، فلماذا؟

٢ـ عندنا قاعدة: الذكر آكد من الحذف ، لذلك الفعل الذي فيه (لام) يكون أقوى وآكد من الفعل بدون (لام) أي: أنّ الذكر يفيد التوكيد، والحذف أقل توكيداً.

والآن لنستعرض الأفعال لنرى هل هي بدرجة واحدة من التوكيد:

آـ ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله تعالى يريد ذلك من كل شخص علماً يتعلق به الجزاء، فهو أمرٌ عام لجميع الذين آمنوا ومن غير الذين آمنوا، فهو أمر ثابت مطلق لكل الأفراد، فأكّد باللام.

ب ـ ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ لا يتخذ كل المؤمنين شهداء بل بعضهم ، فهذا الفعل ليس باتساع الفعل الأول وليس متعلقاً بكل فرد، فحذف اللام .

ج ـ ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ متعلق بكل فرد ، وهو ما يتعلق به الجزاء فأكّد باللام .

د ـ ﴿وَيَمْحَقَ﴾ لم يمحق كل الكافرين محقاً تاماً، فالكفر والإيمان موجودان فحذف اللام .

آية الإسراء ١٢: أما في آية سورة الإسراء، فقد ذكر اللام في الفعلين، قال تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢]؛ لأنّ كلا الأمرين مطلوبٌ في هذه الحياة، وهما السعي على الرزق والحساب، وذلك لكل فرد.

أما آية آل عمران ١٥٤: فقد قال الله فيها: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] وهذان الأمران بدرجة واحدة من الاتساع، ولهذا وردت اللام في الحالتين.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ ، ما دلالة تقديم المفعول به ﴿الْقَوْمَ﴾ على الفاعل ﴿قَرْحٌ﴾ ؟

الجواب:

الأصل أنْ يتقدم الفاعل على المفعول، لكنْ يجوز تقديم المفعول على الفاعل في مقام الاهتمام والعناية، كما في آية آل عمران ١٤٠، حيث قدّم المفعول به ﴿الْقَوْمَ﴾ على الفاعل ﴿قَرْحٌ﴾؛ لأنّ هذه الآية نزلت في غزوة أحد التي أصاب المسلمين فيها أذى شديد، فأخبرهم أنّ القرح لم يصبهم وحدهم، وإنما أصاب أعداءهم كذلك، وقدّم العدو لأنه هو الذي يعني المسلمين، وإصابة العدو هي الأمر الذي يخفف عن المسلمين الحزن.

السؤال الخامس:

ما معنى (القرح)؟ وما الفرق بين (اللمس) و(المس) ؟

الجواب:

١ـ القرح: - بضم القاف وفتحها- وفيه قولان:

آـ أنهما لغتان ومعناهما واحد .

ب ـ القَرح (بالفتح) الجرح، وبـ (الضم) ألم الجراح .

٢ـ اللمس: مباشرة بإحساس كاليد . و(المس) مباشرة بغير إحساس، وهذا ما ذكره الله تعالى للمؤمنين تسلية لهم .

السؤال السادس:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؟ وما معنى التمحيص؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ نبّه على تعظيمها بأداة البعد (تلك) وإعرابها: مبتدأ، و(الأيام): بدل، وجملة (نداولها): خبر، كما يمكن أنْ تعرب(وتلك الأيام): مبتدأ وخبر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ المداولة هي الانتقال من حال إلى حال أخرى، ويقال: الدنيا دول .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ (المحص) في اللغة: التنقية، أي: ليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم، و(التمحيص) أيضاً: الابتلاء، أي: ليبتلي، وهو قول ابن عباس .

السؤال السابع:

هل الشهداء أحياء ؟

الجواب:

طبعاً الشهداء أحياء وأرواحهم حية، كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وسموا شهداء؛ لأنّ الله وملائكته شهدوا لهم بالجنة، ولأنهم يشهدون يوم القيامة مع الأنبياء والصديقين، والشهيد على وزن (فعيل) بمعنى (مشهود).

السؤال الثامن:

قوله تعالى في الآية: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ ما منظومة كلمة (المداولة) في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

١- **دار**: من الدائرة والهزيمة أو الضيق.

٢- **دال**: من التداول .

* شواهد قرآنية:

- ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨]- [الفتح: ٦] .

- ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة:٩٨].

- ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة:٥٢].

- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠].

- ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:٧] .

٣- الحف:

هو الحفاوة من بعيد ولا يقترب من المُحتفى به لمهابته، كالرئيس والوجيه يُستقبل استقبالاً رسمياً ويقف الناس على حافة موقعه .

* شواهد قرآنية:

- ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

- ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف:٣٢].

٤- الحصر:

هو المحاصرة والتضييق، وهو عقاب .

* شواهد قرآنية:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة:٥].

٥- حاق وطاف:

(حاق) أي أحاط بشيء بثبات فلا يتحرك، وأمّا (طاف) فمتحركٌ مثل الطواف حول الكعبة .

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

- ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الصافات:٤٥] [الإنسان:١٥] .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف:٢٠١] **الشيطان يدور على الإنسان يريد اقتناصه.**

❊❊❊❊

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

إنك تعلم أنّ موت المؤمن في المعركة هو الشهادة، فلِمَ عدل الله تعالى في الآية إلى ذكر الموت دون الشهادة، فلم يقل: (ولقد كنتم تمنون الشهادة) أو قيّده فقال: (تمنون الموت في سبيل الله)؟

الجواب:

إنّ هذه الآية جاءت في معرض اللوم للمسلمين الذين أظهروا الشجاعة وحُبَ اللقاء ولو كان فيه الموت، ولم يرضوا التحصن في المدينة والدفاع دون الحرب كما أشار به الرسول ﷺ، فلذلك نزع الله تعالى صفة التشريف عن الموت في سبيل الله وهي الشهادة، وعدل عنها وصرّح بلفظ الموت فقط.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ختام الآية ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ؟ وما دلالة استخدام الشكر بدل الصبر؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ معناها: سيثيب الثابتين على دين الإسلام، أي: صبروا فثبتوا فشُكِروا على صبرهم .

١ـ الشكر: مرحلة بعد الصبر وأعمّ منها، فالصبر على المصيبة أولاً، ثم الثبات والرضا، ثم الشكر على الصبر والثبات، فالشكر يكون مرحلة بعد الصبر؛ لأنّ الشكر اقتضى الصبر وزيادة.

٢ـ الصبر: فقط صبر على الفراق، وهذا مرحلة أولى ، لكنّ المطلوب ما بعد هذه المرحلة بأن يثبتوا ويشكروا ربهم، وشكر الله تعالى يكون على أمرين:

آـ على ثباتهم .

ب ـ على إتمام الدين ، والرسول لا يرحل إلا بعد إكمال النعمة، وربنا سبحانه وتعالى سيجزي الشاكرين.

٣ـ الآية التي تليها سياقها في الشكر ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٥] والشاكرون الذين شكروا الله سبحانه وتعالى على أنه صبّرهم وثبّتهم فشكروا، وهم يشكرون الله تعالى على أنه أتمّ الدين كله؛ لأنّ الرسول لا يذهب إلا بعد تمام الدين.

٤ـ الله تعالى يريد منا الشكر في كل شيء، إذا كنت قد صبرت على البلية فلك أجر الصابرين، فإنْ شكرت كان أجرك أعلى، وإنْ شكرته على صبرك فهذه عبادة، وإنْ شكرته على العبادة صارت عبادة أخرى، وكأنّ الشكر مرحلة الرضا عما حدث لهم بقضاء الله وقدره، وهذه مرحلة أعلى ، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿وَسَيَجْزِى﴾ و ﴿وَسَنَجْزِى﴾ في آيتي آل عمران [١٤٤و ١٤٥]؟

الجواب:

١ـ كل آية توضح مسألتها: فقوله تعالى في الآية ١٤٤ : ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ورد فيها ﴿فَلَن يَضُرَّ﴾ ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ﴾ ، وهو لم يتكلم بضمير المتكلم بل بضمير الغيبة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ يعني أنّ الذي لا ينقلب على عقبيه هذا شخص ، وأنّ الذي يجزي هو جهة أخرى وهي الله سبحانه وتعالى .

٢ـ أما الآية الثانية ١٤٥ ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ فهي بالإسناد إلى ضمير المتكلم ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ ﴿وَسَنَجْزِى﴾ والمتكلم هو الله .

وفي الآية الفاعل واحد، والمؤتي واحد، والمجازي واحد ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ ، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ـ إذن الفرق بين الآيتين أنه صرّح بالفاعل في آية، وأضمر في الأخرى.

٤ـ قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ الغرض منه تأكيد الوعيد، والله لا يضره كفر الكافرين بل المراد أنه يضر نفس المرتد .

والذي يصبر فهو من الشاكرين لله، وهو من أحباء الله تعالى .

السؤال الثالث:

ما سبب نزول هذه الآية في سورة آل عمران، وهي التي قرأها أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ ؟

الجواب:

هي لها سبب نزول، ولكن استفاد منها أبو بكر الصديق عندما توفي الرسول ﷺ ، بينما هي كانت نزلت في وقت قريب من وفاة الرسول ﷺ في أُحُد عندما خرج صارخٌ يصرخ أنّ محمدا ﷺ قد قُتِل، فارتبك الناس، فمن جملة من ارتبك أحد المهاجرين لا يذكرون من هو، لكنه يروي القصة وشاعت: جاء إلى رجل من الأنصار يتشّحط في دمه

فقال: له أشعرت أن محمداً ﷺ قُتِل؟ فقال الأنصاري الذي يتشحط في دمه - يعني يموت -: إنْ كان محمد قُتِل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم. وهذا هو المعنى .

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، وقرأها أبو بكر الذي عصم الله تعالى به الأمة في أول فتنة تتعرض لها، وكان يمكن أن يتقاتلوا فيما بينهم لكن عصم الله سبحانه وتعالى الأمة، وأبو بكر له عواصم كثيرة من القواصم رضي الله عنه وأرضاه.

السؤال الرابع:

هل هناك في هذه الآية دليل على إعجاز هذا القرآن، وأنه من عند الله تعالى ؟

الجواب:

هذه الآية تشير إلى أنّ الرسول ﷺ قُتِلَ ميتاً ومات مقتولاً، وذلك من حيث سبب موته وهو السُمُّ الذي أكله في خيبر من الشاة المسمومة التي قدمتها له اليهودية بعد فتح خيبر وليمةً له ولصحبه، وكانت قد ملأت الشاة سماً وبخاصة الذراع؛ لأنها تعلم أنّ رسول الله ﷺ كان أكثر ما يحب من الشاة الذراع .

وما أنْ لامس اللحم شفتيه حتى أدرك ﷺ أنها مسمومة، فألقى الذراع ولكنّ السم تسرب إلى جسده الشريف، وبقي السم يعمل مدة ثلاث سنوات ثم مات بعدها بهذا السم.

والدلالة على ذلك أنه ﷺ في الليلة الرابعة من مرضه رأى الرسول عليه السلام أخت البراء الذي كان معه في الوليمة وأكل من الشاة المسمومة ومات من ساعتها، فقال

لها: إنّ السم الذي مات به البراء قطَعَ أبهري، أي: أنّ هذا السم الذي قتل البراء سوف يقتلني، ومات الرسول ﷺ مسموماً .

فكونه ﷺ لم يمت في ساعتها عند الأكل من الشاة المسمومة بل بعدها بثلاث سنوات يدل على أنه مات موتة طبيعية، أي: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ وكونه مات بسبب السم الذي أكله فهو مقتول، أي: ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ فمن قال: إنه ﷺ مات فقد صدق، ومن قال:إنه قُتِل فقد صدق أيضاً، فهو إذن ميت مقتول ومقتول ميت.

السؤال الخامس:

لِقائل أن يقول: لمّا كان الله قد عصم نبيه ﷺ من القتل بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧] فَلِمَ قال: أو قتل ؟

الجواب:

إنّ صدق الشرط لا يقتضي صدق الجزاء، فإنك قد تقول: إن كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين، وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢] فهذا حق مع أنه ليس فيهما آلهة وليس فيهما فساد، والمعنى من الآية هو أنّ الموت لا يوجب رجوع الأمة عن دينها، فهو رد على الذين شكوا في صحة الدين وهموا بالارتداد.

و ليس لقائل أن يقول: إنّ في الآية شكاً، وهو على الله لا يجوز، والمراد من الآية سواء أوقع هذا أو لم يقع ذاك ، فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الارتداد.

السؤال السادس:

حرف الاستفهام ﴿أَفَإِيْن﴾ هل دخل على الشرط أم على الجواب ؟

الجواب:

حرف الاستفهام ﴿أَفَإِيْن﴾ دخل على الشرط ، وهو في الحقيقة داخل على الجزاء، والمعنى أتنقلبون على أعقابكم إنْ مات محمد أو قتل ؟!!!.

السؤال السابع:

جاءت لفظة ﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﷺ في آية آل عمران ١٤٤، وجاءت لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾ في آية الصف ٦ في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ، وكلاهما مشتق من الحمد، فما الدلالة البلاغية لكل لفظ ؟

الجواب:

١ـ لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾[الصف:٦] جاءت من الفعل (حَمَدَ) على صيغة اسم التفضيل:(أفعل) واسم الفاعل: (حامد) الذي وقع منه فعل الحمد فكان (حامد)، أمّا: (أحمد)، فقد زاد في أداء الحمد عن (حامد)، فكان (أحمد) .

٢ـ لفظة ﴿مُحَمَّدٌ﴾ على وزن صيغة (مفعّل) بزيادة التضعيف على صيغة اسم المفعول (محمود)، من (حُمِدَ) الذي وصف بالحمد، فكان محموداً .

وعلى هذا فإنّ صيغة التضعيف تحمل في ثناياها زيادة في معنى الحمد، وزيادة المبنى فيها دلالة على زيادة المعنى .

٣ـ إنّ اسم ﴿أَحْمَدُ﴾ قد جسّد حمد الله مراراً، وهذا استشعار لفضل المنعم وأداء حقوقه بالقلب واللسان والجوارح .

بينما تضمن اسم ﴿مُحَمَّدٌ﴾ طاقة مكثفة من حمد الناس وثنائهم عليه تحقيقاً لما وصفه به ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] فكأنّ الله تعالى قد جمع في اسمي محمد وأحمد، صفتي المجاهدة والاصطفاء، ولذلك وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها **(كان خلقه القرآن)** صلى الله عليك يا رسول الله.

❊❊❊❊

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ ؟

الجواب:

هو كتاب الموت، والكون فيه كتاب كامل ودليل شامل، واللوح المحفوظ هو الكتاب الكامل الذي فيه هذا الكون.

ولما ذكر الله في الآية أنّ النفس لا تموت إلا بإذن الله، عُلم أن ذاك بأجل منه، فأكّده بقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ .

وإعراب ﴿كِتَٰبًا﴾ هو نائب مفعول مطلق منصوب، أي: أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر إلا بإذن الله تعالى سبحانه .

السؤال الثاني:

فعل الشرط جاء في آية آل عمران ١٤٥ بصيغة المضارع ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ وجاء في آية الإسراء ١٩بصيغة الماضي ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ﴾، فما الفرق بين صيغة الفعل الماضي والفعل المضارع في فعل الشرط ؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء:١٩]

فذكرفي آية الإسراء الآخرة وجاء بالفعل الماضي؛ لأنّ الآخرة واحدة وهي تراد.

لكن عندما تحدث عن الدنيا قال: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران:١٤٥] ؛ لأنّ إرادة الثواب تتكرر دائماً، فكل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذن يتكرر والشيء المتكرر يأتي به بصيغة المضارع ، والشكر يتكرر؛ لأنّ النعم لا تنتهي ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم:٣٤] .

والشكر يتكرر، وكلما أحدث لك الله تعالى نعمة وجب عليك أن تحدث له شكراً، أمّا الكفر فهو أمر واحد حتى إن لم يتكرر، فإنْ كفر الإنسان بأمر ما فقد كفر، وإنْ كفر بما يعتقد من الدين بالضرورة فقد كفر، ولا ينبغي أن يكرر هذا الأمر؛ لأنه إنْ أنكر شيئا من الدين بالضرورة واعتقد ذلك فقد كفر وانتهى ولا يحتاج إلى تكرار، أمّا الشكر فيحتاج إلى تكرار؛ لأنّ النعم لا تنتهي.

٢ـ وفي ذلك إشارة إلى أنّ الشكر ينبغي أنْ يتكرر وأنّ الكفر ينبغي أن يقطع، فخالف بينهما في التعبير، فجاء بأحدهما في الزمن الحاضر الدال على التجدد والاستمرار، وجاء بالآخر في الزمن الماضي الذي ينبغي أن ينتهي.

❁❁❁❁

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لقد جمعت هذه الآية بين (الضعف والوهن) ، وهما متقاربتان تقارباً يبلغ حد الترادف ، فهل يمكن الاستغناء عن أحدهما دون الآخر؟

الجواب:

الواقع أنّ كل واحد منهما أفاد معنى أراده البيان القرآني، وهما هنا مجازان، فالوهن أقرب إلى خَوَر العزيمة واليأس في النفوس ، والضعف أقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة، ثم بعد ذلك تجيء الاستكانة لتعبر عن الخضوع والمذلة للعدو بعد الوهن والضعف، ومن لطائف النظم القرآني ترتيبها في الذكر بحسب ترتيبها في الحصول، فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء واستسلمت ورضخت للمذلة من العدو.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَكَأَيِّن﴾ ما تركيب هذه اللفظة لغوياً ؟

الجواب:

١ـ كأين: مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة، ثم حصل لهما بالتركيب معنى ثالث لم يكن لكل واحد منهما في حال الإفراد .

وهي تفيد التكثير مثل كم الخبرية، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مع (من) كقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .

٢ـ والذي يبدو أنها تستعمل في القرآن الكريم في مواطن التفخيم والتعظيم إضافة إلى التكثير، كما في آية آل عمران ١٤٦؛ لأنّ فيها موطن تفخيم وموطن تأسية للرسول ﷺ والجماعة المؤمنة بعدما حصل لهم في معركة أحد، فإنّ مثل هذا حصل لمن قبلهم من المؤمنين، انظر الآيات: (آل عمران ١٤٠ ـ ١٤٦) فهذا موضع تفخيم وتعظيم.

السؤال الثالث:

في المصحف لماذا كتبت ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ بالنون، وكتبت ﴿ إِذًا ﴾ بالألف، فلماذا ؟ وكم مرة وردت لفظة ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ قي القرآن الكريم ؟

الجواب:

ـ (كأين):

هي الكلمة الوحيدة التي كتب فيها التنوين نوناً ، وذلك على مراد الوصل دون الوقف، ولم يكتب في القرآن تنوين إلا في هذا الحرف .

وقد جاءت كلمة ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ في سبعة مواضع، وهي:

[آل عمران ١٤٦ـ يوسف ١٠٥ـ الحج ٤٥ـ الحج ٤٨ـ العنكبوت ٦٠ـ محمد ١٣ـ الطلاق ٨].

ـ (إذن):

وهي مما كتب بالألف مثل التنوين المنصوب، ويبدو أنها كانت يوقف عليها بالألف فجاءت مرسومة في المصحف كذلك حيث وقعت .

وقد مال جمهور النحاة في العصور المتأخرة إلى كتابتها بالنون، بينما مال جمهور أهل الرسم على كتابتها بالألف، كقوله تعالى:

ـ ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء:٧٦] .

ـ ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء:٥٣].

ـ ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ﴾ [الإسراء:٧٥].

ـ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾ [الأنعام:٥٦].

وحين تلتقي الألف التي هي عوض التنوين بألف أخرى في آخر الكلمة، فإنّ الرسم العثماني جرى على إثبات ألف واحدة بسبب كراهة اجتماع صورتين متفقتين في الخط نحو:[ماءً ـ غثاءً ـ جفاءً ـ سواءً].

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

آية آل عمران هذه فيها قراءتان ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ بالنصب، وبالرفع (قَوْلُهُمْ) ، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ في آية واحدة قرئت قراءتان متواترتان:

آ ـ القراءة الأولى: بتقديم خبر (كان) وهو ﴿قَوْلَهُمْ﴾ بالنصب، و(أنْ قالوا) اسمها مؤخر.

ب ـ القراءة الثانية: (وما كان قولُهم إلا أن قَالُواْ) ، ويكون (قولُهم) بالرفع اسم (كان) ،والمصدر المؤول خبرها.

إذن من حيث اللغة والنحو ليس فيها إشكال، ووجود قراءتين معناه أنّ هنالك معنى لكل قراءة ، ويبقى السؤال: ما سبب الاختيار؟

٢ـ نأخذ الأصل بالرفع أي: (ما كان قولُهم إلا هذا) يعني: أنهم ما قالوا إلا هذا الكلام في هذا الموقف ولم يقولوا غيره، وهو مقام حرب وقتال، وهم يطلبون المغفرة والتثبيت والنصر كما ورد في الآية ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ أي: لم يقولوا في هذا المكان إلا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ .

٣ـ أما بالنصب (قولَهم) ، فتصبح (ما كان هذا إلا قولَهم) يقدّم الخبر، ولم يقله أحد غيرهم، ولم يقل هذا إلا هؤلاء؛ لأن هذه الفئة هي الفئة المؤمنة.

٤ـ الآن صار عندنا معنيان: المعنى الأول: أنهم لم يقولوا غير هذا القول وهذا المقال وهذا الدعاء في هذا الموقف، والقول الآخر: لم يقل هذا القول غيرهم، فهم وحدهم هم الذين قالوا هذا القول فصار مدحاً في القول والأشخاص .

٥ـ إذن باجتماع القراءتين المتواترين أصبح المدح للقائل والمقول، وهذا مثل قولك: (ما أخي إلا هذا، ما هذا إلا أخي) فالثانية تعني: ليس هو صديقي وإنما أخي، وأما (ما أخي إلا هذا) فيعني ليس عندي أخ إلا هذا، وهذه أيضاً فيها حصر.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣﴾ وقال في نفس السورة: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ . لماذا اختلاف الخاتمة في الآيتين ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٩٣ .

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم دلالات الآية ؟

الجواب:

١ـ خصّ الله ثواب الآخرة بالحُسن تنبيهاً على جلال ثوابهم .

٢ـ قوله تعالى في الآية السابقة ١٤٥ : ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ ، فذكر لفظة (مِن) وهي للتبعيض، أمّا هنا فلم يذكرها؛ لأن الذين يريدون ثواب الآخرة قد اشتغلوا بالعبودية لطلب الثواب فكانت مرتبتهم في العبودية أقل .

وأمّا المذكورون هنا، فإنهم لم يذكروا في أنفسهم إلا الذنب والتقصير وهو المراد بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ ، فكان مقام هؤلاء في العبودية أكمل، ولا جرم أن أولئك فازوا ببعض الثواب، وهؤلاء فازوا بكل الثواب .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ فيه دقيقة لطيفة، وهي أنّ هؤلاء اعترفوا بكونهم مذنبين، حيث قالوا: ﴿ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ ، فلمّا اعترفوا بذلك سماهم الله

(محسنين) ، كأنّ الله تعالى يقول: إذا اعترفت أيها العبد بإساءتك وعجزك فأنا أصفك بالإحسان، حتى تعلم أنه لا سبيل للعبد إلى الوصول إلى الله تعالى إلا بإظهار الذلة والانكسار والعجز له تبارك وتعالى .

السؤال الثالث:

ما دلالة لفظة ﴿يُحِبُّ﴾ في الآية بصيغة الفعل المضارع ؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿يُحِبُّ﴾ كفعل مضارع في (٤١) موضعاً في القرآن الكريم على حين وردت مشتقاته الأخرى في (٤٢) آية أخرى .

وقد ورد الفعل ﴿يُحِبُّ﴾ مثبتاً هكذا نحو ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٤٨] ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦] .

كما ورد منفياً مسبوقاً بـ (لا) في آيات أخرى نحو: (لا يحب المعتدين)ـ (لا يحب الكافرين) ـ (لا يحب الظالمين) ـ (لا يحب المسرفين) .

أي: أنّ الله (يحب) أو (لا يحب)، ولم يرد في القرآن الكريم الفعل (يكره) مسنداً إلى الله تعالى، فلم يقل: إنّ الله يكره أبداً، بل ورد أنّ الإنسان يكره ويذم ويحسد، ولم ترد هذه الصفات لله عز وجل أبداً .

فلماذا ؟

ثمة فرق بين أنْ تقول: إنك لا تحب فلاناً، و: إنك تكره فلاناً، ذلك أنّ الشخص الذي يكره يحتاج إلى مرحلتين لو أراد أن يحب، وهما أن يتخلص أولاً من الكره، ثم بعد ذلك يدخل في الحب ، هذا للبشر .

أمّا الله عز وجل فعندما يقول: إنه لا يحب المسرفين مثلاً، فما عليهم إلا أن يَدَعُو إسرافهم وظلمهم وكفرهم حتى يكونوا في عداد الذين يحبهم الله من المتقين والمحسنين والصابرين، ولا ينطبق على الله تعالى ما ينطبق على البشر في مرحلتي الانتقال من الكره إلى الحب . والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة آل عمران ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ ما المثوى؟ولماذا لم ترد كلمة (مثوى) في حال أهل الجنة أبداً؟ وما الفرق بين (المثوى والمأوى) ؟

الجواب:

١ـ (المثوى) في اللغة المنزل، أو المكان الذي يثوي فيه الإنسان، والثواء هو الانحسار في مكان، ويكون عادة الإنسان فيه قليل الحركة مثل المسكن، المنزل، الحجرة التي يبيت

فيها،والثواء هو الثوى، يعني الاستقرار في مكان واحد وإنْ كان فيه حركة فهو حركة ضيّقة، بخلا ف الفضاء .

يقول الشاعر: **ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواءُ.**

أي: يستقر في وضعه إلى أن يمل موضعه منه .

والثواء هو طول الإقامة .

ويقول شاعر آخر:

فقلـــتُ لهـــا: إن الثـــواءَ هـــو الثـــوى وإن بيـــوتَ العـــاجزين قبـــورُ

أي: أنّ الإستقرار في مكان واحد فيه حركة ضيقة يشبه استقرار العاجزين في القبور.

وفي الحديث أنّ رمح النبي ﷺ كان اسمه المُثوِي، سمي به لأنه كان يثبت المطعون به.

وفي حياتنا نقول في إعلان الوفاة عن شخص: حيث مثواه الأخيرالدنيوي .

وبالتالي كلمة (مثوى) تدل على الإقامة أو الاستقرار في مكان ضيق كالقبر أو أكبر كالمنزل، وكلاهما يمنع الحركة الكبيرة ولربما الصغيرة وليس كالفضاء الواسع .

* شواهد قرآنية:

- ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣] أي: أحسن منزلي .

- ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف:٢١] أي: أكرمي نُزُله .

- ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ [القصص:٤٥] أي: ما كنت مقيماً.

- ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩] أي: الأماكن التي تتقلبون فيها والمكان الذي تستقرون فيه .

- ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٢٨] أي: النار مكان إقامتكم .

٢ـ و(المأوى) استعمل في النار وفي الجنة، فالجنة تضم صاحبها والنار تضم صاحبها، لكن شتان بين الضمتين ، بين احتضان الجنة للإنسان واحتضان النار للإنسان.

٣ـ فكلمة الثوى والثواء استعملت في حال الدنيا؛ لأنه يعني المنزل الذي يثوي إليه أو يأوي إليه، لذلك نجدها في أكثر من سورة في حال الدنيا.

٤ـ وفي القرآن استعمل اللفظة للنار فقط ، لماذا؟ لأنّ الجنة ليست منطقة ضيقة محصورة لأننا نتبوأ من الجنة حيث نشاء، وفيها السعة والانطلاق.

بينما استعمل القرآن ﴿مَثْوَى﴾ في جهنم بالرغم من سعتها، كقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران:١٥١]؛ لأنّ الله قال: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد:٢٠] فهي نار ومغلقة،أي: هم مقيمون في العذاب وحركتهم فيها محدودة ﴿سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطفِّفين:٧] .

* شواهد قرآنية: (على قلة الحركة والضيق):

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١].

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزُّمر:١٦] .

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٥] .

٥ـ وقال الحسن: هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم .

أما الجنة ففيها مجال واسع للحركة قال تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزُّمَر:٧٤] وقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] فلا يناسبها ﴿مثوى﴾.

وللعلم فإنّ لفظة (مثوى) قد وردت في القرآن الكريم في تسعة مواضع.

السؤال الثاني:

ما دلالة الإلقاء في هذه الآية ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران:١٥١] ؟

الجواب:

حقيقة الإلقاء هو رمي الشيء على الأرض، كقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشعراء:٤٤] ، فهو هنا إذن مجاز على طريقة الاستعارة، فالإلقاء مؤذِن بتمكّن الرعب من قلوبهم.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ في الآية ؟ وهل الفعل (صَدَقَ) في الآية لازم أو متعدٍّ؟

الجواب:

١ـ الحَسّ هو القتل، وقوله تعالى: ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلاً كثيراً.

٢ـ الفعل (صَدَقَ) يتعدى إلى مفعولين، تقول: صدقته الوعد والوعيد.

السؤال الثاني:

ما دلالة ترتيب الأفعال في الآية ﴿فَشِلْتُمْ﴾ ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى دقة النظم القرآني بترتيب الأفعال الدالّة على الحدث: الفشل، التنازع والعصيان، فقد رتبها على حسب ترتيبها في الحصول، وهو ضجر بعض الرُّماة من ملازمة مواقعهم، ثم التنازع في ملازمة الموقف وفي اللحاق بالجيش في الغنيمة، ونشأ عن التنازع تصميم معظمهم على مفارقة الموقع، وفيه عصيان لأمر النبي ﷺ بالملازمة.

السؤال الثالث:

ما دلالة تسمية مخالفة الرماة (عصياناً) في الآية، مع أنّ تلك المخالفة كانت عن اجتهاد لا عن استخفاف، والعصيان من الاستخفاف، فلِمَ عبّر الله تعالى عن مخالفتهم بالعصيان ولم يقل و(خالفتم)؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ لقد كان عصيان الصحابة في معركة أُحُد مخالفة لأمر النبي ﷺ، وسميت هذه المخالفة عصياناً؛ لأنّ المقام ليس مقام

اجتهاد، فإنّ شأن الحرب الطاعة المطلقة للقائد من دون تأويل، لذلك جاءت بصيغة العصيان زيادة عليهم في التقريع.

السؤال الرابع:

أين جواب الشرط في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الجواب فيه وجهان:

آ ـ أن هذا ليس بشرط، ولفظة ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا بمعنى (إلى) بتقدير، أي: نصركم الله إلى أنْ كان منكم الفشل والتنازع .

ب ـ أن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ شرط ، وجوابه محذوف بتقدير: (من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره)، وإنما حَسُنَ حذف هذا الجواب؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ﴾ [آل عمران:١٥٢] .

٢ـ ونظائره في القرآن قوله تعالى: ـ ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾ [الأنعام:٣٥] والتقدير: فافعل ، ثم حذف الجواب لدلالة الكلام عليه .

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزُّمَر:٩] ، والتقدير: أم من هو قانت كمن لا يكون كذلك ؟

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كتابة كلمة (كي لا) منفصلة مرة في آية سورة الحشر و(لكيلا) موصولة في آية سورة آل عمران؟وكم مرة تكرر ذلك في القرآن ؟

الجواب:

وردت (كي) في القران الكريم عشر مرات، منها ثلاث مرات بمفردها وسبع مرات مقترنة بلام النافية، وضمن هذه المرات السبع كتبت (كيلا) متصلة أربع مرات في آيات: [آل عمران ١٥٣ ـ والحج ٥ ـ والأحزاب ٥٠ ـ والحديد ٢٣] وثلاث مرات منفصلة، أي: كتبت (كي لا) في آيات [الأحزاب ٣٧ ـ والنحل ٧٠ ـ والحشر ٧].

وبشكل عام يمكن أن نقول:

١ـ خطان لا يُقاس عليهما: خط المصحف وخط العروض .

٢ـ من الناحية اللغوية جائز كتابة: (كيلا)، متصلة أو منفصلة لكنها تُرسم بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام .

٣ـ من الناحية البيانية (كي لا) منفصلة تحتمل الفصل والزمن الطويل، أما الكلمة الموصولة (كيلا) فلا تحتمل الفصل .

الشواهد القرآنية المتصلة:

١ـ آية آل عمران ١٥٣:

آية آل عمران ١٥٣ جاءت متصلة؛ لأنّ المعنى يدل على أنّ الغم متصل بالغم ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾، ويقصد غم الهزيمة وغم فوات الغنائم فوصل: (لكيلا).

٢ـ آية الحج ٥:

يلاحظ في الآية اتصال وتسلسل جميع مراحل الإنسان ابتداء من التراب مروراً بالنطفة والعلقة ثم مرحلة حياة الرحم، ثم الولادة فمرحلة الطفل ثم الشباب، ثم بعدها مرحلة الهرم أو الموت، فهي مراحل متصلة متلاحقة غير منفصلة فناسب استخدام (كيلا) متصلة.

٣ـ آية الأحزاب ٥٠:

آية الأحزاب ليس فيها انفصال، فالكلام عن أزواج الرسول ﷺ، وهذا الاتصال قائم بأزواجه وبما ملكت يمينه، والإنسان مع زوجته في اتصال قائم وليس هناك فصل؛ لذا جاءت (لكيلا) متصلة.

٤ ـ آية الحديد [٢٢ ـ ٢٣]:

الآية تبين أن ما قدّر الله من مصائب في الأرض، مثل الزلازل والفيضانات وأمثال ذلك أو في أنفس الناس من الأمراض وضيق العيش، كل ذلك مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل حصولها، وهذا الأمر متصل ومطبق في حياتكم سواء كان الأمر

محزناً أو مفرحاً ، والمؤمن يجعل مصيبته صبراً والخير شكراً، ولذلك كان من المناسب استخدام (كيلا) متصلة لاتصال ذلك القدر بحياة الناس.

* الشواهد القرآنية المنفصلة:

١ـ آية الأحزاب ٣٧:

كتبت آية الأحزاب منفصلة؛ لأنه لا يحل الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدة ، فلا يصح الزواج بها إلا بعد الانفصال، فجاء رسم (كي لا) منفصلاً.

٢ ـ آية النحل ٧٠ :

ذكر الله في هذه الآية أنه هو الذي يخلقنا ثم هو الذي يتوفانا، ثم ذكر قسماً منفصلاً عن مراحل حياة الإنسان المختلفة المبينة أعلاه في آية الحج (٥) ألا وهو مرحلة أرذل العمر، فناسب استعمال (كي لا) منفصلة ليتناسب انفصال أرذل العمر عن باقي العمر، كما ينفصل العلم عن ذاكرة وعقل الإنسان في مرحلة الخرف والهرم.

٣ ـ آية الحشر ٧:

في هذه الآية فصل (كي لا)؛ لأنه يريد أنْ يفصل الأموال؛ لأنها لا ينبغي أنْ تبقى دُولة بين الأغنياء، وإنما يجب أنْ تتسع الأموال لتشمل الفقراء والآخرين، ففصل في رسم (كي لا).

وهذا من لطيف الرسم .

السؤال الثاني:

ما أهم الوقفات في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ﴾ معناه: واذكر حين .

٢ـ قوله تعالى: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ من أصعد، أي: ذهب في الصعيد، وهي الأرض المستوية حتى تعينه على سرعة الفرار .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي: لا تعرجون على شيء .

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: الرسول يناديكم من مؤخرتكم أنْ ارجعوا وعودوا إلى ميدان المعركة .

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ كأنه يقول: عاقبكم، لكنه سبحانه يأتي بها مغلفة بحنان الألوهية ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾، فكأن ما حدث لكم هو تخليص حق .

٦ـ قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ أي: لو لم تحدث مسألة الحزن لظلت الغنائم في بالكم؛ لأنها السبب فيما حدث .

وكأنّ الغم الذي حدث إنما جاء ليخرج من قلبكم لقطة سيل اللعاب على الغنيمة .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ فهو سبحانه خبير بكل فعل وإحساس.

٨ـ العلماء يقولون: الدرس الذي يُعلِّم النصرَ في الكثير لا يعتبر هزيمةً في القليل .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية آل عمران:١٥٣ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ وفي آية الحديد ٢٣: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ بمعنى تحزنوا، فما الفرق بين الفعلين (حزن) و(أسى)، وكلاهما يدل على الحزن ؟

الجواب:

كِلا الفعلين يدل على الحزن .

١ـ الفعل (حزن) وفيه تفصيل:

أـ لدينا: حزِن يحزَن ـ بفتح الزاي ـ وهو فعل لازم، وليس متعدياً، تقول: حزِن عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر:٨٨] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس:٧٦] .

ب ـ وحزَن يحزُن ـ بضم الزاي ـ وهو فعل متعدٍّ، نحو: حزنني وأحزنني وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف:١٣] .

ج ـ اللغة العليا حزَن يحزُن، وتستعمل أحزن من حَزَن.

٢ـ الفعل: (أسي يأسى) كما في الآية ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد:٢٣] و(أسى) بمعنى حزن أيضاً ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف:٩٣] .

٣ ـ الفرق بين الحَزن (بالفتح) و الحُزن (بالضم):

آـ في (الحَزَن) توجد مشقة وشدة؛ لأنه قريب من معنى الحَزْن الذي هو الغلظ والشدة في الأرض، وتقال للأرض الصعبة وكما جاء في الدعاء: «**اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزْن إذا شئت سهلاً**» .

ب ـ (الحُزن): هو الغلظ والشدة في النفس، وهو أثقل من الحَزَن؛ لأنّ الحزْن تجتازه وانتهى الأمر، وأما الحُزن فيبقى في النفس، إضافة أنّ الحَزن فيه فتحة، والحُزن فيه ضمة، فاختاروا الضمة لما هو أثقل؛ لأنها تتناسب اللفظة مع مدلولها أو المعنى.

٤ ـ (الأسى): هو الحزن يقال: أسى له أي حزن له، لذلك ﴿الحزن﴾ أشد من الأسى.

٥ـ الفارق بين (لكيلا تحزنوا) و (لكيلا تأسوا):

ننظر في السياق ونقدّر:

آ ـ في آية آل عمران ١٥٣ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ هذا الكلام بعد واقعة أُحد وما حصل لهم من شدة ومشقة وهزيمة وجراح، وكذلك ما فاتهم من الغنائم وكانت شديدة عليهم، قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ﴾ فالحُزن في أحدٍ كان على أمرين: على ما فاتهم، وعلى ما أصابهم.

ب ـ أمّا في آية الحديد فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، فهو أمر واحد، وأما ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ فهذه نعمة (تفرحوا بها آتاكم من النعم).

ج ـ أي: في أُحُد أمران في الحزن، فقطعاً في أُحُد الحزن أكثر؛ لأنّ الحزن على أمرين ما فاتهم وما أصابهم، أمّا في الحديد فالحزن على ما فاتهم فقط.

د ـ بعد معرفة الفرق بين حزن وأسي، فالمناسب أنْ يكون (الحزن) في آية آل عمران، و(تأسوا) في آية الحديد .

وكل كلمة في مكانها البلاغي ولا يوجد ترادف في القرآن الكريم، وإنما هو حتى عند اختيار لغة على لغة يكون مقصوداً، وكل كلمة لها دلالة، واختيارها له سبب مقصود، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، وكل كلمة وكل عبارة وكل حرف مقصود.

٦ـ والملاحظ أيضاً أنه في الحديد قال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ بينما في آل عمران قال: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ففي أُحُد حزن، فبمَ يفخر؟ بينما هناك في آية الحديد يفخر بما آتاهم ، فهذه ليست مثل هذه.

٧ـ الفتحة أخف الحركات تليها الكسرة، والضمة أثقلها، والعرب تراعي كثيراً من هذه الأمور فتجعل الثقيل للثقيل سواء في الحركات أو في اللفظ عموماً وتناسب اللفظ والمعنى.

وعندما يتحول الفعل إلى (فَعُل) يتحول إمّا للتعجب أو للمدح والذم أو المبالغة أو التحوّل، مثل: (فقِه وفَقُه) ، فمع الضم (فقُه) معناه: صار فقيهاً، أما (فقِه) بالكسر فجزئية .

وكذلك (عَسِر وعَسُر): (عسِر) عليه الأمربالكسر، أمّا (عسُر) بالضم فالأمر هو عسير.

فالحركة تغير الدلالة تماماً،كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الرعد:٢٣]. ما قال: (صلُح) بالضم وإنما قال: (من صَلَح) بالفتح رأفة بالعباد، لأنّ ﴿صلُح﴾ بالضم أي صار صالحاً إلى حد كبير من الصلاح، والله تعالى من رحمته بعباده يكفيه أنْ يكون الإنسان صالحاً، لا أن يبلغ ذلك المبلغ في الصلاح، وهذه قاعدة عامة، لكن السماع هو الذي يقطع بذلك أحياناً.

❁❁❁❁

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ ، وليس (من مضاجعهم) ، فلماذا ؟

الجواب:

يذهبون (إلى مضاجعهم) من الموت حيث يموتون، إلى مضاجع الموت وليس من الفراش، وليسوا كلهم يقومون من الفراش، أو كلهم يقومون من المضجع. والمعنى: لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم التي يموتون فيها، وهي المضاجع النهائية التي يموتون فيها.

السؤال الثاني:

لِمَ قدّم (الأمنة) وأخّر (النعاس) في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ الأمنة من الأمن، والنعاس أول النوم .

وكان مقتضى الظاهر أنْ يقدّم النعاس ويؤخر الأمنة؛ لأن (أمنة) بمنزلة النتيجة والغاية للنعاس تماماً، كما جاء في آية الأنفال ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١] ، ولكنه قدّم الأمنة هنا تشريفاً لشأنها، حيث جُعِلت كالمنزَّل من الله تعالى لنصرهم، ولأنّ الأمن فيه سكينة واطمئنان للنفس أكثر من النعاس، فالنعاس يُخشى منه أن يكون نوماً ثقيلاً وعندها يؤخَذون على حين غرّة.

السؤال الثالث:

لِمَ قال: عن الطائفة الأولة ﴿مِّنكُمْ﴾ ولم يقيّد الثانية بهذا الوصف فقال تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ولم يقل: (طائفة منكم) و(طائفة منك) قد أهمتهم أنفسهم؟

الجواب:

انظر إلى ما يفيده الوصف (منكم) في كلتا الطائفتين: فعبّر عن الأولى التي يغشاها النعاس بقوله: ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، أما الثانية فهي فئة منافقة؛ لذلك ترك الله تعالى وصفها بـ(منكم) ؛ لأنها ليست من المؤمنين الذين أمّنهم الله تعالى بالنعاس، وهي التي قال عنها: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ .

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (الأمن) و(الأمنة) ؟

الجواب:

١ـ الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات .

ومن ذلك:

آ ـ آيتا الأنعام [٨١ـ٨٢]على لسان إبراهيم عليه السلام عندما هدده قومه وخوفوه ، فرد عليهم بأن بيّن لهم من هو الأولى بالخوف ومن هو الجدير بالأمن ، ثم قدّم لهم

الجواب القاطع الدائم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢] .

ب ـ آية النور ٥٥ ، وفيها تصريح بتبديلهم أمناً بعد الخوف، أي: أنّ الأمن يعقب الخوف فيزيله ويزيل أسبابه .

٢ـ الأمنة: هي الطمأنينة مع وجود سبب الخوف، وقد وردت مرتين في القرآن، وكلاهما في سياق واحد، وهو تثبيت الله للمؤمنين في معاركهم مع الكفار، وإنزاله سبحانه الجنود الربانيين ليكونوا معهم، مثل: الملائكة والمطر والنعاس .

والآية الأولى منهما: (الأنفال ١١) ، وهي تتحدث عن تثبيت المؤمنين في غزوة بدر، والثانية هي آية (آل عمران ١٥٤) في غزوة أُحد، حيث تحدثت الآية عن النعاس يغشى المؤمنين ليزيل شعورهم بالخوف، والخائف لا ينام عادة وكذلك المهموم والمغموم ، ولكنّ الله جعل المؤمنين في غزوتي بدر وأحد ينعسون ليزيل عنهم الشعور بالخوف، علماً بأنّ المعركة ما زالت مستمرة وأسباب الخوف ما زالت قائمة فهو أمر معنوي نفسي، ولم تستعمل (الأمنة) إلا في سياق المعارك. والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ ما دلالة ذكر (اللامين) مع الفعلين ؟

الجواب:

من المعلوم بأنّ الذكر يفيد التوكيد والحذف أقل توكيداً .

وفي آية آل عمران ١٥٤ قال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ .... وَلِيُمَحِّصَ﴾ ، وهذان الأمران هما بدرجة واحدة من الاتساع؛ ولهذا وردت اللام مع الفعلين .

ونظير ذلك آية سورة الإسراء رقم ١٢، فقد ذكر اللام في الفعلين أيضاً فقال: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢]؛ لأنّ كلا الأمرين مطلوبٌ في هذه الحياة ، وهما السعي على الرزق والحساب، وذلك لكل فرد .

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ، ما دلالة الفعل (ظن)؟ وما الفرق بين ظن وحسب ؟

الجواب:

(حسب): فعل يُراد به الاعتقاد الراجح ومعناه الظن، لكنّ هناك فرقاً بين حسب وظن، ومن ذلك:

آ ـ حسب: وهو فعل من أفعال القلوب، منقول من (حسب) الحسي الذي منه الحساب، ومنه حسب الدراهم، أي: عدّها.

ب ـ و(الحسبان) قائم على الحساب والنظر العقلي، بخلاف (الظن) الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنى سبب .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] أي كان ذلك في حسابهم.

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] لم يقل هنا: (حسب)، بدل ظن؛ لأن (ظن) قائم على رؤية، وليس في ذلك عمل حسابي ولا يحسن أن تقوم كلمة (حسب) بدل (ظن) كما في الآيات:

ـ ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ـ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠].

ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس:٣٦].

ـ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح:٦].

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجُرات:١٢].

السؤال السابع:

قوله تعالى في آية آل عمران ١٥٤: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ وفي سورة الأنفال ١١ جاء ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي مع التقديم والتأخير بين (النعاس والأمنة)، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿أَمَنَةً﴾ [الأنفال:١١] جاءت لمهمة تهدئة أعماق المؤمنين والاحتفاظ بالطاقة استعداداً للمعركة، وجعلها الله لهم آية و معجزة فكان نعاساً ، ولو غلبهم النوم العميق لمال عليهم الأعداء ميلة واحدة ، ولكنهم أخذوا شيئاً من الراحة التي فيها شيء من

اليقظة ، وهناك قراءة (يغشاكم)، وكلمة ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ [الأنفال:١١] مفعول به والفاعل مسند إلى الله عز وجل.

٢ـ توضح آية آل عمران أنّ النعاس قد غشى طائفة واحدة من المقاتلين في غزوة أحد بعد أن أصابهم الغم في تلك الغزوة، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون الملتفون حول رسول الله ﷺ .

٣ـ وتبين آية الأنفال أنّ النعاس قد غشى الجيش كله، وهو جيش مؤمن وهم على قلب رجل واحد، ولا يوجد بينهم منافق أو مرتاب فغشاهم جميعاً هذه الأمنة بالنعاس؛ لأنه يزيل الخوف ويعطي الطمأنينة والثقة بنصر الله.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال:١١].

روي أنهم لما ناموا واحتلم أكثرهم تمثل لهم إبليس وقال: أنتم تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون وأنتم جنب ، وقد عطشتم ولو كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء، فأنزل الله تعالى المطر واتخذ المسلمون حياضاً واغتسلوا وتلبد الرمل حتى ثبتت عليه الأقدام.

السؤال الثامن:

هل من ميزة لهذه الآية ؟

الجواب:

آية آل عمران ١٥٤ قد جمعت جميع حروف المعجم، وكذلك آية الفتح ٢٩.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ ، واستزلال الشيطان إياهم هو الهزيمة، و(استزلهم) بمعنى (أزلّهم)، فما فائدة السين والتاء في: استزلهم ؟

الجواب:

اعلم أنّ زلّة الهزيمة هي من أعظم الزلاّت، لذلك جاءت على صيغة: استزل، لتأكيد وتفظيع هذا الفعل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الاية: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ وأحياناً تأتي ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في القرآن الكريم في ٦ مواضع ،بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في ٦٤ موضعاً .

لمعرفة المزيد انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿غُزّٗى﴾ أي: الغزو ، ما كلمات منظومة الجهاد ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الثاني:

في الآية إشكال، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾ يدل على الماضي، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾ يدل على المستقبل، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

هو من وجوه:

١ـ قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ بتقدير: يقولون، وعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ لأنه حاصل فعلاً ، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] والمقصود الإخبار عن جدّهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة ، وليس الإخبار عن صدور هذا الكلام .

٢ ـ كلمة (إذ) و (إذا) يجوز إقامة كل واحدة مكان الأخرى.

٣ ـ أنّ الكلام خرج على سبيل حكاية الحال الماضية .

السؤال الثالث:

ما مفرد ﴿غُزًّى﴾ ؟

الجواب:

لفظة ﴿غُزًّى﴾ جمع غازٍ، مثل: (ركع وسجد) جمع (راكع وساجد) ويجوزأن تُجمع كلمة (غازي) على: غزاة، مثل: قضاة ورماة في جمع القاضي والرامي، ومعنى الغزو هو قصد العدو.

❁❁❁❁

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير (الموت) في آيتي سورة آل عمران؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في الآية الأولى قدّم القتل، وفي الثانية قدّم الموت، وقد يقول قائل: إن هذا لغرض التلوين والتنويع في الأسلوب، وهذا طبيعي حتى لا يسبب الرتابة، لكنّ هناك شيئاً آخر، وهو أنه لمّا تكلم عن الشهادة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قدّمها على الموت الاعتيادي؛ لأنّ الشهادة مقدمة، لأنّ للشهداء منزلة عالية، وختمها بما يناسبها فقال: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧)﴾ وهذا جزاء الشهيد ومن مات في سبيل الله .

٢ـ لكنْ عندما يتكلم عن الموت والقتل الاعتيادي ، الإنسان يموت موتاً اعتيادياً، قد يُقتَل خطأ، قد يُقتل بثأر، قد تقتله أفعى، فقدّم الشيء الطبيعي، حيث قدّم الأكثر الذي هو الموت، وختمها بأسلوب آخر فقال: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ إذ الميت والمقتول يحشره الله إليه، لكن شتان ما بين الخاتمتين، وهذه لفتة بيانية جميلة .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين مُتُّم – بالضم – ومِتُّم – بالكسر – ؟

الجواب:

١ـ ﴿مُتُّمْ﴾ ـ بالضم ـ هذه مسندة إلى المعلوم، مات يموت، فيقول: مُتُّ أنا، بضم الميم ، وهنا تكون التاء في محل رفع الفاعل (للمتكلم).

٢ـ لكن إذا أردت أن تبنيها للمجهول، يعني وقع عليه الموت بمعنى أُمِيتَ تصير (مِتَّ ومِتُّ أنا) فتُكسَرُ الميم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون:٣٥].

٣ـ ﴿مَاتَ﴾ هذا فعل أجوف، والأجوف عندما يُبنى للمجهول يكون بهذه الصيغة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الموت والقتل ؟

الجواب:

الموت هو انفصال الروح عن الجسد بدون هدم بنية، وأمّا القتل فهو انفصال الروح عن الجسد، لكنْ بهدم بنية .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ١٥٨: ﴿وَلَئِن﴾ كم مرة وردت في القرآن الكريم؟ وما طبيعة هذه اللام؟ وما الفرق بين (إنْ) و (إذا) وكلاهما أداة شرط؟

الجواب:

١ـ تكررت ﴿لَئِنْ﴾ في القرآن ٦١ مرة في ٥٦ آية، وأمّا (اللام) فهي موطئة للقسم، و(إنْ) حرف شرط جازم.

٢ـ وردت ﴿إِذَآ﴾ في القرآن الكريم حوالي ٤٠٠ مرة، وتستعمل (إذا) في المقطوع بحصوله وللكثير وقوعه.

بينما تستعمل ﴿إِنَّ﴾ مع المشكوك في حصوله أو قليل الوقوع أو النادر وحتى المستحيل.

❁❁❁❁

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية ما فائدة تقديم الجار والمجرور ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ على الفعل ﴿لِنتَ﴾ مع أنّ الأصل: لنت لهم برحمة من الله؟

الجواب:

هذه الآية من رحمة الله تعالى على المؤمنين، وقد عبّر عن هذه الرحمة بأسلوب جميل، فقد استطاع التقديم في الآية أن يُغني المعنى بشيء من الحصر، أي: برحمة الله لا بغير ذلك، لأنّ النبي ﷺ جاء رحمة مهداة لأمّته.

كما أفاد القصر في هذا الموضع التعريض بأنّ أحوالهم كانت مستوجبة غِلظة، ولكنّ الله تعالى ألانَ خُلُق رسوله ﷺ رحمة بهم لحكمة في سياسة الأمة، والذي قوّى القصر وأكّده زيادة ﴿ فِمَا﴾ بعد باء الجرّ.

❁❁❁❁

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَمَن ذَا﴾ ولم يقل: (أم من هذا) ، كما في آية الملك ٢١، فلماذا؟

الجواب:

الهاء تفيد التنبيه والتوكيد، فإذا كان الأمر لا يدعو إليها لا يأتي بها، وسياق الآية بعد معركة أُحد، والمقام مقام رحمة ومسح على الجراح للمؤمنين ومقام عفو ومغفرة فلا يلزمه تنبيه .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول من آية البقرة ٢٢٥.

❁❁❁❁

﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ختام الآيتين آل عمران ١٦٢ ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)﴾ و آية الحديد ١٥ ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ ؟

الجواب:

كل الآيات التي ورد فيها ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)﴾ ونحوها إنما قيلت وهم في الدنيا، والدنيا لا تزال غير منقضية، وأما في آية الحديد ١٥ حيث قال: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ فإنها قيلت وهم في الآخرة وقد ضرب السور بينهم وبين

المؤمنين وأتاهم العذاب من قبله فالنار قريبة منهم، فقال: ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: التي تليكم.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ هذه أنسب خاتمة لهم، فقد كانوا في ترقبهم وأمانيهم ينتظرون المصير الحسن والمستقبل المشرق ، فكانت لهم الظلمة والمصير الأسوأ.

❁❁❁❁

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة ١٢٩ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ ، بينما قال في آية آل عمران ١٦٤: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وفي آية التوبة ١٢٨ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٢٩.

السؤال الثاني:

قال في آل عمران ١٦٤ ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ، وقال في آية الجمعة رقم ٢ ﴿مِّنْهُمْ﴾ ، فلماذا؟

الجواب:

١ـ أنّ قولك: (فلان من أنفس القوم) ، أوقع في القرب والخصوص من قولك: (فلان منهم)، فإنّ هذا قد يراد به للنوعية ، فلا يختص لتقريب المنزلة والشرف إلا بقرينة.

أمّا ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأخصّ ولا تفتقر إلى قرينة، ولذلك حيث ورد التعريف بعظم النعمة به ﷺ وجليل إشفاقه وحرصه على نجاتهم ورأفته ورحمته بهم، قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] .

فلمّا قال في آية آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فخصّ من أسلم وآمن ناسب ذلك قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ؛ لأنّه بمجرد إرسال محمد ﷺ منهم عمل فيهم منة وقدّم لهم جميلاً كبيراً، فهو ﷺ من أنفسهم ومن رهطهم ومعروف نسباً وحسباً.

وهناك قراءة، وإن كانت شاذة تقول: (من أنفَسِهم) - بفتح الفاء- أي: من أشرفهم؛ لأنه ﷺ من بني هاشم، وهم أفضل قريش وقريش أفضل العرب .

٢ـ في آية الجمعة رقم ٢، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ .

ولّما كان لفظ الأميين يتناول قريشاً لأوغيرهم من العرب ممن ليس من أهل الكتاب قيل: ﴿مِّنْهُمْ﴾ ، فناسبت هذه الآية عموم الأميين من العرب ممن أسلم وممن لم يسلم.

٣ـ قوله تعالى في آية النحل ١١٣ : ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قيل هنا: ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأمرهم

بوجوب الشكر على النعمة ، فلمّا قصد ممن لم يوفقوا لمعرفة قدره للرسول عليه السلام ولا للاستجابة المثمرة للنجاة، على العكس من حال المؤمنين المستجيبين له قيل هنا: ﴿مِّنْهُمْ﴾ أيضاً .

السؤال الثالث:

ما دلالة الفرق في الترتيب بين آية سورة البقرة١٢٩ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وآية آل عمران ١٦٤ ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٩.

❁❁❁❁

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ في قوله تعالى في سورة آل عمران ١٦٧ : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وكلمة ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ في آية الفتح ١١ ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾؟

الجواب:

١ـ (اللسان) هو جزء من الفم، والأفواه أعم وأشمل من الألسنة، وإذا أردت التأكيد قلت: قال بلسانه. وعندما تريد المخالفة لِما في نيّة الإنسان تقول: قال بلسانه وهوغير ما يُبطن وغير ما يُخفي.

أي عندنا صورتان للاستعمال:

أـ إما للتأكيد .

ب ـ أو للموازنة لما يبطنه.

٢ـ لكن لماذا يستعمل اللسان مرة والفم مرة؟ مع أنّ العلاقة بين اللسان والفم علاقة مكانية؟

والجواب: أنه في القرآن الكريم لمْ يذكر القول باللسان أو بالفم إلا في موضع الذمّ في جميع القرآن الكريم.

واللسان جزء من الفم ، والأفواه أعم وأشمل من الألسنة، ومعنى ذلك أنّ الكلمة التي تخرج من اللسان كأنّ فيها إشارة إلى نوع من الثرثرة والتعالي ونوع من التفخيم والتضخيم ، وفيها دلالة على ثبوت هذه الصفة لهم ودوامها وتكرارها (قول غير ما يبطن) .

٣ـ آية آل عمران ١٦٧ والتي ورد فيها ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ كانت وصفاً للمنافقين في المدينة، وهؤلاء كان فيهم رئيس المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول الذي كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكاً على المدينة قبل الإسلام، فصدره موغر ضد الإسلام والمسلمين،

لكنه هو وجيه في قومه وكبير، ولا يرتضي أن يُنسب إليه الخوف أو الجُبن في القتال ، والأوس والخزرج هم أبناء الحروب.

ولهذا كأن القرآن يريد أن يبيّن أنّ هؤلاء المنافقين قالوا هذه الكلمة بنوع من الترفّع والتعالي والمراوغة ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ۚ﴾ ، وقد صدر هذا الكلام بعد انتهاء معركة أُحُد فقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ﴾ ويقيناً قالوا هذه العبارة بأفواههم بقصد المراوغة كما يقال: بالفم الملآن ، لأنهم ادّعوا أنّ الخروج من المدينة هو إلقاء إلى التهلكة وليس قتالاً، ففضحهم الحق تعالى فقال: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ﴾ .

٤ـ في آية الفتح ١١ قال: ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ والذين يقولون بألسنتهم هم من الأعراب المسلمين، وليسوا من المنافقين ، والرسول ﷺ عندما ذهب للعمرة استنفر المسلمين واستنفر الأعراب بأنْ يأتوا معه تحسّباً لحدوث قتال، وساق الهديَ تحسباً، وهؤلاء الأعراب كانوا معتذرين فقال تعالى: ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ ، بينما مع المنافقين في آية آل عمران ١٦٧ كان القرآن يصور حالهم وقد كانوا متكبرين، فقال: ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ وليس بألسنتهم.

فاستعمل القرآن الكريم كل كلمة في مكانها.

❀❀❀❀

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال ربنا ﴿فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ ولم يقل: فاحموا أنفسكم من الموت؟

الجواب:

آثر ربنا تعالى أن يعبِّر بـ ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ ؛ لأن الدرء يعني الدفع، وفي هذا إيماء إلى أنّ الموت يأتي بشكل مفاجئ وقوي لا قِبَل للمرء على مقاومته ودفعه، أمّا الحماية فهي تدل على أنّ المرء يرى الخطر المدلهمَّ به ويريد أنْ يحمي نفسه ، بينما الموت ليس بمرئي أومشاهد حتى يصون الإنسان نفسه منه.

❊❊❊❊

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذه الآيات واردة في شهداء بدر وأُحد .

٢ـ قوله تعالى ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ ظاهره يدل على كونهم أحياء عند نزول الآية، وحمله على أنهم سيصيرون أحياء بعد ذلك عدول عن الظاهر.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال في صفة الشهداء «**إن أرواحهم في أجواف طير خضر، وإنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح حيث شاءت وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش**».

٣ـ قوله تعالى ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ التقدير: بل هم أحياء ، على تقدير الصيغة الاسمية التي تفيد الثبات والاستقرار، ولم يقل: (أحياءً) على الصيغة الفعلية بمعنى: سيصيرون أحياءً، فهم أحياء عند ربهم بمجرد الاستشهاد في المعركة.

٤ـ قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فذكر العندية، ومعناها القرب والإكرام، وهي أعلى مقام ، كما قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

٥ـ قوله تعالى: ﴿يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ بصيغة الفعل المضارع التي تفيد التجدد للحدث كما في الحديث أعلاه: (وإنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها) .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ يعني أنّ فرحهم ليس بالرزق وإنما بإيتاء الرزق؛ لأنّ المشغول بالرزق مشغول بنفسه، والناظر إلى إيتاء الرزق مشغول بالرازق .

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ الاستبشار هو طلب السرور فوجدوه بالبشارة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ هم إخوانهم المؤمنون الذين لم يستشهدوا؛ لأنّ الشهداء يدخلون الجنة قبلهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جمع بين الصيغة الاسمية ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ والصيغة الفعلية ﴿يَحْزَنُونَ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ جاء بالصيغة الاسمية ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ للدلالة على ثبات أنه لا خوف عليهم فيما سيأتيهم مستقبلاً من أحوال القيامة، وهم لا يحزنون فيما فاتهم من نعيم الدنيا، فنفى حدوث الحزن بالصيغة الفعلية . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة كلمة ﴿خَلْفِهِمْ﴾ في الآية ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ ؟ وما الفرق بين: (خلف) و(بعد) ؟

الجواب:

١ـ (خلف) نقيضه (قُدّام) وهي في الغالب للمكان، والخلف في اللغة هو الظهر أيضاً.

٢ـ (بعد) نقيضة (قبل) وأظهرُ استعمال لها في الزمان.

٣ـ أحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى، فلا يمكننا أن نضع (خلف) مكان (بعد) كما في الآيات:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة:٥٢].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] لأنها متعلقة بالزمان.

٤ـ أما (خلف) فهي في الأصل للمكان، كما في الآيات:

- ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٧]

- ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس:٩]

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران:١٧٠] ومعناها الذين معهم في المعركة والقتال .

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

تبصّر في هذه الصورة الرائعة التي ترسلها الريشة القرآنية بدقة متناهية تسلب الألباب، إنها صورة هؤلاء المؤمنين الذين استعلوا على جراحهم في غزوة أحد واستعلوا على آلامهم ولم يفقدوا شجاعتهم وتبتلهم ويقينهم بالله عز وجل، فلمّا خوّفهم الناس

بجموع المشركين التي تجمعت لاستئصالهم ما زادهم هذا التخويف إلا إيماناً ويقيناً وثباتاً وعزيمة، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣].

السؤال الثاني:

ماذا روي عن جعفر الصادق بشأن هذه الآية ؟

الجواب:

روي عن جعفر الصادق أنه قال:

١ـ عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.

٢ـ وعجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قول الله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٨].

٣ـ وعجبت لمن مُكِر به ولم يفزع إلى قول الله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر:٤٤] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر:٤٥].

٤ـ وعجبت لمن طلب الدنيا كيف لا يفزع إلى قول الله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف:٣٩] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩ - ٤٠].

﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ختمت آية الحديد رقم ٢١ بالتعريف ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ وختم في آل عمران ١٧٤ بصفة التنكير ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ ، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ التعريف يفيد العموم والشمول، والتنكير يفيد التقليل.

٢ـ آية آل عمران في أُحُد وفي نجاتهم مما كان يُراد بهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ فقال: انقلبوا بنعمة من الله.

٣ـ في سورة الحديد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٨-٢٩] .

٤ـ أيهما أكبر: (انقلبوا بنعمة من الله لم يمسسهم سوء) أو (النور والرحمة والمغفرة)؟ لا شك أنّ المغفرة والرحمة والنور أكبر؛ لذا قال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩] .

٥ـ لو مسهم سوء فلهم أجر، أمّا ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ فهذا أكبر، إذن فناسب ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ .

❁❁❁❁

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ وهو اسم إشارة، فعلام يدل اسم الإشارة لغة، وما أهم أغراض اسم الإشارة ؟

الجواب:

اسم الإشارة: اسم مبني يدل على معين بالإشارة عليه، والأصل في أسماء الإشارة أنْ تكون للأشياء المشاهدة المحسوسة، واستعمل في غير المشاهد مجازًا؛ لتنزيله منزلة المحسوس المشاهد .

أبرز أغراضه:

١ـ تمييز الشيء المقصود بالإشارة إليه نحو: أريد هذا.

٢ـ تنزيل الأشياء غير المشاهدة أو المحسوسة منزلة الأشياء المشاهدة أو المحسوسة، كقوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٢]٠

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

٣ـ بيان حال المشار إليه في القرب والبعد:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥] للقرب .

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] للبعد.

٤ـ التعظيم ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات:٦١] .

٥ـ التحقير ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢] .

ألفاظ الإشارة:

ذا	للمفرد المذكر
ذي ـ ذه ـ ته	للمفردة المؤنثة
ذان	للمثنى المذكر
تان	للمثنى المؤنث
أولاء	للجمع المذكر والمؤنث
هنا ـ ثَمَّ	للمكان

ملاحظات نحوية:

١ـ تستعمل هاء التنبيه للقريب نحو: هذا ـ هذه.

٢ـ وتستعمل (الكاف) أو (الكاف واللام) للبعيد، وتسمى الكاف للخطاب واللام للبعد نحو: ذاك وتلك.

٣ـ أسماء الإشارة أسماء مبنية فيما عدا: (هذان وهاتان)، فهما معربان إعراب المثنى.

٤ـ الاسم المعرف بـ(أل) ، والذي يأتي بعد اسم الإشارة يعرب بدلاً نحو: هذا الطالب مجتهد، فالطالب بدل لاسم الإشارة مرفوع بالضمة .

٥ـ قد تدخل كاف التشبيه على اسم الإشارة: (ذا) فتقول: كذا .

٦ـ وقد تدخل هاء التنبيه على (كذا) نحو: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ﴾ [النمل:٤٢] ؟

٧ـ وقد تلحق (ذا) اللام والكاف في آخرها نحو: كذلك .

٨ـ يشار إلى جمع ما لا يعقل بـ (هذه) أو (تلك) .

٩ـ إذا اتصلت كاف الخطاب باسم الإشارة، وذُكر بعدها المخاطب فإنّ الكاف تطابق المخاطب في الإفراد والتثنية والجمع .

❁❁❁❁

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا
يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ
بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿١٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين خواتيم الآيات في سورة آل عمران في الآيات: [١٧٦ـ ١٧٨]؟

الجواب:

١ـ الآية ١٧٦ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

الموصوفون بالآية هم قوم:

﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: أنّ الكفر ملأ أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم، وهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فنفى ما خيف من أمرهم .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: ليس لهم نصيب .

فربنا هددهم بأن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، فذكر العذاب العظيم وهو أشد العذاب. فاستحقوا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ .

٢ـ الآية١٧٧ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

الذي يشتري يريد الربح عادة وليس الخسارة، فإذا خسر يتألم، وهم سيخسرون؛ لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان ، وهم سوف يتألمون من الخسارة لما نالوه من لذة العوض في ذلك الشراء الخاسر.

والذين اشتروا الكفر بالإيمان يعني تركوا الإيمان واشتروا الكفر خسروا والخاسر يتألم، فله عذاب أليم.

وهم اشتروا الكفر وخسروا الإيمان؛ لأن الباء مع الذاهب، كما تقول: اشتريت الكتاب بمائة، فالكتاب هو المشترى والمال هو الذاهب، فناسب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ .

٣ـ الآية ١٧٨ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

أملى الله لهم المال والرزق والسعة استدراجاً ليزدادوا إثماً ويغتروا بالمال ويتكبروا على عباد الله، فإذا بلغ النهاية أوجب الأخذ، ولمّا كان هذا المال مظنة عزهم في الحياة الدنيا عند من ظن ذلك، عوضوا عنه الإهانة الدائمة فقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ .

فالعذاب متحقق في الثلاثة، لكن كل واحدة تناسب ما قيل فيه ومن قيل فيه.

ولذلك إنْ أردت الإيلام فهو عذاب أليم ولو كان صغيراً في قدره، وإنْ أردت التحقير والإهانة فهو عذاب مهين، وإنْ أردت ضخامة العذاب فهو عذاب عظيم .

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في آية آل عمران ١٧٦؟

الجواب:

انظر إلى هذه الاستعارة التمثيلية لحال أهل الكفر والنفاق والتي قوّاها تعدية المسارعة بـ (في) عوضاً عن (إلى) ، فقال تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ ولم يقل: (إلى الكفر)، وبيان ذلك أنه شبّه حال حرصهم وجدّهم في تكفير الناس وإدخال الشك على المؤمنين بحال الطالب المسارع إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته، فأفادت يسارعون في الكفر أنهم لم يكتفوا بالكفر بل توغلوا في أعماقه.

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا استخدم لفظ ﴿يَجْتَبِى﴾ في هذه الآية ؟ ولم يقل: يختار أو يصطفي؟

الجواب:

١ـ الفعل (يجتبي) ماضيه: (اجتبى) على وزن افتعل، وهو نفس وزن الفعل: اختار.

٢ـ الفعل (اجتبى) من: (جَبَيَ) وهو من الجباية، وهي: الضم والجمع والتقريب، ويعني في الآية شدة القرب من الله تعالى .

٣ـ أما الفعل: (اختار) ففيه معنى الانتقاء للأخْيَرِ والأفضل، ولكن ليس فيه معنى الضم والقرب .

٤ـ فإذا أراد القرآن الإشارة إلى مجرد الخيرية من غير الضم يستعمل: (يختار)، وإذا أراد معنى الجمع والضم والتقريب يستعمل: ﴿يَجْتَبِى﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ
لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ في هذه الآية ؟

الجواب:

(يُطوَّقون) مشتقّ من (الطوق)، وهو ما يُلبس تحت الرقبة فوق الصدر، وفي هذا الكلام تصوير جميل بحيث جعل أموال الذين يبخلون أطواقاً يوم القيامة يعذّبون بحملها، والطوق في الدنيا يُتّخذ للزينة ولكنه يتحول مع البُخل إلى زِنة لا يمكن حملها، وقد اختار الله تعالى الطوق دون غيره؛ لأنه أظهر للعيان بقصد التشهير بهم يوم الحشر.

السؤال الثاني:

ما معنى الآية؟ ومادلالة تقديم ﴿وَلِلَّهِ﴾ في هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ المعنى العام للآية هو: أنفقوا حتى تنالوا جزاء المنفقين قبل أن تنتقلوا رغماً عنكم وتذهبوا إلى الله تعالى.

٢ـ وقدّم الجار والمجرور (لله)؛ لأنها ستؤول إليه حصراً؛ لأنه إذا قال: (ميراث السموات والأرض لله)، فليس فيها قصر ولا حصر.

٣ـ التقديم نوعان:

آ ـ تقديم على العامل .

ب ـ تقديم على غير العامل.

فمثلاً تقديم الخبر على المبتدأ كما في الآية ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حيث (ميراث) مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ﴾ لفظ الجلالة خبر مقدّم، فهذا من باب جواز التقديم وليس من باب الوجوب؛ لأنّ ميراث السموات والأرض معرفة بإضافتها إلى معرفة وليست نكرة، وتقديم الخبر على المبتدأ يسمونه من باب تقديم المعمول على العامل، وهذا التقديم يفيد التخصيص أو الاهتمام حسب السياق.

و قد يفيد القصر، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] وأصلها: نعبدك.

وهنا قال تعالى في الآية: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فهذا اهتمام ،وهو ما ستؤول إليه حصراً ، ولا تؤول إلى جهة أخرى مع الاهتمام.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الكلمات: [طوق ـ لف ـ أحاط]؟

الجواب:

طوّق: كل من يُلقى عليه القبض يطوقون بالطوق.

لفّ: هو وضع الطوق في الأعناق، وهو نوع من الفتل.

* شواهد قرآنية:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠] .

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [القيامة:٢٩] ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤].

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ:١٦].

أحاط:

هو السيطرة على الأمر من كل الجهات، والإحاطة بالخبر هو عندما تعرف حقيقة الخبر بالكامل.

* شواهد قرآنية:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩].

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢].

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦].

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١].

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ هل كلمة (خير) أو(شر) هي للتفضيل ؟

الجواب:

عادة يأتي فعل التفضيل على وزن أفعل، مثل: أكرم و أجود، وهذه الصيغة تفيد زيادة الصفة في طرف عن طرف آخر، اللهم إلا كلمات قليلة جاءت في اللغة على غير صيغة التفضيل، منها كلمة: (خير) وكلمة: (شر) فلم تأت: أخْيَر، بمعنى أكثر خيراً، ولا كلمة: أشر، بمعنى أكثر شراً .

وتأتي كلمة (خير) للوصف مرة ، وتأتي للمبالغة في الوصف مرة أخرى، والفاصل المميز بين الاثنين هو وجود (من) فيقال: (فلان خير من فلان) . ومثلها في الشر.

قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير** »

وفي آية آل عمران ١٨٠ كلمة ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ ليست للتفضيل، وإنما للوصف العادي، أمّا إذا جاءت معها (من) فتكون للتفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ [المائدة:٦٠] .

❊❊❊❊

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا استخدم لفظ ﴿ذَآئِقَةُ﴾ مع الموت والعذاب كما في آية سورة آل عمران ١٨٥ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وفي آية آل عمران ١٨١ ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ الاستعارة هي تشبيه حُذف أحد طرفيه، فإذا صُرح بالمشبه به تسمى (استعارة تصريحية)، وإذا لم يُصرح به تسمى (استعارة مكنية) . أمثلة:

آ ـ (رأيت أسدا): وأنت تعني رجلاً شجاعاً، فهذه استعارة تصريحية حيث ذُكر المشبه به وهو الأسد.

ب ـ قول الشاعر: (**وإذا المنية أنشبت أظفارها**) هذه استعارة مكنية، شبه المنية بالسبع ولم يصرح به ، وإنما صرح بما يدل عليه (الأظافر).

٢ـ (الذوق) عادة باللسان، وعندما تذوق شيئاً يكون هذا الشيء في فمك أو على لسانك فهو ملتصق بلسانك فتحسه وتذوقه .

٣ـ الله شبه الموت بشيء يُذاق، ثم حذف المشبه به فهي (استعارة مكنية) وكذلك العذاب .

ويعني أنّ الموت ليس خيالاً وإنما يُذاق، والعذاب ليس خيالاً وإنما هو سيُذاق ذوقاً.

٤ـ والمعنى أنّ العذاب سيكون من القرب والالتصاق بالمُعَذَّب؛ لأنه سيكون في فمه وملتصق به .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ ألا تجزم أخي المؤمن بأن (سمع الله تعالى) دليل عِلمه بما قالوا؟ فلِمَ جاء بالفعل ﴿سَمِعَ﴾ وعدل عن الفعل (علِم) ؟

الجواب:

إنما أريد بهذا الفعل التهديد والإيذان بأنّ ما يقولونه فيه جرأة عظيمة وأن الاستخفاف بالرسول ﷺ وبالقرآن إثم عظيم وكفر على كفر، ولذلك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ﴾ المستعمل في لازمٍ معناه التهديد على كلام فاحش.

وليس المقصود إعلامهم بأن الله تعالى عَلِم بذلك، بل التهديد كما يقول أحدنا لولده: إني أسمع ما تقول، فهو لا يريد إبلاغه بأنه يسمعه بل يريد أن يهدده.

إضافة إلى أنّ كلمة (سمع) توحي بشدة القرب بحيث يسمع كل ما يقال.

❁❁❁❁

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ (ظلاّم) صيغة مبالغة من الظلم، وجيء بها هنا لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم، فالله ليس بظالم لهذا وليس بظالم لذاك وليس بظالم للثالث وليس بظالم لأي فرد، فلكثرة العبيد كان قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

٢ـ وردت هذه الصيغة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ ثلاث مرات في القران الكريم في آيات [آل عمران ١٨٢ـ والأنفال ٥١ـ والحج ١٠].

٣ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام:٧٣] فلمّا أفرد المعمول لم يأت بصيغة المبالغة، ولمّا جمع كلمة الغيب إلى الغيوب، فجاء بصيغة المبالغة فقال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة:٧٨] .

أي: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ هي مفرد مع مفرد، بينما ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة:٧٨] جمع مع جمع.

٤ـ وتفيد الآية ﴿لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٨٢﴾ نفي الظلم عن كل فرد مع ذكر كثرة العبيد، فالنفي باعتبار الكمية لا الكيفية .

٥ـ من جهة أخرى: لمّا ذكر الله في الآية التي قبلها عذاب اليهود على قولهم: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٨١﴾ فلو كان هذا العذاب ظلماً لكان عظيماً، وهذا يؤكد أنّ إيصال العقاب إليهم يكون ظلماً لو لم يكونوا مذنبين، لكنّ العذاب الذي توعدهم به هو بسبب ما قدمت أيديهم، وهو على سبيل المجاز؛ لأنّ الفاعل هو الإنسان لا اليد.

٦ـ وقد جاءت (اليد) في صيغة الجمع في آية آل عمران والأنفال ﴿أَيۡدِيكُمۡ﴾ ، كما جاءت بصيغة التثنية في آية الحج ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ .

٧ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧] فشدد لكثرة الفاعلين لا لتكرار الفعل .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التذكير والتأنيث في ﴿جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي﴾ في آية آل عمران رقم ١٨٣، وآية الأعراف ٥٣ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ ؟

الجواب:

التذكير والتأنيث في القرآن يتم وفق القاعدتين التاليتين:

١ـ القاعدة النحوية أنه يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

٢ـ ويؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكّر الفعل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ [الحُجرات:١٤] استخدم الفعل (قالت) مؤنثاً؛ لأن الأعراب كُثُر.

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران:١٨٣]

هؤلاء مجموعة من الرسل، فذكّر مع العدد المحدود من رسل بني إسرائيل.

- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف:٥٣] هذا في يوم القيامة ، والمذكورون هم جميع الرسل، وهم أكثر من الأولى؛ لذا جاء الفعل مؤنثاً.

- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] حاشية امرأة العزيز عدد محدود فذكّر .

- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١٣] اليهود كُثُر وكذلك النصارى؛ فأنث .

❁❁❁❁

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

في آية آل عمران ١٨٤ حذفت (الباء) مع كلمتي ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

أما في آية فاطر ٢٥ فقد ذكرت (الباء) مع كليهما ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ ، فما السبب في ذلك ؟

الجواب:

١ـ يكرر القرآن حرفاً معيناً مثل (الباء) بقصد التوكيد عندما يقتضي السياق التوكيد.

٢ـ المقام في سورة فاطر مقام توكيد وتفصيل، بخلاف ما ورد في سورة آل عمران، فالكلام في سورة فاطر للتوكيد والتفصيل في مقام الإنذار والدعوة والتبليغ، قال تعالى في سورة فاطر:

ـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر:١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣]

ويستمر السياق في الكلام عن الذين يستجيبون والذين لا يستجيبون ، وأنّ هذه الكتب التي ذكرت في الآية هي كتب إنذار (الزبر والكتاب المنير والبينات)؛ لذلك أكّد بالباء فقال: ﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر:٢٥] .

٣ـ أما في سورة آل عمران، فالآية تعقيب على حادثة تاريخية معينة ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ فالمقام هنا في حادثة معينة وليس في سياق الآيات، فاختلف الأمر؛ ولهذا حذفت الباء؛ لأنه مناسب للإيجاز .

وفيما يلي بيان بأهم الفروقات بين آيتي آل عمران وفاطر:

المقام	آية آل عمران ١٨٤	آية فاطر ٢٥
التوكيد	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾	﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾
تاء التأنيث	﴿جَاءُو﴾	﴿جَاءَتْهُمْ﴾
التخصيص	﴿كُذِّبَ رُسُلٌ﴾	﴿كَذَّبَ الَّذِينَ﴾ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾

أ ـ بالنسبة لـ(للتوكيد) هناك قاعدة في القرآن أنه إذا كان فعل الشرط مضارعاً دل على استمرارية الحدث، وإذا كان فعل الشرط ماضياً دل على الحدوث مرة واحدة .

ب ـ (التذكير) يدل على القلة ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف:٣٠] ، بينما التأنيث يدل على الكثرة ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات:١٤] فالتذكير في آل عمران يدل على أنّ الحادثة وقعت مرة واحدة، بينما في فاطر يدل التأنيث على كثرة الرسل .

ج ـ (التخصيص): في سورة فاطر ذكر الفاعل ، بينما في آل عمران الفعل مبني للمجهول .

٤ـ إذن نستنتج أنّ السياق وغيره يقتضي ذكر(الباء) مع كل معطوف في سورة فاطر، وحذف الباء مع المعطوف في سورة آل عمران . والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، فمتى يرد هذا التعبير؟ ومتى يرد التعبير ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الثاني من آية البقرة ٥٣ .

السؤال الثاني:

هل اللام في الآية هي لام التوكيد أم لام القسم ؟

الجواب:

هذه اللام تسمى لام القسم ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ ، وهذه اللام واقعة في جواب قسم مقدّر، وهي في النحو لا تسمى لام التوكيد، وإنما لام القسم، ونعربها لاماً واقعة في جواب القسم.

لم يذكر (والله)، لأنه عندما تقول: لأفعلن كذا، هذا ليس عليه حنث، لكن عندما تقول: والله، عليها حنث إذا لم ينفذ .

❊❊❊❊

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بهذه الألفاظ البسيطة كيف استطاع القرآن أن يوضح سوء عمل اليهود مع ميثاق الله ؟

الجواب:

انظر تفصيل الآية:

١ـ عطف بالفاء، فقال: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ إشارة إلى سرعة نبذهم وعدم احترامهم لميثاق الله، فالفاء تفيد الترتيب والتعقيب.

٢ـ استعار الفعل (نبذ) لعدم العمل بالعهد تشبيهاً للعهد بالشيء المنبوذ في عدم الانتفاع به، إذ أصل النبذ الطرح والإلقاء.

٣ـ مثّل بقوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ عن الإضاعة والإهمال؛ لأنّ شأن المهتم به والمتنافَس عليه أن يُجعل نصب العين ويُحرَس ويُشاهَد.

❋❋❋❋

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية توكيد، فما دلالته؟ وما أهم أغراضه ؟

الجواب:

١ـ التوكيد اللفظي يكون بإعادة اللفظ الأول، أو بتقويته بمعنى مرادف، أو بموازنه، مع اتفاقهما بالحرف الأخير .

آـ أمثلة على إعادة اللفظ : ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر:٢١].

ب ـ أمثلة على تقويته بمرادف: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء:٣١] ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [فاطر:٢٧]؛ لأنّ الفجاج هي السبل، ومعنى غرابيب (مفرد غربيب) أي: أسود، فكأنه قال: سودٌ سودٌ.

ج ـ أمثلة على الإتيان بموازنه: عطشان نطشان، جائع نائع.

٢ـ قد تقترن الجملة المؤكدة بعاطف، نحو قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ آل عمران (١٨٨).

أهداف التوكيد:

آـ دفع الغفلة وعدم الإنصات .

ب ـ أنْ يدفع عن السامع ظنه بالمتكلم الغلط.

ج ـ أنْ يدفع المتكلم ظن التجوز.

د ـ تقوية الحكم ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشَّرح:٥-٦].

هـ ـ للتهويل والتعظيم: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار:١٧-١٨].

٣ـ الفعل المضارع والأمر يؤكد بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة، كما في الآيات:[الهمزة ٤ ـ العلق ١٥ ـ الأنبياء ٥٧ ـ الذاريات ٢٣ ـ مريم ٦٨ ـ يوسف ٣٢] علما بأنّ نون التوكيد تخلّص الفعل للاستقبال: (الفتح ٢٧).

وهذه النون كثيراً ما تدخل على الشرط المسبوق بـ (ما) الزائدة، ولا سيما شرط (إنْ) ، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨] وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء:٢٨]

وتدخل النون كثيرا على الطلب كالأمر والنهي والاستفهام والتمني، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١٤٧﴾

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (قيام) ؟

الجواب:

١ـ عبّرالله تعالى عن الصلاة بـ (القيام)؛ لأنها بداية الصلاة وفيها تكبيرة الإحرام، وعبّر عن الخشوع والدعاء والاقتراب بـ (السجود)؛ لأنّ أقرب الحالات في الصلاة السجود . كما في الآيات:

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ١٩﴾ [العلق:١٩] .

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران:٣٩] .

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران:١٩١] .

والرسول ﷺ يقول: «**صلّ قائماً، فإن لم تقدر فقاعداً، فإن لم تقدر فمضطجعاً**».

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]: جاءت وراء الصلاة ولم يختر سبحانه الركوع أو السجود؛ لأنّ كلمة (قيام) تتناسب مع قيام الرجل على بيته وأهله،

كما في الآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ [النساء:٣٤] فكلمة: قوامون، أي: قائمين بالحفاظ على شؤونهم وخدمة أمورهم.

والصلاة تحتاج إلى رعاية ومتابعة، فكما أمرنا الله تعالى بالحفاظ على نسائنا أمرنا بالحفاظ على الصلاة، وهذا من تناسق القرآن الكريم، فعندما ترى زوجاً قانتاً خاشعاً فلا يمكن أنْ يكون جباراً على زوجته وإن كان غير ذلك لم يكن هذا الخاشع القانت مستوفيا لصلاته ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥] فلو صلّى حقيقة ما تجاسر على زوجته أو تكبّر وتجبّر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمتي: (قيام) و(قائمين)؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ [الزُّمَر:٦٨] في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى (القيام الحقيقي)، كما في: [آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في موطنين فقط بمعنى القيام بالأمروالعكوف كما في الآيات: [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦] حيث (القائمون) فيها بمعنى (العاكفين)، بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين كلمتي (قعود) و(قاعدون)؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قُعُودٗا﴾ ثلاث مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات:[البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَٰعِدُونَ﴾ في ستة مواضع، كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في:[المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ النساء ٩٥].

السؤال الرابع:

لماذا جاء قوله تعالى في آية يونس ١٢: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ ولم تأتِ (على جنبه) ، كما في آية آل عمران ١٩١ ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في آية يونس ١٢: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾ .

فبدأ في آية يونس بالجنب ، بينما أخّر الجنب في آية آل عمران .

والإنسان عادة عندما يصيبه الضر والمرض يكون ملازماً لجنبه ثم يقعد ثم يقوم ، لذا بدأ بالجنب ثم القعود ثم القيام في آية يونس .

أمّا في حالة الصحة فهي بالعكس، القيام أولا ثم القعود ثم على الجنب، لذا أخّر الجنب في آية آل عمران.

٢ـ جاءت آية يونس باستخدام اللام ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يونس:١٢] بمعنى (ملازم) لجنبه ، وبمعنى (دعانا) وهو ملازم لجنبه ، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ ، ما الفرق بين (قعد) و(جلس) ؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

١ـ الفعل (قعد) هو عكس قام، والقعود مقابل القيام، تقول: كان الرجل واقفاً فقعد، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ اَقْعُدُواْ مَعَ الْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة:٤٦] وقوله: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور:٦٠] .

٢ـ أما الفعل (جلس) فيعني أنّ الرجل كان متكئاً فجلس، أي: أنّ الجلوس عن اتكاء، والقعود عن قيام .

* شواهد قرآنية على الاستخدام اللغوي:

ـ ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران:١٩١].

ـ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥] .

ـ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجَـٰلِسِ فَافْسَحُواْ﴾ [المجادلة:١١].

إحصائيات: وردت كلمة (الجلوس) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المجادلة ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجَـٰلِسِ فَافْسَحُواْ﴾ [المجادلة:١١].

بينما وردت كلمة (القعود) بكافة مشتقاتها في (٣١) موضعاً.

المعنى الاصطلاحي القرآني:

كلمة (القعود) وردت في القرآن الكريم بمعنى التخلف عن الجهاد والقعود في البيوت مع النساء والمرضى والأطفال والضعفاء، وهي صفة مذمومة عند العرب كثيراً، وكان الرجل يحب أن يُقتل قبل أن يقال له: إنك قاعد .

انظر الآيات: [التوبة ـ ٤٦ ـ التوبة ٨٣ ـ النور ٦٠].

وعلى هذا فهم العرب لغتهم وأدركوا إعجاز القرآن وهو يصور دخائل النفوس ويبرز حقائق القلوب، فأيقنوا أنه ليس من كلام البشر، بل من كلام خالق البشر الذي يعلم ما خلق ـ جل شأنه ـ .

وعلى هذا أيضاً فهم العرب هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر عندما قال له:

دع المكارم لا ترحَل لِبُغيتها   واقعُد فإنّكَ أنت الطاعِمُ الكاسي

أي: أنه عاجز عن الخروج لنيل المكارم، وهو من (القواعد) في البيوت اللاتي يقدم لهن الطعام والكساء.

لذلك قال حسان بن ثابت عندما سئل عن هذا البيت: هل يجد فيه هجاءً؟ قال: لم يهجُه فقط، بل سلح (تغوَّط) عليه .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ و: (اغفر لهم ذنوبهم وحطّ عنهم خطاياهم) مثلاً؟

الجواب:

١ـ السيئات هي صغار الذنوب ، والذنب أكبر، والخطيئة عامة.

٢ـ لماذا يستعمل مع (السيئات التكفير) ، و(المغفرة مع الذنوب) ؟ والجواب:

آ ـ التكفير في الأصل الستر، وكفر الشيء أي: ستره، والكافر في الشريعة هو الذي خرج عن الملة، هذا في الاصطلاح، وأما في اللغة يعني ستر، والزارع يسمونه الكافر لأنه يستر البذرة في الأرض، والليل يسمى كافراً لأنه يستر الناس، كما قيل:

لي فيكَ أجرُ مجاهدٍ إنْ صَحَّ أنَّ اللَّيلَ كافِر

ب ـ (المغفرة) من المِغفَر، والمِغفر هو الغفر والستر، والمِغفَر هو الذي يُلبس في الحرب حتى يمنع السِّهامَ.

ج ـ أيها الأمنع من الإصابة المِغفر أو التراب في الأرض؟ لا شك المِغفر أمنع. فالليل لا يمنع سهماً أو إصابة، وإنما يستر على العموم، لكنْ لو جاءت ضربة لا تمنع ،أما المِغفر فيمنع.

د ـ فلمّا كان الذنب أكبر احتاج إلى مانع أكبر؛ لذا قال معه: (مغفرة) ؛ لأنّ الذنب أكبر، والذنب يصيب الإنسان إصابة كبيرة فيحتاج إلى مغفرة كما يُحتاج المِغفر في الحرب، فلمّا كان الذنب أكبر احتاج لمانع أكبر ولمغفرة أشدّ.

أما الكفرفهو بمعنى الستر فقد يكون بدون منع أو قد يكون بمانع خفيف، لذا قال: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ .

هـ ـ (الذنب) هو أكبر من السيئة، ولذلك يستعمل معه المغفرة؛ لأنه لما كان أكبر احتاج لوقاية أكبر.

٣ـ (الخطيئة) عامة، وقد تكون لأكبر الذنوب ، وقد تكون للصغائر، وقد تكون من اللمم فتستعمل فيها كلها.

٤ـ الملخص: مع السيئة يستعمل (كفّر عنا سيئاتنا) لأنها صغيرة، وأمّا مع الذنوب فيقول: غفرانك.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ ، لِمَ آثر القرآن تصوير الدعوة بالنداء؟

الجواب:

اعلم أنّ حقيقة النداء هو الصوت المرتفع، والمنادي هو الذي يرفع صوته بالكلام ويبالغ في الصياح به، ومن المعلوم أنّ دعوة النبي ﷺ لم تكن بالصياح ورفع الصوت، فلِمَ آثر القرآن تصويرَ الدعوة بالنداء؟

ما ذاك إلا ليبيّن حرص النبي ﷺ على المبالغة في الاسماع بالدعوة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: لمّا دعاهم كانوا في حالة الكفر، وهي بعيدة عن الإيمان فكان النداء مجازياً لدلالة بُعدِهم، وأنّ النبي ﷺ كان في موضع عالٍ يناديهم وهو موضع الإيمان.

السؤال الثالث:

لِمَ جاء الدعاء بـ ﴿رَبَّنَآ﴾ في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ ؟

الجواب:

١ـ تأمل هذا التعبير بالدعاء ﴿رَبَّنَآ﴾ دون اسم الجلالة فلم يقولوا: يا الله، وما ذاك إلا لما في وصف الربوبية من الدلالة على الشفقة بالمربوب ومحبة الخير له ، ومن الاعتراف بأنهم عبيده، ولِردّ حُسن دعائهم بمثله قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ .

٢ـ روي عن جعفر الصادق أنه قال: من حزبه أمر فقال خمس مرات: (ربنا) أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآيات ، وقال: لأنّ الله حكى عنهم أنهم قالوا خمس مرات: (ربنا) ثم أخبر أنه استجاب لهم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ ما الفرق بين كلمتي: أبرار وبررة في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (أبرار) في ستة مواطن من كتاب الله، وهي كلها في المؤمنين، وهم - لا شك- يزيدون على العشرة، كما في الآيات:[آل عمران ١٩٣ـ ١٩٨ـ الإنسان ٥ـ الانفطار ١٣ـ المطففين ١٨ـ٢٢].

٢ـ كلمة ﴿بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس:١٦] وردت مرة واحدة فقط في صفة الملائكة وهي قوله تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس:١٦].

ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة، فجيء بالفجار على جمع الكثرة والأبرار على جمع القلة، وهذا المعنى يذكره القرآن في أكثر من موضع .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣].

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣] .

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام:١١٦].

بينما جاء بلفظ (البررة) للدلالة على الكثرة؛ لأنّ الملائكة كلهم كذلك بخلاف البشر.

والله أعلم .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ ما دلالة الحرف (مع)؟ وهل يختلف عن حرف (الواو) ؟ وهل يصح وضع أحدهما مكان الآخر؟

الجواب:

١ـ الحرف (مع) هو للمكان، نحو: جئت مع سعيد، أو للزمان، نحو: جئت مع الغروب، بل الأكثر أن تكون للمكان، وقد وردت في القرآن الكريم في حوالي (١٦٠) موطناً كلها للمكان.

أما حرف (الواو) فهو يفيد المصاحبة والاقتران ، وليس مكاناً أو زماناً، ولذا قد يختلفان في المعنى.

٢ـ لكون (مع) مكاناً أو زماناً صح الإخبار بها ولا يخبر بالواو ، تقول: (إنّ الله مع الصابرين) ، ولا تقول: (إن الله والصابرين).

٣ـ قد تكون (مع) للمساعدة والإعانة كما في الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦] ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] ولا تكون (الواو) لهذا المعنى.

* شواهد قرآنية:

آ ـ آية آل عمران ١٩٣ : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ أي: توفنا داخلين مع الأبرار، أي: توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجاتهم يوم القيامة، ولا تصلح (الواو) هنا، فلو قلنا: (توفنا والأبرار) لكان المعنى أنهم يقترنون في الوفاة وليس هذا المقصود.

ب ـ آية النمل ٤٤ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: كائنة مع سليمان أو صائرة معه ، ولا تصلح هنا (الواو). ولو قال: وأسلمت و سليمان، لكان المعنى أنهما اقترنا في دخول الإسلام في وقت واحد وهو غير صحيح.

ج- آية الأحزاب ٥٠ ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ والمعنى: هاجرن صائرات معك، ولو قال: هاجرن وإياك ، لاختلف المعنى، ولا يصح ذلك؛ لأنهن لم يصحبنه في الهجرة وإنما صحبه أبو بكر رضي الله عنه.

د ـ آية الأعراف ١٥٧ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧] فلا يصح أن يقال: واتبعوا النور الذي أنزل وإياه؛ لأنهما لم يشتركا في الإنزال، وإنّ النبي لم ينزل أصلاً.

هـ ـ آية الحديد ٢٥ : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ فلا يصح أنْ يقول: أنزلنا وإياهم الكتاب، لأنهم لم يقترنوا في الإنزال، فإنّ الرسل لم تنزل .

السؤال السادس:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ وقال في نفس السورة: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ لماذا اختلاف الخاتمة في الآيتين ؟

الجواب:

١ـ الخاتمة تختلف بحسب السياق والغرض.

٢ـ الآية ١٤٧ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ وقبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

هل يمكن في القتال أن تقول: توفّنا؟ تقول في القتال: انصرنا، ولا يمكن أن تضع خاتمة تلك الآية في هذه الآية؛ لأنّ كلاً منها في سياق مختلف عن الأخرى .

٣ـ والقدامى يضربون لنا مثالاً قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ [النحل:١٨]، فقد وردت مرتين كل مرة بخاتمة، فالآية الواردة في سورة النحل ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ هي في بيان صفات الله، فختمها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

أما الثانية ففي بيان صفات الإنسان وجحوده، فلمّا كانت في بيان صفات الإنسان وجحوده ختمها ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤] والنعم لا تحصى، لكنّ الإنسان ظلوم كفار، فمع أنّ نِعَم الله على الإنسان متتالية ومتتابعة، لكنه ظلوم كفار.

وعند النظر في خواتيم الآيات عموماً لا نقتطعها ، وإنما نضعها في سياقها، وننظر الغرض في هذه الآية.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

قارن بين خاتمتي الآيتين ٩و ١٩٤من سورة آل عمران ؟ أي بين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران:٩] و ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٤] ، فقد ذُكر اسم (الله) مع الأولى ولم يُذكره مع الثانية، فما الدلالة ؟

الجواب:

١ـ الآية ٩ جاءت في مقام الهيبة الإلهية في يوم القيامة، حيث الحشر والنشر والحساب والعقاب وإنصاف المظلومين، فكان ذكره باسمه الأعظم وهو (الله) أولى في هذا المقام، فناسب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ .

٢ـ أمّا قوله تعالى في آخر سورة آل عمران آية ١٩٤ : ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ فذاك مقام طلب العبد من ربه أن يُنعم عليه بفضله وأن يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن المقام مقام هيبة وإنما مقام الدعاء والتضرع ، فكان المناسب: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ .

السؤال الثاني:

الخلف في وعد الله محال فكيف طلبوا بالدعاء ما علموا أنه لا محالة واقع ؟

الجواب:

أـ أنه ليس المقصود من الدعاء طلب الفعل، بل المقصود منه إظهار الخضوع والذلة والعبودية، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء:١١٢] وقوله: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر:٧].

ب ـ أنه تعالى وعد المؤمنين بأنْ ينصرهم في الدنيا ويقهر عدوهم، فهم طلبوا تعجيل ذلك . والله أعلم .

❊❊❊❊

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ في هذه الآية؟

الجواب:

قد يظن السامع لهذه الآية الكريمة أنّ قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ زيادة وكان الأولى الاستغناء عنها، ولكن هذا القول جاء لحكمة بليغة، فلو استعرضت الأعمال التي أتى بها أولو الألباب المذكورون في الآية لوجدت أن أكبرها الإيمان ثم الهجرة ثم الجهاد.

ولمّا كان الجهاد أكثر تكراراً ، خيف أن يُتوهَم أنّ النساء لا حظَّ لهن في تحقيق الوعد على لسان الرسل، فأتى بالتفصيل ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ .

السؤال الثاني:

آيتان متتابعتان في خواتيم سورة آل عمران ذكر في الأولى (الجنة مع الخلود) ، وهي قوله تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ والأخرى ذكر (الجنة من دون خلود) ، وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ ، فلماذا هذا الاختلاف؟

الجواب:

هاتان الآيتان الأولى رقم (١٩٥) لم يذكر فيها الخلود، والثانية رقم(١٩٨) ذكر فيها الخلود .

١ـ قبل الآية رقم (١٩٨)التي ذكر فيها الخلود قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ وعكس المتاع القليل هو الكثير الدائم، فلمّا قال: (متاع قليل) قال بعدها: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ فيجب أن يكون خلود حتى لا يكون متاع قليل.

٢ـ قال في الآية ١٩٥ ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ وهؤلاء من الذين (اتقوا ربهم) ، وهم داخلون في زمرة الذين اتقوا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] ، فإذن الذين هاجروا هم هؤلاء، فلمّا ذكر في المتقين أنهم خالدون في الآية ١٩٨ دخل فيه

أولئك ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دخل فيها أولئك الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم قطعاً.

٣ـ من ناحية أخرى: أيها أشمل وأعم؟ (الذين اتقوا ربهم) أم (الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي)؟ لا شك هم الذين اتقوا ربهم؛ لأن التقوى تشمل أموراً كثيرة كما ذكر تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧] فأولئك هم جزء من هؤلاء، فأين نضع هذا الأجر الأعلى؟ نضعه هكذا كما ورد في القرآن.

٤ـ ليس هذا فقط وإنما هنالك أمورٌ أخرى . انظر الجدول التالي:

الرقم	آية ١٩٥	آية ١٩٨	البيان
١	﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ﴾	﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾	التقوى أعلى
٢	﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾	﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٌ﴾	الإدخال لا يقتضي التملك
٣	﴿ثَوَابًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾	﴿نُزُلًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾	النزل أعلى إكراماً

ملاحظات:

أـ أنْ تكون (لهم جنات) أعلى من (يدخلهم جنات)، فالإدخال لا يقتضي أن تملك حديقة .

ب ـ والنزل أعلى؛ لأنّ النزل هو ما تعده للضيف من إكرام وإطعام وصلة، وقد يأتي النزل بمعنى المنزل فهم في ضيافة الرحمن، والنزل هو تجهيز المكان والإطعام والصلة، أمّا الثواب فهو إعطاء الأجر، قد تعطي الأجر ولكن ليس بالضرورة أن تنزله ضيفاً .

ج ـ وقسم من التفاسير قال: النزل ما يعد للضيف، فقالوا: إذا كانت هذه الجنة (نزل) فماذا بعد النزل؟

د ـ وقسم فسّر هذه الآية على أنها رؤية الله؛ لأنّ الرضوان ورؤية الله تعالى أعلى من الجنة .

هـ ـ لذلك ما ذكره الله تعالى في الآية (١٩٨) ليس فقط ذكر الخلود، وإنما هو في اختلاف الثواب واختلاف الأجور، ووصفوا بالأبرار، فكانت الآية أعم وأشمل فقال: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ .

فإذن هؤلاء المتقون هم أبرار، فناسب من كل ناحية أن يذكر علو منزلتهم.

٥ـ إضافة إلى ذلك نجد في الآية ١٩٥ مقابلة بين:

﴿وَأُخۡرِجُواْ﴾ مبني للمجهول مقابل: ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ﴾ مبني للمعلوم .

﴿وَأُخۡرِجُواْ﴾: مقابل ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ﴾: وعكس الخروج الدخول .

﴿وَأُخۡرِجُواْ﴾: بأيدي كفرة من ديارهم مقابل: ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ﴾ الله تعالى يدخلهم جنات.

٦ـ وإذا قارنا الآية (١٩٥) مع الآية (٢٠٠) وهي آخر آية من سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ .

نجد التالي:

الرقم	آية ١٩٥	آية ٢٠٠	البيان
١	﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾	﴿ٱصْبِرُواْ﴾	
٢	﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ﴾	﴿وَصَابِرُواْ﴾	صابِروا أعلى من اصبروا درجة
٣	﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾	﴿وَرَابِطُواْ﴾	في الثغور وفي الحرب
٤	﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾	

فالآية رقم ٢٠٠ مرتبة تماماً كالآية رقم ١٩٥ بنفس الترتيب وبحسب الشدة .

❊❊❊❊

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران ١٩٦ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ مع التأكيد بالنون، وقوله تعالى: في آية غافر ٤ ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ بدون التوكيد بالنون، فلماذا ؟

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم نون التوكيد بهدف التوكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا أكّد بالنون في آية آل عمران فقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ بخلاف آية غافر، فقد قال: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ بدون التوكيد بالنون، السبب والله أعلم:

آيات آل عمران[١٩٥:١٩٧]:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

البيـــــان:

سياق آية آل عمران في بيان ابتلاء المسلمين في أموالهم وأنفسهم والأذى الكثير الذي ينالهم من عدوهم الكافر، والذي يبطش بهم ويفتنهم عن دينهم وينال منهم حتى يبلغ الأمر إلى أنْ يخرجهم من ديارهم، فاقتضى ذلك تأكيد عدم الاغترار بتقلب الذين كفروا في البلاد وسيطرتهم عليها .

في حين لم يكن السياق في شيء من ذلك في آية غافر، فلم يحتج إلى التأكيد، والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

جاء في آية آل عمران ١٩٧ ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ﴾ بـ (ثم)، وفي آية التوبة ٧٣ وآية الرعد ١٨ بـ(الواو) ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ ، فما السبب ؟

الجواب:

لمّا تقدم قوله تعالى في آل عمران: ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ و ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ والمراد منهما هو في الدنيا، وجهنم إنما هي في الآخرة فناسب ﴿ثُمَّ﴾ التي للتراخي.

وأمّا آية الرعد فقد عطف جهنم على ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد:٢١] وهما جميعاً في الآخرة، فناسب العطف بـ(الواو)، وكذلك الأمر في آية التوبة ٧٣ .

❁❁❁❁

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ ما الفرق بين الخشوع والخضوع ؟

الجواب:

(الخضوع) قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية ، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: (خضع) إلا تجوزاً .

و(الخشوع) من أفعال القلوب ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظر الآيات:[الإسراء ١٠٩ـ البقرة ٤٥ـ الأنبياء ٩٠ـ آل عمران ١٩٩ـ الحديد ١٦ـ الغاشية ٢].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل (أنزل) و(نزّل) وبين (أُنزل إليك) و(أُنزل عليك)؟

الجواب:

١ـ ﴿أنزل﴾ على صيغة (أفعل) ، و(نزّل) على صيغة (فعّل) ، وهي تفيد التكثير، كقوله تعالى: ﴿تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء:٩٠] وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾[الإسراء:٩١] استعمل صيغة ﴿تفجر﴾ للينبوع، والصيغة التي تفيد التكثير(تفجّر) للأنهار؛ لأنها أكثر.

٢ـ كما أن (فعّل) تفيد التدرج كما جاء في سورة آل عمران ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] هنا التنزيل كان منجماً وصيغة (نزّل) تفيد الاهتمام، أمّا في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] جاء الفعل (أنزل)؛ لأنه نزل جملة واحدة.

٣ـ وعلى هذا النحو الفرق بين فعل (وصّى) التي يستخدم للأمور المعنوية وفعل (أوصى) للأمور المادية.

٤ـ ثم إنّ استخدام (أنزل إليك) أو (أنزل عليك) لها دلالتها أيضاً، (نزله إليك) لم تستعمل إلاّ للعاقل كما جاءت في القرآن للتعبير عن الرسول ﴿نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] ،

أما (عليك) فتستعمل للعاقل وغير العاقل كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] .

٥ـ وفي العقوبات لم يستعمل إلا (على) ولم تأت (إلى) مع العقوبات.

❊❊❊❊

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم الدروس في هذه الآية وفي سورة آل عمران بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ ذكر الله تعالى في سورة آل عمران أنواعاً كثيرة من الأصول والفروع ، أمّا الأصول فهي ما يتعلق بتقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد.

وأمّا الفروع فذكر ما يتعلق بالتكاليف والأحكام نحو الحج والجهاد .

٢ـ ثم ختم الله تعالى السورة بهذه الآية المشتملة على جميع الآداب .

وأحوال الإنسان قسمان: قسم يتعلق بالإنسان وحده، فلا بد فيه من الصبر، وقسم يكون مشتركاً بينه وبين غيره، ولا بد فيه من المصابرة .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ فهذا يعني الاحتراز عن الأفعال الذميمة، وهذا لا يحصل إلا بمجاهدة القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة، كالشهوة والغضب والحرص، وتلك هي المرابطة .

كما أنّ المرابطة تعني المحافظة على الثغور، بحيث يبقى الاستعداد لقتال العدو.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] فيه وجوب ترجيح تقوى الله على سائر الأمور؛ لأنّ هذا فقط هو الذي يوصل للفلاح بإذن الله تعالى، وقد يكون الفلاح في الدنيا بأنْ ترتفع كلمة الحق وكلمة الإيمان، وقد يكون فلاح الآخرة بكسب الجنة ورضوان الله .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (اصبروا) و(صابروا) في الآية ؟

الجواب:

(صابروا) أعلى من (اصبروا) وتحتاج إلى صبر أكثر، ثم (صابروا) فيها أيضاً معنى (اصبروا) على ما هو أشدّ .

ومعنى: صابروا ، لو كنت في الحرب وكان أمامك مقاتل صابر فينبغي أنت أن تغلبه في الصبر، فأنت تصابره، يعني هو أمامك وليس يجزع فلا تفرّ من أمامه وينبغي أن تغلبه في الصبر.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

هذه دعوة الله المؤمنين إلى الصبر والمصابرة ، ولا يُغني واحد منهما عن الآخر الصبر أو المصابرة .

والحقيقة أنّ الدعوة إلى الصبر دون المصابرة مدعاة للتزلزل والفشل وإذا لم يقترن الصبر بالمصابرة والمجاهدة على الصبر حتى يلين الخصم فإنه لا يجني منه شيئاً؛ لأنّ نتيجة الصبر تكون لأكثر الصابرين صبراً كقول الشاعر:

سقيناهُمُ كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبَرا

فالمصابرة هي سبب النصر على الخصوم في ساحات الوغى.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في ختام سورة آل عمران: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، فما دلالة هذا الأمر الأخير في السورة ؟

الجواب:

١ـ آخر ما قال تعالى: في آل عمران أمر بالتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، فأمر الذين آمنوا بتقوى الله، وختم آل عمران بالتقوى وبدأ سورة النساء بالتقوى .

فقد أمر المؤمنين في آخر آل عمران بالتقوى، ثم التفت إلى الناس في أول سورة النساء، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١] وأمرهم بالتقوى .

٢ـ والكافر ينبغي أنْ يدخل في الإسلام، والناس يجب أن يتقوا؛ لأنّ الله تعالى خلقهم للعبادة ، وهو قد أمر الأوّلين بالتقوى .

٣ـ ذكرلفظة (الله) و(الرب) مع المؤمنين في آيتي آل عمران ١٩٩و٢٠٠ ثم التفت إلى الناس فطالب عموم الناس بذلك في آية النساء رقم (١) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ [النساء:١].

السؤال الخامس:

ما أوجه التشابه في الترتيب بين آيتي آل عمران ١٩٥ و ٢٠٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٩٥.

رابعاً ـ تناسب افتتاح السورة وخاتمتها:

قال تعالى في أول السورة:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران:١-٢-٣-٤].

١ ـ قال سبحانه في آخر السورة: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ﴾ [آل عمران:١٩٩].

فذكر في أول السورة تنزيل الكتاب عليه ﷺ وإنزال التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس.

وذكر في آخر السورة أنّ من أهل الكتاب من يؤمن بما أنزل إليه وما أنزل إليهم، وهو ما ذكر في أول السورة.

٢ ـ وقال في أول السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٤].

وقال في آخرها: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

فذكر عاقبة الذين كفروا في البدء والختام.

٣ـ ذكر أولي الألباب في أوائل السورة وذكر دعاءهم ، وكذلك ذكرهم في أواخر السورة وذكر دعاءهم.

فقال في أول السورة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران:٧-٨-٩].

وقال في آخر السورة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ [آل عمران:١٩٠]

وذكر دعاءهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤] .

٤ ـ وذكر (الآخرة) في البدء والختام.

فقال في أول السورة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران:٩] .

وقال في خواتيمها: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران:١٩٤] .

وذكر في الموطنين أنه سبحانه لا يخلف الميعاد، والتناسب أظهر من أن يقال فيه شيء آخر. والله أعلم .

سورة النساء

أولاً ـ تناسب خاتمة آل عمران مع فاتحة النساء

قال سبحانه في آخر آل عمران:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

وقال في أول سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

فأمر المؤمنين في آل عمران بتقوى الله .

وأمر الناس بذلك في أول سورة النساء .

وجاء في «نظم الدرر»: "وما أحسن ابتداءها ـ يعني سورة النساء ـ بعموم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بعد اختتام تلك بخصوص ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ ".

وقال: وكان قد تقدم في السورة الماضية ذكر قصة غزوة أُحُد التي انكشفت عن أيتام، ثم ذكر في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أي أنّ الموت مشرع لا بد لكل نفس من وروده، فعُلِمَ أنه لا بد من وجود الأيتام في كل وقت، فدعا إلى العفة والعدل فيهم، فقال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ أي: الضعفاء الذين انفردوا عن آبائهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ .

ثانياً ـ هدف السورة: العدل والرحمة بالضعفاء:

١ـ سورة البقرة حددت المنهج الذي يجب أنْ يتبعه الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض، وسورة آل عمران ركزت على الثبات على هذا المنهج، وتأتي سورة النساء حتى تدلنا على أنّ العدل والرحمة بالضعفاء من أهم ما يحتاجه الناس لاتباع المنهج.

٢ـ وآيات سورة النساء تتحدث عن أنواع عديدة من المستضعفين والضعفاء، منهم اليتامى والنساء والعبيد والإماء والأقليات غير المسلمة التي تعيش بين المسلمين الذين قد يظلمهم الناس، فالعدل إذن والرحمة بالضعفاء هما أساس المسؤولية في الأرض.

٣ـ وأول العدل يكون في البيت مع النساء، فلو عدل الإنسان مع زوجته ورحمها لاستطاع أنْ يعدل في مجتمعه مع باقي الناس مهما اختلفت طبقاتهم، والله تعالى يريد أنْ يرى عدل الناس خاصة بالنساء قبل أن يستأمننا على الأرض.

وسورة آل عمران مهّدت لتكريم المرأة في قصة زوجة عمران ومريم عليها السلام اللتين هما رمز الثبات في الأرض، ولأنّ النساء هن مصانع الرجال والأجيال، فالأم هي التي تربي أطفال الأمة حتى يصبحوا رجالاً، وسميت السورة بـ(النساء) تكريماً لهن ولدورهن في الأمة الإسلامية.

ونستعرض آيات سورة النساء ومعانيها ، وكل آيات هذه السورة فيها عدل ورحمة:

المحور الأول: العدل والرحمة:

١ـ وتبدأ من أول آية، حيث يذكرنا الله تعالى فيها أنه خلقنا من نفس واحدة وأصل واحد، فكيف يظلم بعضنا بعضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

٢ـ ذكر أنواع الضعفاء من اليتامى والنساء والسفهاء وغيرهم والحث على العدل والرحمة بهم. الآيات (٢ـ٩).

٣ـ تحذير الذين يظلمون بعاقبة الظلم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠] .

٤ـ آيات الميراث وما تضمنته من نصيب الأولاد والأبوين والأزواج والزوجات في حالة وفاة أحدهم.

٥ـ بيان خطورة عدم العدل، الآية ١٤ .

٦ـ أوامر للتوجيه لحسن التعامل مع النساء، والحث على عشرتهن بالمعروف بعدم ظلمهن وتحمل الأذى منهن، فيبدأ بالعشرة بالمعروف ثم الصبر عليها، ثم إذا كرهتموهن فلا حرج من استبدالهن، لكن لا يأخذ أموالهن كرهاً، وليتذكروا ما كان بينهم من عشرة وعلاقة حميمة، ولذا جاءت كلمة (أفضى) بكل معانيها الجميلة، وليتذكر الرجال أنهم استحلوا نساءهم بميثاق غليظ على سنة الله ورسوله. كما في الآيات: [١٩ـ٢١].

٧ـ وكذلك توجيه بالعدل مع الإماء، ومن رحمة الله تعالى أنْ جاء بكلمة (أهلهن) بدل أسيادهن،ونصحهم بألا يُتخذن أخداناً، أي: أصحاباً، حتى لا تتأذى قلوبهن؛ حيث إنّ قلوب النساء رقيقة وتتأذى بشدة. الآية ٢٥.

٨ـ ذكر رحمة الله تعالى التي هي أوسع من كل شيء:الآيات ٢٦ـ٢٨.

٩ـ العدل في الأنفس والأموال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء:٢٩] .

١٠ـ ضوابط ليستقيم العدل داخل الأسرة، ومع الأمر بالعدل يأتي التشديد على وجود ضوابط حتى تستقيم الأمور ولا تتجاوز الحدود المسموح بها، كما في الآية ٣٤ .

١١ـ العدل في المجتمع كله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦] . ونلاحظ في الآية الكريمة تعداد أنواع من الضعفاء.

١٢ـ مشاكل تؤثر على القدرة على العدل والرحمة بالضعفاء: ومنها البخل والرياء كما في الآيات رقم [٣٧ـ٤١].

١٣ـ الله تعالى يعاملنا بالفضل قبل العدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠] .

١٤ـ الرسول ﷺ يشهد على عدلنا: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء:٤١] .

١٥ـ آية محورية هي قلب الصورة في أهمية أداء الأمانات: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

المحور الثاني: هو القتال لضمان حقوق المستضعفين:

كما في الآيات [٧٤ـ ٧٥] ، وقد يستغرب البعض من ورود آيات القتال في سورة النساء، والحقيقة أنّ مكان الآيات في هذه السورة؛ لأنّ النساء هن مصنع المقاتلين ، والمرأة مقاتلة في بيتها بصبرها وطاعتها لزوجها، ومن أهم نقاط هذا المحور:

١ـ الحث على العدل أثناء الجهاد ومعاملة الناس برحمة حتى في القتال وهذا من أخلاق الحرب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء:٩٤] .

٢ـ خطورة المنافقين: تنتقل الآيات في ربع كامل للتنبيه إلى خطورة المنافقين؛ لأنّ أكثر ما يعيق إتمام العدل هو انتشار المنافقين .

٣ـ توصيات للأقليات المستضعفة: الآيات [٩٧ـ٩٨].

٤ـ رحمة الله تعالى بعباده: ومنها رحمته بنا حتى في الصلاة، فشرّع قصر الصلاة وصلاة الخوف . الآيات [١٠١ـ١٠٢].

٥ـ العدل مع الأقليات المسلمة التي تعيش مع المسلمين: فالعدل واجب للمسلمين ولغيرهم أيضاً . الآيات [١٠٥ـ١١٣].

٦ـ التذكير بالعدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء:١٣٥] .

٧ ـ من لطائف هذه السورة الكريمة أن أكثر آياتها ختمت بأسماء الله الحسنى (عليم، حكيم) ، أو بصفات (القدرة والرحمة والمغفرة) ، وقد ورد (٤٢) اسماً من هذه الأسماء في آيات السورة، مما يشدد على أهمية العدل والرحمة في سورة النساء؛ لأنّ العلم والقدرة والحكمة والمغفرة والرحمة هي من دلائل العدل، فسبحان الله العدل الحكيم الرحيم الغفور.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

لمن الخطاب في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ الخطاب فيها عام لكل الناس.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هي آدم عليه السلام، وسمي بهذا الاسم لأنّ الله خلقه من أديم الأرض .

السؤال الثاني:

جعل الله هذا المطلع ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ لسورتين متناظرتين في القرآن: الأولى سورة النساء وهي الرابعة في النصف الأول من القرآن، والثانية هي سورة الحج، وهي الرابعة أيضاً في النصف الثاني من القرآن، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الله تعالى علّل الأمر بالتقوى في سورة النساء بما يدل على معرفة المبدأ، كما علّل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على معرفة المعاد، وقدّم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد لأهمية المبدأ .

السؤال الثالث:

ما دلالة تكرار قوله تعالى ﴿ٱتَّقُواْ﴾ ـ مرتين ـ في نفس الآية ؟

الجواب:

كرر ربنا ﴿ٱتَّقُواْ﴾ مرتين في هذه الآية، الأولى في مكان الإنعام بالخلق والثانية في مكان وقوع التساؤل به فيما يلتمس البعض من البعض ، فكأنّ الأولى على الترغيب والثانية على الترهيب.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هي حواء، فما دلالة ﴿مِنْهَا﴾ هل هي للتبعيض ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هي حواء؛ لأنها خُلقت من مادة حية وهي ضلع آدم ، و(من) هنا للتبعيض، ولكنّ خَلْقَ حواء لم يكن بطريق التوليد كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه ثبوت البنتية والأختية فيها .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية النساء ١ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وفي آية الأعراف ١٨٩ ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] فما الحكمة ؟

الجواب:

١ـ آية النساء في آدم وحواء عليهما السلام؛ لأنها خلقتِ منه فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

٢ـ آية الأعراف في أحد من المشركين ولم تتخلق زوجته منه فقال: ﴿وَجَعَلَ﴾ لأن الجعل لا يلزم منه الخلق، ومعناه: جعل من جنسها زوجها.

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ فلِمَ لمْ يقل: و(نساء كثيراً) ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ ولم يقل: و(نساء كثيراً)؛ لأنّ شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر ، واللائق بحال النساء الاختفاء والستر.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ أي: مثلُ أنْ يقال: بالله أسألك، والعرب كانت تقول: أسألك بالله والرحم، وهذا منهي عنه، والصحيح أنْ يقال: أسألك بالله ثم بالرحم.

وهناك قراءة (وبالأرحامِ) أي: بجرِّ الأرحامِ.

٢ـ دلّ قوله: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها.

السؤال الثامن:

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ في آية البقرة٢٧٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ وكلمة ﴿رَبَّكُمُ﴾ في آية النساء رقم ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ ؟

الجواب:

لفظ الجلالة (الله) هو اللفظ العلم لله تعالى، ويُذكر هذا اللفظ دائماً في مقام التخويف الشديد، وفي مقام التكليف والتهديد.

أما كلمة (الربّ) فتأتي بصفة المالك والسيّد والمربي والهادي والمرشد والمعلم، وتأتي عند ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين، فهو سبحانه المتفضّل عليهم والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم، والخطاب في الآية الثانية للناس جميعاً، وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأنْ خلقهم والذين من قبلهم، ولذا جاءت

كلمة ﴿رَبَّكُمُ﴾ بمعنى الربوبية، وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم تأتي معها لفظ الربوبية (ربّ).

❁❁❁❁

﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تبدل) و(تتبدل) في آيتي النساء ٢ وآية الأحزاب ٥٢؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن كله – وليس فقط في هذه الآية– الحذف، كما جاء في القرآن مثل (تنزّل وتتنزّل، تبدّل وتتبدّل) ، وهذا الحذف في عموم القرآن، وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين:

آ. للدلالة على أن الحدث أقلّ.

ب. أنْ يكون في مقام الإيجاز.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٢] ، هذا خطاب للرسول ﷺ وهي حالة خاصة به ﷺ والحكم مقصور عليه ﷺ فقال: ﴿تَبَدَّلَ﴾ [الأحزاب:٥٢]

٣ـ أمّا في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢] فهذه آية عامة لكل المسلمين، وهذا التبدّل هو لعموم

المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين، وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة، لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة ﴿تَبَدَّلَ﴾ [الأحزاب:٥٢] ، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة ﴿تَتَبَدَّلُوا۟﴾ [النساء:٢] .

السؤال الثاني:

لماذا جاء التعبير بـ (الخبيث بالطيب) ، ولم يأت (الطيب بالخبيث) في الآية؟

الجواب:

هناك قاعدة تقول إنّ الباء تكون مع المتروك، كما في قوله تعالى ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة:١٦] ، وكما في هذه الآية النساء ٢.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ وحقيقة الأكل أن تتناول طعاماً فتدخله في جوفك، فكيف أتى النهي عن أكل المال؟ وهل يستطيع الإنسان أن يأكل الدراهم؟

الجواب:

نهيُ المؤمن عن أكل مال اليتيم ولم يأت النهي عن الأخذ؛ لأنّ الأكل هو أشد دلالة وأقوى تعبيراً من حالة الأخذ، فهذه الكلمة ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾ توحي بأنّ الشخص قد أحرز ما أكله في داخل جسده ، وعندها لا مطمع في إرجاعه ولا دليل على أنه أخذ هذا المال.

السؤال الرابع:

من اليتامى ؟ وما أهم دلالات الآية حولهم ؟

الجواب:

١ـ اليتامى: هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم ، واليتم هو الانفراد .

٢ـ اليتامى: جمع يتيم ، وقد يكون يتيم جمعه (يتمى) وجمع يتمى (يتامى) مثل (مريض) جمعه (مرضى).

٣ـ اليتامى هنا هم الذين كبروا وبلغوا، لكن الله سماهم (اليتامى) على أصل اللغة أو لقرب عهدهم باليتم ، كقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء:٤٦] أي: الذين كانوا سحرة قبل السجود ، كما تسمى الناقة عشراء بعد الوضع .

٤ـ ورد النهي مخصوصاً عن أكل مال اليتيم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢]؛ لأنهم كانوا يأكلونه مع الاستغناء عنه، فجاء النهي عما وقع منهم.

السؤال الخامس:

ما (الحوب) المذكور في الآية ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ الحُوبُ: هو الإثم، واللفظ لأهل الحجاز ، و(الحاب) لتميم .

وقال الرسول ﷺ: «**رب تقبل توبتي واغسل حوبتي**».

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما العلاقة بين (الخوف من عدم القسط باليتامى) و(النكاح)في هذه الآية في سورةالنساء ؟

الجواب:

نزل الحكم في ولي اليتيم الذي تعجبه المرأة اليتيمة التي يرعاها بسبب مالها وجمالها فيبخسها حقها طمعاً في مالها فلا يعطيها مهرها الكافي، لذا جاءت الآية بمعنى: إذا خفتم ألا تعولوا في إعطاء النساء اليتيمات حقهن فانكحوا غيرهن من النساء غير اليتيمات .

وكان العرب يرغبون برعاية اليتيم واليتيمة، فلمّا حذرهم الله من عدم العدل في مال اليتيم خافوا من رعاية اليتيم، فوردت الآية لتأمرهم أن يقيموا العدل بين النساء ويخافوه كما يخافون عدم العدل في اليتيم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ فما الفرق بين (لا تقسطوا) و(لا تعدلوا)؟

الجواب:

١ـ الفعل (قَسَطَ) يأتي من بابين:

آ ـ (قَسَط يقسِطُ قُسوطاً) مثل: جلس يجلس جلوساً .

ب ـ (قَسَط يقسِط قَسْطاً) مثل: ضرب يضرب ضرباً .

والقَسط والقُسوط بمعنى الظلم والجور، وهما مصدران للفعل (قَسَط).

٢ـ وعندما تدخل عليه الهمزة، يكون من معانيها السلب والإزالة، يقولون من (شكى زيدٌ وجعاً): أشكاه الطبيب، يعني أزال شكايته، ومنه أيضاً أعجم الحرف بمعنى نقطه، أي: أزال عجمته.

فالفعل (أقسط) بمعنى أزال، أو سلب الجور والظلم، وهذا الفرق بين [قسط وأقسط]، فالفعل (قَسَطَ) أي جار أو ظلم، والفعل (أقسط) أي أزال الجور وأزال الظلم،أي تحول عن الظلم.

٣ـ أما (القِسط)- بكسر القاف - فبمعنى العدل؛ لأنّ فيه معنى التحول، فصارت كلمة القِسط للعدل وليس للجور.

٤ـ فإذن (الإقِساط) هو عدم الجور، وفي الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ اليتيمة حينما تكون في حجر رجل مسؤول عنها يتولاها، يموت أبوها فتنتقل إلى داره ويكون وصياً عليها وعلى أموالها، وأحياناً إذا تزوجها قد يظلمها في صداقها أي لا يعطيها الصداق الكافي الذي تستحقه، فيقول الله عز وجل للمؤمنين: إذا داخلكم شك وخشيتم ألا تكونوا عادلين مع اليتيمة وخشيتم ألا تزيلوا عنها الظلم ، فتحولوا إلى سائر النساء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣].

هذه اليتيمة المعرضة للظلم إنْ كنت تخشى ألا تزيل عنها الظلم إذا تزوجتها، بل توقعها في الظلم في صداقها، عند ذلك لا تتزوج هذه اليتيمة وتحوّل إلى سائر النساء الأخريات اللاتي لسن في أيديكم من اليتيمات ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣] وكل منكم قد يتزوج اثنين، ثلاث، أربع.

ولّما ذكر مثنى وثلاث ورباع، معناه: ستكون لديه أكثر من امرأة، فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ والعدل فيه معنى المساواة والمعادلة ، بينما مع اليتيمة قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي: إن خفتم ألا تزيلوا عنها الظلم أوإنْ خفتم ألا تقسطوا.

ويذكر كبار السن أنهم كانوا يضعون على الدابة ما يسمى بالعدلين وهما عبارة عن كيسين في كل جانب كيس يضع فيه حاجاته، ويحاول أن يعادل بينهما حتى لا يميل العِدل، فمع النساء كأنه أكثر من واحدة فيجب أن يكون هناك معادلة وعدل ،وليس إزالة ظلم عن واحدة، وإنما فيه معنى التعادل.

٥ـ فلما تحدث عن التعدد استعمل المعادلة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ أي: تكون عادلاً تساوي بين النسوة المتعددات، فإن خفت ألا تعدل اكتف بواحدة، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ أي: ألا تعتدوا في عدم المساواة بين النسوة، وليس من الإعالة (عال فلان بمعنى ظلم وليس بمعنى تكفّل) .

ولّما تحدث عن اليتيمة استعمل إزالة الظلم فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام (ما) وليس (من) في سورة النساء ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؟

الجواب:

١ـ (من) لذات من يعقل، والذات، أي: الشخص، أي: الكيان. تقول: من هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان. إذن (من) لذات العاقل سواء كانت اسم استفهام أم شرطاً أم نكرة موصوفة أم اسم موصول.

٢ـ (ما) تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل مثل: ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا، وتستعمل لصفات العقلاء.

و (ما) تستخدم لذات غير العاقل ولصفات العقلاء، لذات غير العاقل مثل: (أشرب ما تشرب) وصفات العقلاء مثل:من هذا؟ تقول: خالد، ما هو؟ تقول: تاجر، شاعر.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذا صفة عاقل، أي: انكحوا الطيّب من النساء.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧] والذي سواها هو الله. وقوله ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] من الخالِق؟ الله هو الخالق.

٤ـ و (ما) قد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] يسألون عن حقيقته، وفرعون قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣] يتساءل عن الحقيقة.

٥ـ وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم ، والتعظيم قد يكون في الخير أو في السوء أو ما يصيبه من السوء .

قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة:١-٢-٣] وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة:٢٧] وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ [الواقعة:٤١].

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣] ما الذي تضمنته الواو هنا؟ وما معناها؟ وهل هناك لمسة بيانية بحيث لو جمعناها تصبح تسعة وهي عدد زوجات الرسول ﷺ؟ علماً أنه لا يجوز للرجل أن يجمع أكثر من أربع نساء؟

الجواب:

١ـ في الآية الكريمة (مثنى) معناها (اثنتين اثنتين)، أي: مكرر، و(ثُلاث) في اللغة معناها: (ثلاث ثلاث)، وليس معناها ثلاثة، و(رباع): معناها أربع أربع، ليس معناها أربعة.

و حتى تتضح المسألة: ما معنى مثنى وثلاث ورباع؟ فرق في اللغة بين أن تقول لجماعة: خذوا كتابين، يعني كلهم يشتركون في كتابين، وأن تقول: (خذوا كتابين كتابين) يعني كل واحد يأخذ كتابين، (خذوا ثلاثة كتب)، كلهم يشتركون في ثلاثة كتب، (خذوا ثلاثة ثلاثة) يعني كل واحد يأخذ ثلاثة.

ولو قال: (اثنتين) فإنه لا يصلح، إذ كيف يتزوج الناس كلهم اثنتين؟ اثنتين اثنتين، ثلاث ثلاث، أو أربع أربع، إذن الإباحة اثنتين اثنتين ، أو ثلاث ثلاث ، أو أربع أربع، فإنْ لم تعدلوا فواحدة. إذن أقصى شيء مذكور أربع.

فإمّا أن يكنَّ اثنتين اثنتين إن شاء الناس أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، إذن الحد الأعلى سيكون أربع فقط ، وليس تسعة، ولا يجمع الأعداد .

٢ـ والرسول ﷺ حدد ذلك بوضوح حسب ما روي: أنّ غيلان أحد الصحابة أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له ﷺ: «**أمسك أربعة وفارق سائرهنّ**».

٣ ـ ولا يمكن في اللغة أن يقول: اثنتين وثلاثاً وأربعاً، فهذا لا يصح ولا يجوز في اللغة؛ لأنها تعني أنهم كلهم يشتركون، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١] أي الملائكة: قسم له اثنان اثنان في الأجنحة، وقسم ثلاث ثلاث، وقسم أربع أربع، ولا يعني أن كلهم يشتركون في جناحين أو ثلاثة أو أربعة .

٤ـ أين الإشكال في السؤال؟ ولماذا لم يقل: (أو) مثلاً؟

(أو) تأتي بمعنى التخيير، و(الواو) لمجرد العطف، فـ(الواو) فيها الإباحة أن يختار ما يشاء، أي: أنه عندما يختار (الواو) يعني: أن تختار اثنتين أوثلاثة أوأربعة، لكن لو قال: (أو) يعني تختار واحدة من هذه: إما اثنتين أو ثلاثاً أو أربع، ولا يحق لك الاختيار إلا حالة واحدة منها فقط .

٥ـ الأصل (واحدة)؛ لأنه قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ فالأصل واحدة والتعدد هذا شيء آخر.

السؤال الخامس:

ما أهم وقفات هذه الآية الكريمة ؟

الجواب:

١ـ القِسط: - بكسر القاف - هو العدل ، والقَسط: - بفتح القاف - هو الظلم .

٢ـ حينما تكون اليتيمة في حجر رجل مسؤول عنها يصونها ويرعاها ويكون وصياً عليها وعلى مالها، فإذا أراد هذا الولي أن يتزوجها لرغبته في جمالها ومالها فليعطها الصداق الكافي الذي تستحقه لا أن ينكحها بأدنى من صداقها بحكم أنه وصي عليها ، وليعاملها بعد الزواج معاملة طيبة وليس العكس؛ لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها، ولذلك يكون حديث الآية عن ظلمٍ قد يصيب اليتيمة أو اليتامى، أو خشية عدم إزالة الظلم عنهن فاستعمل هنا ﴿أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ أي: لا تزيلوا الظلم.

ولذلك فإن معنى الآية يكون: إن خفتم ألا ترفعوا الجور عن اليتامى فابتعدوا عن الزواج بهن؛ حتى لا تحدثكم أنفسكم بأن تجوروا على اليتيمة فتظلموها، والنساء من غير اليتامى كثير، وطالما كانت النساء كثيرات فقد أباح التعدد ولكنه لم يأمر به ، فهو غير ملزم.

٣ـ الخطاب في الآية للجمع ﴿فَانكِحُوا﴾ ، وقول الله: ﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ معناه أن واحداً ينكح اثنتين، وآخر ينكح ثلاثة، وآخر ينكح أربعة .

لأنه إذا قال مدرس لتلاميذه: أخرجوا كتبكم، أي: كل واحد يخرج كتابه وليس ليخرج كل واحد كل الكتب؛ لأنّ مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة آحاداً .

وعندما تحدثت الآية عن الزواج بالنساء الأخريات من غير اليتامى ذكر (العدل) ولم يذكر الظلم ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ أي: لا تعتدوا في عدم المساواة بين النسوة، أو لا تجوروا ولا تميلوا.

٤ـ يجب ألا نأخذ حكماً لله ونترك الحكم الآخر له، فقد أباح الله التعدد وطلب (العدل) بين الزوجات، فلا بد من أن يأخذ المؤمن منهج الله كله، وآفة الناس أنهم يأخذون الأحكام بشكل جزئي، والشرع هو شرع متكامل.

والعدل المطلوب في الأمور المادية مثل المسكن والملبس وفي الزمن وفي جميع المتاع، أمّا المسألة القلبية، فهذا ليس في مقدورك، قال النبيّ ﷺ: «**اللهم هذا قِسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» .

٥ـ أنّ من الخير أن تكون المرأة الثانية امرأة واضحة في المجتمع ويتحمل الرجل عبء الأسرة كلها، وهذا أحسن من مسألة الخليلات اللاتي يذهب إليهن الرجال ثم يأتوا بلقطاء ليس لهم أب .

٦ـ التعدد يحل لنا مشكلة زيادة عدد الإناث على الذكور، وإلا فسوف تنطلق النسبة الزائدة من الإناث عن الذكور لتفسد العلاقات الاجتماعية وخاصة مع المتزوجين فتفسد أسرهم .

٧ـ موضوع التعدد حل إلهي لمشكلة الفائض من الإناث، ويزيد هذا الفائض خاصة في الحروب؛ لأنّ أكثر القتلى هم من الرجال .

٨ـ من الناحية الرياضية: يبدو أنّ الإفراد في الزواج هو الأصل، والتعدد طارىء وهو لحل مشكلة الفائض؛ لأنّ نسب الأناث تزيد عادة قليلاً عن نسب الذكور في المجتمع . مثلاً (٥١) بالمائة إناث مقابل (٤٩) بالمائة ذكور ، ولو كان الأصل هو التعدد لاختلفت هذه النسب في المجتمع ليصبح مثلاً (٧٠) بالمائة إناث مقابل (٣٠) بالمائة ذكور . والله أعلم

❁❁❁❁

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ۝٤﴾

السؤال الأول:

ما وجه عطف (إيتاء النساء مهرهنّ) على الأمر بـ(إعطاء اليتامى حقهم) أي في الآية السابقة، حيث يقول تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ وفي الآية التي بعدها يقول: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ ما حكم العطف هنا؟

الجواب:

هذان الضعيفان (المرأة واليتيم) مستضعفان من المجتمع، وحقهما مغبون، فكان في تعاقبهما حراسة لحقهما أشد حراسة.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾ ؟ ولِمَ قيّد الصدقات بقوله ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾ ؟

الجواب:

النِّحلة هي العطيّة بلا قصد العِوَض، وقد سمى ربنا تعالى الصدقات نِحلة ليكون المهر الذي تدفعه منزّهاً عن العِوَض ، بل هو أقرب إلى الهدية فليست الصدقات عوضاً عن منافع المرأة، ولو كان عوضاً لكان عوضها جزيلاً ومتجدداً بتجدد المنافع وامتداد الزمن، فعقد النكاح بينك وبين زوجك غايته إيجاد آصرة محبة وتبادل الحقوق والتعاون على إنشاء جيل، وهذا أغلى من أن يكون له عِوَض مالي.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ لِمَ قال ربنا ﴿طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ ولم يقل: (فإن طابت نفوسهن عن شيء لكم)؟

الجواب:

أخّر ربنا تعالى (النفس) عن شيء ونصبها على التمييز ليبين لنا مقدار قوة هذا الطيب ، وليؤكد لنا أنه طيب نفس لا يشوبه شيء من الضغط والإكراه.

وتأمل لِمَ قال ربنا ﴿فَكُلُوهُ﴾ ولم يقل: فخذوه؟ لأنه عندما قال: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ ؛ ذلك ليطمئن المؤمن بجواز الانتفاع بمال زوجه انتفاعاً لا رجوع فيه فهو تملّك لمالها تملّكاً تاماً، ولكنه تملّك عن طيب نفس منها لا إرغام فيه.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين النعمة والمهر والصداق والهبة والنِّحلة ؟

الجواب:

١ـ (النعمة) مضمنة بالشكر؛ لأنها لا تكون إلا حسنة، لكن (الهبة) قد تكون قبيحة بأن تكون مغصوبة، والهبة لا تكون واجبة .

٢ـ (النِّحلة) ما يعطيه الإنسان بطيب نفس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ وقيل: ديانة.

والنِّحلة تكون واجبة وغير واجبة، وأصلها العطية من غير معاوضة .

٣ـ (الصداق) اسم لما يبذله الرجل للمرأة طوعاً من غير إلزام، ولهذا اختار الشروطيون في كتب المهور: صداقها الذي تزوجها عليه .

ومنه الصداقة لأنها لا تكون بإلزام وإكراه، ومنه الصدقة، ثم يتداخل المهر والصداق لقرب معنييهما.

٤ـ هل الصداق عطية ؟ بالطبع لا، إنه حقٌّ وأجرُ بضع ، ولكن الله يريد أن يوضح لنا: أي فليكن إيتاء المهور للنساء نِحلة ، أي: وازع دين لا حكم قضاء .

و(المهر) عطية من الزوج بدون بدل، والذي يستحقه الزوج من المرأة بعقد النكاح هو الاستباحة لا المِلكُ .

السؤال الخامس:

ما أهم الوقفات في هذه الآية الكريمة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ أي: المهور و ﴿نِحْلَةً﴾ هي العطية عن طيب نفس من غير أخذ عوض .

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ﴾ إما أنْ يكون للأزواج وإما أنْ يكون للأولياء .

٣ـ حين يُشرِّع الحقُ لحماية الحقوق فإنه يفتح المجال لأريحيات الفضل؛ لذا يقول الحق: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ أي: إن تنازلت الزوجة فهذا أمر آخر فيه طيب النفس .

وإياك أيها الزوج أنْ تأخذ شيئاً من مهر الزوجة التي تحت ولايتك بسبب الحياء ، لكن لو طابت نفس المرأة عن جميع المهر حل للزوج أن يأخذه بالكلية .

٤ـ (من) في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾ ليس للتبعيض بل للتبيين، والمعنى: عن شيء من هذا الجنس الذي هو مهر كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠]

٥ـ إعراب ﴿نَفْسًا﴾ منصوب على التمييز، والمعنى: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق بنقل الفعل من الأنفس إليهن، كما قالوا: أنت حسن وجهاً .

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ ليس نفس الأكل، بل المراد منه حق التصرف .

السؤال السادس:

ما قصة علي كرم الله وجهه مع الرجل في قوله تعالى في الآية ﴿طِبْنَ﴾ و ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ ؟

الجواب:

قال علي كرم الله وجهه لرجل كان يطلب منه علاجاً: خذ من صداق امرأتك درهمين واشتر بهما عسلاً، وأذب العسل في ماء مطرٍ نازلٍ لساعته، واشربه فإني سمعت الله يقول في الماء النازل من السماء: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨] وسمعته سبحانه يقول في العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩] ، وسمعته يقول في مهر الزوجة: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ .

فإذا اجتمع في دواءٍ البركةُ والشفاءُ والهنيءُ المريءُ عافاك الله إن شاء الله .

❋❋❋❋

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ ما كلمات منظومة أنواع اللباس في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧ .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿السُّفَهَاءَ﴾ ما كلمات منظومة السفيه في القرآن ؟

الجواب:

منظومة كلمات السفيه هي:

١- الجبت:

كل شيء يعبد من دون الله من صنم أو راهب أو شمس أو إنسان كفرعون. النساء ٥١ .

٢- الطاغوت:

هو كل رأس ضلالة من فعل: طغو، مثل فرعون .[النساء ٦٠ـ النحل ٣٦].

٣- الرذل:

جمعه أراذل بمعنى النفايات، والرذل من الناس هو الذي يحتقره الجميع. [الشعراء ١١١ـ نوح ٢٧].

٤- الزنيم:

ملحق بالقوم وليس منهم؛ أي رجل بلا أصل ألحق نفسه بقوم[القلم ١٣].

٥- السفيه:

وهو نوعان: سفيه بالفعل، وهو الذي لا يحسن التجارة وتصريف الأموال، وقد ورد ذكره في القرآن مع التبذير، وهو سفيه الدنيا .

وسفيه القول: وهو سفيه الآخرة ؛ لأنه سفيه القول والفكر .[الجن ٤ـ النساء ٥].

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ ؟

الجواب:

جعل الله تعالى مال السفيه في مرتبة مال الولي؛ لأنّ السفيه لا يحترم ملكيته وقد يبددها، ولكنّ هذا المال سوف يعود لهذا الإنسان حين يذهب عنه السفه، فيقول الحق في الآية ٦ من سورة النساء ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ .

إنه أداء قرآني عجيب، يشجع الناس ألا يتركوا السفيه يبدد ماله فتكون خسارة للمجتمع كله، فما دام هو في سفه فانظر إلى المال كأنه مالك، ولتكن أميناً عليه أمانتك على مالك، وعندما ترى رشده وتطمئن على ذلك فإنّ الحق يأمرك بأن تعيد له ماله .

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ؟ ولِمَ لم يقل: منها ؟

الجواب:

لم يقل: (منها) ، وعبّر بالظرف (فيها) إشارة إلى الاقتصاد واستثمار الأموال حتى تحقق ربحاً وحتى تكون النفقة والكسوة من الربح لا من رأس المال، ولو قال: (منها) لكان ذلك أمراً بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقاً لهم .

والتعبير ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ يعني ارزقوا السفهاء ﴿فِيهَا﴾ يقصد من أموالهم لكن ما قال: من المال، يعني: استثمروها لهم، ولو قال: وارزقوهم منها، يكون من أصل المال .

والآية تعني: انفعوا الفقراء واليتامى؛ لأنهم ما زالوا صغاراً يتامى سفهاء لا يحسنون التصرف، انفعوهم وتصرفوا مكانهم، انفعوهم وذلك عن طريق التصرف بالمال بما يفيدهم وبما ينفعهم وأنفق مما يثمر هذا المال بما يعود عليهم بالخير .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى﴾ باستعمال اسم الموصول ﴿ٱلَّتِى﴾ فما الأسماء الموصولة ؟ وما أهم أغراض اسم الموصول ؟

الجواب:

سميت الأسماء الموصولة بذلك؛ لأنها توصل بكلام بعدها هو من تمام معناها، وتسمى الصلة .

أغراض الاسم الموصول:

١ـ عدم علم المخاطب من أحوال الشخص الذي تتحدث عنه، نحو: الذي كان معنا بالأمس .

٢ـ الإبهام ، نحو: إنّ الذي كان معنا سافر .

٣ـ استهجان التصريح باسمه .

٤ ـ التعظيم: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه:٤].

٥ـ التحقير: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٨].

٦ـ التعريض بذكر الصلة: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء:١٩].

٧ـ التفخيم: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] .

٨ـ الاختصار: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب:٦٩] .

٩ـ إرادة العموم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فُصِّلَت:٣٠] .

١٠ـ إرادة واحد من الجنس: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢].

صلة الموصول:

قد تكون جملة فعلية أو اسمية (حضر الذين هم أصدقائي)، أو ظرفاً (اللوحة التي)، أو جاراً ومجروراً (قطفت الأزهار التي في الحديقة) ويشترط في صلة الموصول الفعلية أو الاسمية أنْ تشتمل على ضمير يربطها بالموصول، ويسمى: العائد .

الأسماء الموصولة:

وتقسم إلى قسمين:

آـ مختص: أي ما استعمل لشيء واحد (الذي و التي)، وما تفرع عنهما.

ب ـ مشترك مثل (من ـ ما ـ أي) .

١ ـ الذي:

للمفرد المذكر العاقل وغير العاقل (قرأت الكتاب الذي اشتريت).

٢ ـ اللذان:

للمثنى المذكر: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ [النساء:١٦] .

٣ ـ الذين:

لجماعة الذكور،ويختص بالعقلاء ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المؤمنون:٤].

وتستعمل لما ينزّل منزلة العقلاء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف:١٩٤] .

٤ ـ الأُلى:

تستعمل للجمع المطلق عاقلاً كان أم غيره للذكور والإناث: رأيت الألى هربن.

٥ ـ التي:

للمفردة المؤنثة عاقلة أو غيرعاقلة، نحو: (بعت البقرة التي اشتريتها).

وتستعمل لجماعة غير العقلاء ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥].

٦ ـ اللتان: للمثنى المؤنث.

٧ ـ اللاتي واللائي:

لجمع الإناث ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء:٢٣].

٨ ـ من:

للعاقل مذكراً أو مؤنثاً مفرداً أو مثنى أو جمع، [يوسف ٧٢ ـ٧٩ ـ هود ١١٢] ولا تقع على غير العاقل إلا في الحالات التالية:

آ ـ أنْ ينزّل غير العاقل منزلة العاقل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ [الأحقاف:٥] .

ب ـ أنْ يجتمع غير العاقل مع العاقل في عموم فصل بـ(من) ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ [النور:٤٥].

٩ ـ ما:

تقع لغير العاقل مذكراً أو مؤنثاً مفرداً أو مثنى أو جمع[طه ٦٩].

وتقع على صفات من يعقل [النساء ٣ ـ الشمس ٥ ـ ٧ ـ الكافرون ٣].

لذلك فإن (ما) أوسع استعمالاً مِن (مَن) وأكثر إبهاماً منها.

وقد تحتمل (من) الموصولية الاسمية والحرفية[لقمان ٢٣] ، وقد تحتمل الموصولية والاستفهامية[هود ٧٩ ـ البقرة ٣٣].

وقد تحتمل الموصولية والنفي [العنكبوت ٤٢] .

وقد تحتمل الموصولية والشرطية[آل عمران ٣٠].

١٠ ـ أي:

وهي مبهمة تستعمل للعاقل وغيره [مريم ٦٩].

وهي تكون استفهامية وشرطية وصفة وموصولة حسب الاستعمال، وقد تحتمل أكثر من معنى نحو: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه:٧١].

ملاحظات:

١ـ لا حظنا أن (من) و (ما) مفردان مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، ويجوز مراعاة لفظهما، أعني الإفراد والتذكير، كما يجوز مراعاة المعنى . أمثلة: [البقرة ٨، الأحزاب ٣١].

٢ ـ الأسماء الموصولة أسماء مبنية، فيما عدا (اللذان واللتان) فهما معربان إعراب المثنى.

٣ ـ قد يحذف اسم الموصول إذا علم، وذلك إذا عطف على مثله ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦] .

وفي القرآن حيث قصد التنصيص على الإفراد ذُكر الموصول[يونس ٦٦، البقرة ٢٥٥ ـ الزمر ٦٨].

وحيث قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] فالمقصود هنا علو قدرة الله .

وقد تحذف قليلاً الصلة إذا عُلمت أو أريد بها الإبهام نحو: (بعد التي واللُّتيا) أي: بعد الداهية التي وصلت إلى حد من العظم لا يمكن شرحه، و(اللُّتيا) هي الداهية العظيمة.

❁❁❁❁

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الرُّشد) و(الرَّشَد) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ (الرُّشد) عام ومعناه الصلاح والاستقامة، ويكون في الأمور الدينية والدنيوية، وأما (الرَّشَد) ففي أمور الدين والآخرة فقط .

٢ـ (الرشاد): هو سبيل القصد والصلاح، وهو مصدر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩] .

*** شواهد قرآنية: الرُّشد:**

ـ ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء:٦] أمر دنيوي .

ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف:٦٦] أمر دنيوي موسى تتبع الرجل الصالح .

ـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ـ ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف:١٤٦] إذن الرُّشد يستعمل في أمور الدنيا والدين.

*** شواهد قرآنية: الرَّشَد:**

ـ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف:١٠].

ـ ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤].

أغلب ما تستعمل في أمور الدين (الرَّشَد) ، وأما (الرُّشْد) فهي عامة.

هذا ما قاله قسم من اللغويين، وإنْ كان قسم قال: إنّ هاتين لغتان، لكن هما في القرآن هكذا، يستعمل الرُّشْد في أمور الدنيا والدين، والرَّشَد في أمور الدين، وقسم قال: هذه لغة، ولكنّ قسماً قال: هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، والله أعلم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾ ما مدلول كلمة (آنس) في القرآن ؟

الجواب:

١ـ في المعجم:(آنس) الشيء أبصره والصوت سمعه، واستأنس أي: استأذن .

٢ـ أمّا في القرآن الكريم فيعطينا حس العربية المرهف وهو الطمأنينة والأُنس ، كما في آية طه ١٠ ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ .

٣ـ وقد وردت هذه الكلمة في خمس آيات من القرآن، وليس الإيناس فيها مجرد إبصار لظواهر الرشد المادية الحسية، ولكنه الطمأنينة المؤنسة .

كذلك الأمر في آية النور ٢٧ ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ ، فإنّ الاستئناس ليس مجرد الاستئذان فقط ، وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله.

٤ـ الإنس والإنسان مشتق من كلمة (أنس) أو (آنس).

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ ما دلالة استعمال (إذا) و (إنْ) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٠ .

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ وَلْيَخْشَ ﴾ الفعل (يخشى) متعدٍّ يأخذ مفعولاً به، فتقول: أخشى الله، فأين مفعول ﴿ وَلْيَخْشَ ﴾ في الآية؟

الجواب:

حذف ربنا تعالى مفعول ﴿ وَلْيَخْشَ ﴾ لتذهب نفس السامع في تقدير المفعول به مذاهب عدة، وليقدر كل واحد منا تقديراً يفهمه هو، فينظر كل سامع بحسب الأهمّ عنده مما يخشى أنْ يصيب ذريته فيكون رادعاً له عن ظلم اليتامى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الضعفاء) و(الضِعاف) ؟

الجواب:

١ـ لدينا جمعان على وزن (فُعلاء) و (فِعال).

آ ـ الجمع على وزن (فُعلاء) نحو: كُرماء وجُهلاء وحُكماء، هو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية .

ب ـ أما الجمع على وزن (فِعال) نحو: ثِقال وضِعاف فيكادُ يختصُّ بالأمور المادية، قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة:٤١] و ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد:١٢] .

٢ـ ومثله: (الكُبراء والكِبار) فالأول هم السادة والرؤساء، وأمّا الكِبار، فهم كِبار الأجسام والأعمار.

٣ـ ومثله: (الضعفاء والضِّعاف) فالأول: الضُّعفاء، وهم المستضعفون من الأتباع والعوام ، وأمّا: الضِّعاف ، فللضعف المادي .

*** شواهد قرآنية: (ضُعفاء)**

ـ ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ [التوبة:٩١] .

ـ ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ [إبراهيم:٢١.]

ـ ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ... عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧].

وهذه كلها في الضعف المعنوي ، فإنْ أردت الضَعف المادي قلت: ضِعاف . كقولك: هم ضِعاف الأجسام.

*** شواهد قرآنية: (ضِعاف)**

ـ ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء:٩] .

ـ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٦] .

قال في الأولى: ﴿ضِعَٰفًا﴾ وفي الثانية ﴿ضُعَفَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٦] فلماذا؟

بالتأمل في الآية الأولى يتبين أنّ قوله ﴿ضِعَٰفًا﴾ يعني الضعف المادي، أي: أنهم بحاجة إلى المال لأنهم فقراء .

وأمّا الثانية فليس المقصود بها الضعف المادي، بل الضعف المعنوي ، بدليل أنّ أباهم له جنة فيها من كل الثمرات ، وإنما هم ضعفاء إلى من يقوم بأمرهم.

والله أعلم .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ما دلالة هذه الكلمة ؟ وهل من فرق بين (خلف) و(بعد) ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٧٠ .

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾ فكيف يأكل آخذ مال اليتيم النار في الدنيا، مع أنّ العذاب بالنار يكون في الآخرة؟

الجواب:

أراد ربنا بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾ تبيان شدة الألم والعذاب في الدنيا بدليل قوله: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ أي: في الآخرة.

وفي هذه العبارة ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ استعارة، فقد عبّر الله تعالى عن المصائب بأكل النار؛ لأنّ شأن النار أنْ تلتهم ما تقع عليه كآكل مال اليتيم فربما تصيبه مصائب في ذاته أو ماله، مثل النار إذا دنت من أحد لا بدّ أن تؤلمه وتتلف متاعه.

السؤال الثاني:

لقائل أنْ يقول: الأكل لا يكون إلا في البطن، فما فائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠] ؟

الجواب:

١ـ أنّ هذا كقوله تعالى:

ـ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفم.

ـ ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦] والقلب لا يكون إلا في الصدر.

ـ ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨] والطيران لا يكون إلا بالجناح.

والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة .

٢ـ الأكل هنا للنار إمّا أنْ يكون على ظاهره يوم القيامة، أو أنّ ذلك توسع، أي: جارٍ مجرى أكل النار، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ ما الفرق بين (السين وسوف) وكلاهما حرفا استقبال ؟

الجواب:

السين وسوف حرفا استقبال وتوكيد، وكلمة سوف تدل على البعد، وتدل كذلك على الصبر والشم ، حيث كان الدليل في الصحراء يشم التراب ليعلم هل هو على قصدٍ أم على جور ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد مسافة، أي من (السوف).

والاستعمال القرآني لحرفي الاستقبال يدل على أنّ (سوف) أكثر توكيداً من (السين)؛ وذلك ربما لزيادة حروفها .

خصائص الاستعمال القرآني:

١ ـ يستعمل القرآن (السين) للقريب، وفي مقام الإيجاز، أو إظهار شدة القرب، نحو: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدَّثر:٢٦] ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨] .

٢ ـ ويستعمل (سوف) للبعيد، وفي مقام الإطالة وشدة التوكيد .

*** شواهد قرآنية على (سوف):**

آ ـ قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨] أعطاهم وعداً أطول (سوف) مناسباً لما فعلوه به وبأخيهم يوسف، فهو وعدهم بالاستغفار في المستقبل حين طلبوا منه ذلك.

ب ـ قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧] حيث دعا أباه للإسلام فلم يستجب، وفي نهاية الحديث قال له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ .

*** شواهد قرآنية أخرى على حرف (سوف):**

ـ [الزخرف ٤٤ ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ـ النساء ٣٠] للبعيد.

ـ [الأعراف ١٤٣ ـ مريم ٦٦] للبعيد.

ـ [النساء ١٥٢ ـ التوبة ٧١ ـ البقرة ١٣٧] للتوكيد.

*** شواهد قرآنية على حرف (السين):**

[يوسف ٦١ ـ الكهف ٧٨ ـ النساء ٩١ ـ البقرة ١٤٢].

مقارنات:

آ ـ جاء بـ(سوف) في آية النساء[٢٩ـ٣٠]؛ لأنه في سياق عقوبة قتل النفس عدواناً وظلماً ، فزاد في التهديد والتوكيد، وجاء بـ(سوف) التي هي آكد من (السين).

وللعلم فإن (السَّوف) من معانيه: القتل ، الذي يفيد الهلاك والموت ، فناسب ذلك مع آية النساء، بخلاف آية الأيتام في النساء١٠، فقال: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

ب ـ آية غافر ٤٤، لم يزد التهديد على ما ذُكر ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر:٤٤] فاستعمل حرف (السين) فقط .

أما في الآيات (٧٠ ـ ٧٢) فقد استمر التهديد إلى الآية ٧٦ ، فلمّا طال التهديد جاء بـ(سوف) التي هي أطول من (السين) وأكثر منها توكيداً .

ج ـ آية النساء ٥٦ هي في الكافرين، وقد سبقتها تسع آيات(٤٨ ـ ٥٦) فجاء ب(سوف)، بخلاف آية المؤمنين ٥٧ ، فإنها آية واحدة، فجاء في مقام الإطالة بـ(سوف) ، وفي مقام الإيجاز بـ (السين) .

د ـ آية النساء ٧٤ هي في سياق الشهادة والقتل الذي بُدىء بالإشارة إليه من الآية ٦٩، ثم تستمر آيات القتال بمقدار عشر آيات، فجاء بـ(سوف) بخلاف الآية ١٧٥ فإنها آية واحدة فقط، فجاء بحرف (السين) .

❁❁❁❁

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١١) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (وصّى) و(أوصى)؟

الجواب:

١ـ من الملاحظ في القرآن أنه يستعمل (وصّى) في أمور الدين والأمور المعنوية و(أوصى) في الأمور المادية، كما في الآيات: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ

أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النساء:١٣١] ويستعمل (أوصى) في المواريث ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [النساء:١١] ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴾ [النساء:١١].

٢ـ لم ترد (أوصى) في الأمور المعنوية وفي أمور الدين إلا في موطن واحد اقترنت بأمر مادي عبادي، وهو قوله تعالى على لسان المسيح عيسى عليه السلام ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ [مريم:٣١] قال: (أوصاني) لأنها اقترنت بأمر مادي وعبادي وهو الزكاة، والأمر الآخر أنّ القائل هو غير مكلّف ، لذلك خفّف من الوصية لأنه الآن ليس مكلفاً لا بالصلاة ولا بالزكاة فخفف؛ لأنه لا تكاليف عليه.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الوالد) و(الأب)؟ وماذا عن الاستعمال القرآني للوالدين؟

الجواب:

١ـ التي تلد هي الأم، والوالد من الولادة، والولادة تقوم بها الأم، وهذه إشارة إلى أنّ الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد.

لكن في المواريث ولأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ ﴾ [النساء:١١]. وفي الأموال يستعمل الأبوين.

٢ـ ربنا سبحانه وتعالى لم يستعمل البر والإحسان والدعاء في جميع القرآن إلا للوالدين وليس الأبوين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣] ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح:٢٨].

٣ـ الأبوان تثنية الأب والأم، والوالدان تثنية الوالد، أي: للوالد والوالدة، والولادة الحقيقية للأم وليس للأب، الأب ليس والداً؛ لأنّ الأم هي التي تلد .

٤ـ من الأحق بحسن الصحبة الأب أو الأم؟ الأم، فقدّم الوالدين إشارة إلى الولادة، ولم يستعمل البر والإحسان والدعاء في جميع القرآن إلا للوالدين وليس الأبوين .

ـ أما في تقديم الأبوين فيقول الله تعالى:

ـ ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ لأنّ الأب له النصيب الأعلى في الميراث.

ـ ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾ [الكهف:٨٠] فليس فيها مقام ذكر البر؛ لذا قال: (أبواه).

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف:١٠٠] ما قال: (والديه) إكراماً للأم؛ لأنّه بذكر الوالدين تصير الوالدة هي التي تسجد ، بينما هي أكرم من الأب، والأمر الآخر أنّ الأب أحق بالعرش فقُدِّم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الأبناء والأولاد؟

الجواب:

(الأبناء) جمع ابن بالتذكير، مثل قوله تعالى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [البقرة:٤٩] أي: الذكور، أمّا (الأولاد) فعامة ؛ أي تشمل الذكور والإناث.

* شواهد قرآنية:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] الذكر والأنثى. ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] الإرضاع للذكور والإناث.

السؤال الرابع:

في سورة النساء ختمت آية المواريث رقم ١١ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾ وفي آية المواريث رقم ١٧٦ بالنسبة للكلالة ختمت بقوله ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾ فما اللمسة البيانية في هذا الاختلاف؟

الجواب:

١ـ أيهما يدلّ على العِلم أكثر؟ عندما تقول: (كنت أعلم بهذا) أو (أعلم هذا)؟ (كنت أعلم بهذا) أدل على العلم، أي: أعلم قبل أنْ تقع، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)﴾ [البقرة:٣٣].

٢ـ لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾ أدلّ على العلم من ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾.

٣ـ في الأولاد الذكور قال تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ إذن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾ أي: عندما شرّع هو يعلم هذا الأمر أصلاً.

٤ـ في آية (الكلالة) ما ذكر حيرتهم في عدم المعرفة، بينما هناك ذكر حالتهم، والله تعالى يعلم هذا الأمر قبل أنْ يقع.

٥ـ لمّا ذكر جهل الإنسان وعدم المعرفة ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ ذكر أنّ علمه سبحانه وتعالى سابق، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء:١١]، وعندما لم يذكر هذا الأمر ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ وما فيه من حيرة بين الناس، قال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النساء:١٧٦] .

السؤال الخامس:

ما مسألة الزمن مع الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ أي: ما دلالة (كان) مع الله تعالى؟

الجواب:

(كان) يفرد لها النُّحاة بكلام في زمنها:

١ـ الزمان الماضي المنقطع، كأن تقول: كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب.

٢ـ الماضي المستمر (كان الاستمرارية) بمعنى: كان ولا يزال ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء:١٠٠] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨] يسمونها (كان) الاستمرارية، أي: هذا كونه منذ أنْ وُجِد.

٣ـ (كان) تفيد الاستقبال ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ:١٩] أي: صارت في المستقبل ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة:٧] أي: صرتم، أصبحتم.

٤ـ (كان) فيها كلام كثير عند النُّحاة غير كان التامة والناقصة من حيث الزمن .

السؤال السادس:

في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ جعل الله تعالى حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدّر به حظ الذكر، فلِمَ آثر ربنا تعالى هذا التعبير؟

الجواب:

أمعِن التأمل في هذا اللطف الإلهي؛ فقد جعل الله تعالى حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدّر به حظ الذكر، ولم يجعل حظ الذكر هو المقياس، كأن يقول: للأنثى نصف حظّ الذكر، آثر ربنا تعالى هذا التعبير لنكتة لطيفة وهي الإيماء والإيحاء للناس بأنّ حظّ الأنثى هو الأهم في نظر الشرع، وهو مقدّم على حق الرجل؛ لأنّ المرأة كانت مهضومة الجانب عند أهل الجاهلية، أمّا في الإسلام فقد أصبحتِ يا أختاه ينادى بحظّك وقسمتك ونصيبك هو المقياس.

السؤال السابع:

ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ ، فما دلالة هذا التعبير ؟

الجواب:

أي: عُلم من هذا أنه فرض افترضه الله علينا في المواريث، فأكّده بقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ ، وهذا من باب التأكيد .

﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ
بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ
فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَلِيمٌ (١٢) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ جاءت ﴿نِصْفُ﴾ نكرة على عكس الباقي المعرّف في نفس الآية (الربع، الثلث، السدس، الثمن). فما السبب؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿نِصْفُ﴾ في الآية نكرة؛ لكنها لمَّا أضيفت عرِّفت.

السؤال الثاني:

ختمت الآية الكريمة باسم الله ﴿حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٢٢٥

❁❁❁❁

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية الجن ٢٣ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وفي آية النساء ١٤ قال: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ ، فما الفرق بين: (خالدين) و(خالدًا)؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجمع في آية الجن، وقال: ﴿خَٰلِدًا﴾ بالإفراد في آية النساء ١٤ وزاد فيها: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ والسبب - والله أعلم-:

أ ـ العذاب والوعيد في آية النساء ١٤ أشد من آية الجن ٢٣، لكن لماذا هو أشد؟ لأنه قال في آية الجن: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ، وقال في آية النساء١٣ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ ففيها زيادة، وهي تعدي الحدود.

و(العصيان) يعني عدم الطاعة ، و(تعدي الحدود) هو أيضاً عدم الطاعة ولكن فيها إضافة ، وقد تكون هنالك حدود في أمور معينة ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧] ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩] ، فهذه إضافة إلى العصيان؛ لأنّ مجرد العصيان أحياناً ليس بالضرورة أن يكون كفراً بل يكون مجرد معصية ، والإنسان قد يعصي ربه في شرب خمر أو سرقة أو زنا.

ب ـ في سورة الجن ذكر (العصيان) فقط، وفي النساء ذكر (العصيان وتعدي الحدود)؛ ولذلك قال في آية النساء: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ و ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ فجمع له عذاب الوحدة وعذاب النار. وبهذا جمع عليه العذاب المادي والنفسي والانفراد.

٢ـ لمّا سبق آية الجن ألفاظ الجمع نحو قوله تعالى: [يكونون ـ المسلمون ـ الصالحون ـ القاسطون ـ استقاموا] ناسب الجمع في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ﴾

٣ـ هنالك أمر آخر بياني حسّن استخدام الجمع في آية الجن، وهو ذكر اجتماع الكفرة على رسوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ ، فهذا اجتماع، وهؤلاء خالدون بزمرتهم.

٤ـ ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة لفظة (خالداً) مطلقاً، وإنما دائماً (خالدين)؛ لأنه ليس هناك وحدة وانفراد، بينما في النار نجد (خالداً) بالإفراد و(خالدَيْنِ) بالتثنية و(خالدينَ) بالجمع.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النساء ١٣﴿خَـٰلِدِينَ﴾ مع أهل الجنة، وقال في الآية ١٤ ﴿خَـٰلِدًا﴾ مع أهل النار، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ في الآية ١٣ قال: ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ مع أهل الجنة بالجمع؛ لأنّ الجنة فيها نعيمان: نعيم الجنة ونعيم الصحبة، وناسب معها ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ بالجمع .

بينما قال في الآية التي تليها ﴿خَـٰلِدًا﴾ مع أصحاب النار ليجمع عليهم عذاب النار وعذاب الوحدة؛ لأنّ الوحدة عذاب حتى لو كان في الجنة، وعندما يكون وحده ليس معه أحد ولا يتكلم مع أحد، فهذا شيء ثقيل جداً.

٢ـ ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة (خالداً) مطلقاً، وإنما دائماً (خالدين) لأنه ليس هناك وحدة وانفراد، بينما في النار نجد (خالداً) بالإفراد و(خالدَيْنِ) بالتثنية، و﴿خالدينَ﴾ بالجمع.

السؤال الثالث:

في الآية ﴿وَمَن يُطِعِ﴾ و ﴿وَمَن يَعْصِ﴾ (من) هو اسم شرط، لكن هل هو للمفرد أم للجمع؟ وهل يحمل على اللفظ والمعنى ؟

الجواب:

١ـ(من) و(ما) من الأسماء الموصولة، وهما في اللفظ مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، فتقول: جاء من فاز، ومن فازت، ومن فازوا، ومن فزن، واشتريت ما باعه خالد، وما باعها.

ويجوز مراعاة لفظهما، أعني: الإفراد والتذكير كما يجوز مراعاة المعنى، لكن يجب مراعاة المعنى إنْ حصل لَبس في اللفظ، فلا تقول للأنثى: (أعط من سألك) بل (أعط من سألتك) .

والعرب على الأغلب تبدأ بذكر ما يدل على اللفظ: مفرد مذكر، ثم بما يدل على المعنى.

* شواهد قرآنية:

ـ في آية البقرة ٨ أعاد الضمير على لفظ (مَن) ، وهو الإفراد والتذكير في ﴿يَقُولُ﴾، ثم أعاده فيما بعد على معناه وهو الجمع، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ فحُمل الكلام على لفظه في الأول، ثم حمله على معناه فيما بعد .

ـ في آية الأحزاب ٣١ مع ﴿يَقْنُتْ﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على لفظ (مَن) وهو الإفراد والتذكير، ومع ﴿وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على معناه، وهو الإفراد والتأنيث .

ـ في آية الأنعام ٢٥، بدأ بالحمل على اللفظ ثم حُمل على المعنى .

ـ في آية يونس ٤٢ ، في ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس:٤٢] والمراد هنا جميع الكفار، وجمع للدلالة على كثرة المستمعين، وفي ﴿يَنظُرُ﴾ [يونس:٤٣] أفرد بعد رعاية اللفظ لقلة الناظرين .

ـ في آية النساء ١٣، جمع الوصف ﴿خَٰلِدِينَ﴾ للإشعار بالاجتماع المستلزم لزيادة الأنس والسعادة عند أهل الجنة، وكذلك جمع ﴿جَنَّٰتٍ﴾ .

ـ في آية النساء ١٤ أفرد ﴿خَٰلِدًا﴾ باعتبار اللفظ مع الجمع بالوحدة زيادة في التعذيب.

٢ـ لم يأت في القرآن لفظ (خالداً) بالإفراد مع أهل الجنة، بل دائما (خالدين) للجمع بين نعيم الجنة ونعيم الاجتماع، بينما في أهل النار جاء (خالداً) مع المفرد و(خالدين) مع الجمع .

السؤال الرابع:

في آية الجن ٢٣ قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ وفي النساء ١٤ قال: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ هل تضيف كلمة ﴿أَبَدًا﴾ لـ (خالدين) معنى جديداً من حيث الدلالة الزمنية على الأقل؟

الجواب:

١ـ لفظة (أبداً) ظرف يستعمل للمستقبل فقط، ولا يستعمل للماضي فلا يقال: ما رأيته أبداً، ولكن تقول: ما رأيته قط ، ولن أكلمه أبداً .

٢ ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم عند الحديث عن أهل الجنة أو أهل النار أو في مقام الإحسان وفي الثواب أو الشدة أو في العقاب،وهي أنه في مقام التفصيل للجزاء سواء في العقاب أو الثواب يذكر كلمة (أبداً) ، وفي مقام الإيجاز لا يذكرها.

٣ـ كلمة (أبداً) ليس لها علاقة بالخلود الدائم .

* شواهد قرآنية:

ـ في آية النساء ٥٧ : فيها تفصيل للجزاء، فذكر فيها (أبداً).

ـ في آية النساء ١٣ : ليس فيها تفصيل، فلم يذكر فيها (أبداً).

ـ في آية البينة ٦ : لم يفصل في عقاب الكافرين، فلم يذكر (أبداً).

ـ في آية البينة ٨: فصّل الجزاء مع المؤمنين، فذكر فيها (أبداً).

فالتفصيل هو زيادة في الجزاء فيتسع لقوله (أبداً) فيضيف إكراماً إلى ما هم فيه من إكرام، وكذلك العذاب .

٤ ـ وكذلك تأتي (أبداً) مع العذاب إذا كان الذنب فاضحاً بشكل كبير، أو عمل الطاعة له ثواب كبير أيضاً، أي أن كلمة (أبداً) تأتي مع الذنب المميز أو الطاعة المميزة.

٥ـ وردت كلمة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ في أهل الجنة ٨ مرات في القرآن الكريم، ووردت في أهل النار ٣ مرات، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى لأنّ رحمته سبقت غضبه .

٦ـ الخلود عند العرب تعني المكث الطويل، وليس بالضروري المكث الأبدي، وتأتي كلمة (أبدا) لتأكيد هذه المدة الطويلة .

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ مشهد ملموس ومحسوس ترسمه عبارة حدود الله، فكل منا يعرف حدّه في منزله مثلاً، فلا يجرؤ على دخول حدّ جاره ، وإنْ دخل فهو موقن أنه مخالف ومتجاوز حقّه، وقد استعمل ربنا تعالى (الحدود)؛ ليقرّب الفكرة لأذهاننا، فشرع الله حدٌّ لا ينبغي لنا أن نتجاوزه.

السؤال السادس:

قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤] تهديد المرء بالنار فيه وعيد وعذاب فإذا أضيف إليه الخلود، فهذا من أشد ألوان العذاب، فما فائدة ختم الآية بقوله تعالى ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤] ؟

الجواب:

أراد الله تبارك وتعالى أنْ يهدد الخارجين عن حدوده بألفاظ ترجف القلوب وتقع في قلوبهم موقع الخوف ليتأمل الإنسان سوء مصيره ، ولذلك ختمت الآية بوصف (العذاب المهين)؛ لأنّ من العرب من لا يخشى كلمة النار، ولكنه يأبى الضيم والإهانة، فقد يحذر الإهانة أكثر مما يحذر عذاب النار؛ ولذا قال العرب في أمثالهم: "النار ولا العار".

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل: (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم مع ذكر الموت ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣ .

السؤال الثاني:

استعمل تعالى في آيات النساء [١٥ـ٢٣] ويوسف ٥٠ لفظة (واللاتي) واستعمل لفظة (اللائي) في آيات[الأحزاب ٤ـ المجادلة ٢ـ الطلاق٤] فما الفرق بين (اللاتي واللائي) ؟

الجواب:

١ ـ (اللاتي) اسم موصول جمع (التي)، وتكون للعاقل وغيره، وهذا اللفظ شبيه بلفظ جمع المؤنث السالم الذي يكون للعاقل وغيره، مثلا: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد ، وتقول: طالبات وشجرات ، و(اللاتي) مختصة بالإناث .

٢ ـ(اللائي) هي جمع (التي) أيضاً، فتقول:عادت اللائي ذهبن، واستعمال (اللائي) قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، وقد ترد للذكور قليلاً .

٣ ـ (اللائي) كأنها مشتقة من اللأي أو من اللأواء وهي الشدة ، وفي الحديث « من **كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجاباً من النار**» و «**من صبر على لأواء المدينة**..» . واللأي هو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة .

٤ ـ لذلك نجد القرآن قد استعمل (اللائي) بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق فقط، ولم يستعملها في غيرهما، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة، وهي حالات المفارقة والشدة والاحتباس، حيث إنّ المُظاهر والمُطلِّق محتبس عن امرأته مبطىءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين ، فجمع القرآن حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة:

١ - الإمساك:

هو المنع عن التخلية والإرسال، وهو أول مرحلة من مراحل الحبس؛ لأنّ أول فعل يفعله رجال الشرطة هو أنْ يمسكوا بالمتهم، والإمساك يكون بلا جراح، أي بدون مواجهة بين المتهم والشرطة.

[فاطر ٢ـ البقرة ٢٢٥ـ النساء ١٥].

٢- الإثبات:

إذا تمت عملية الإمساك لكن مع المواجهة والجراح، أو حاول المتهم الهروب، فأطلق عليه النار فأُرهق عن الفرارفإن ذلك يُسمى إثباتاً[الأنفال ٣٠].

٣- التوقيف:

سواء كانت العملية إمساكاً أو إثباتاً بعد الإصابة بجرح يعيقه من الفرار يوضع في التوقيف. [الصافات ٢٤ـ الأنعام ٢٧].

٤- الحبس:

بعد التوقيف تأمر الشرطة بحبس المتهم على ذمة التحقيق، وهذا هو حبس مؤقت قبل صدور الحكم. [المائدة ١٠٦ـ هود ٨].

٥- السجن:

بعد أن يُحكم على المتهم بالعقوبة المناسبة فيحكم بسجنه لمدة محدودة تطول أو تقصر حسب القضية.[يوسف ٣٢ـ ٤٢].

السَّجن: - بفتح السين - هو هذه المرحلة.

السِّجن: - بكسر السين- هو المكان الذي يُنفذ فيه الحكم بالسجن.

السجين: سجن مع التعذيب مثل الأشغال الشاقة وعذاب جهنم في الآخرة.

٦- الحِجر:

الحبس هو منع المتهم من رؤية الناس، بينما الحَجرُ منع الناس من رؤية المتهم مثل الحجر الصحي [الفرقان ٢٢ـ الحجر ٨٠].

٧- الرباط:

هي محبس الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله [الأنفال ٦٠].

والحبس هو أخطر شيء على السلطة القضائية أو التنفيذية بأنْ يحبس إنسان بغير وجه حق ولو لمدة يوم ، وجاء في الحديث أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها.

وأشرف أنواع الحبس هو الأوقاف (الحُبُس) وهو ما يوقفه الناس من أموالهم وممتلكاتهم للخير في سبيل الله أو طلب العلم أو المساجد.

وأخس أنواع الحبس وأخطرها: الدّين والغنى .

ومن الأحباس الجميلة في الدنيا الحبس الاختياري، كأنْ تحبس المرأة نفسها عن الزواج بعد وفاة زوجها لتربية الأولاد .

وقد قيل: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

❋❋❋❋

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قيّد الله سبحانه وتعالى عمل السوء بجهالة فقال: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ ؟

الجواب:

(الجهالة) تطلق على سوء المعاملة، وعلى الإقدام على العمل دون رويّة، في حين أنّ (الجهل) يعني عدم العلم بالشيء، فلو عمل أحد معصية وهو غير عالم بأنها معصية فليس يأثم، وإنما يجب أنْ يتعلم ويبتعد عن المعاصي، ولذلك حصر الله تعالى السوء بالجهالة دون الجهل؛ لأنّ هذا الفعل هو الذي يجب أن يتوب الإنسان عن فعله.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ ما دلالة حرف العطف (ثم) ؟ وما الفرق بين (ثُمَّ) بضم الثاء و(ثَمَّ) بفتحها ؟

الجواب:

(ثُمَّ)حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان ، وهو المعبر عنه بالمهلة .

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك .

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أو الأحوال أو غيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي .

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني ترتباً في الذكر على الأول .

٥ـ للإيغال في التوكيد كقولك: والله ثم والله .

بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء تفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أما اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء، فيفيد البعد المكاني .

* شواهد قرآنية على المعنى الأول والثاني:

١ـ آية سورة عبس [٢١ ـ٢٢]عقّب بالفاء بعد أماته؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء بـ(ثُمّ) بعد ذلك؛ لأنّ النشور يتأخر.

٢ـ الروم ٢٠: جاء بـ(ثم)؛ لأنّ البشر المنتشر متراخٍ عن كونه تراباً وبينهما مهلة.

٣ـ الزمر ٦: فيها دليل على عدم الترتيب فإنّ خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة. وأُجيبَ: أنه في الآية أراد أنْ يذكر بدء خلق الإنسان، فذكر أنه خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وليس القصد أنه جعل منها زوجها بعد خلقهم من النفس الواحدة.

* شواهد قرآنية على المعنى الثالث والرابع:

١ـ آية هود ١: (ثم) ليس معناها التراخي، ولكن في الحال كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويكون معنى الآية: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل.

٢ـ آية هود ٣: (ثم)هنا لمجرد الارتقاء، أي: بقي على التوبة؛ لأنّ البقاء عليها أفضل.

٣ـ آية طه ٨٢: أي: (ثم) بقي على ذلك الهدى من التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ لأن البقاء عليها أفضل .

٤ ـ الأنعام ١: (ثم) هنا لتفاوت رتبة الخلق، والجهل من رتبة الكفر حيث إنّ الكفار يعدلون به إلهاً آخر لم يخلق مثل خلقه.

٥ـ البلد ١٧ : (ثم) لبيان تفاوت رتبة فك الرقبة والإطعام من رتبة الإيمان.

٦ـ النساء ١٧ : (ثم) لبيان البعد بين الحالين: عمل السوء والتوبة من قريب.

٧ـ السجدة ٢٢: (ثم) لبيان البعد بين التذكير بآيات الله واتباعها من ناحية، والإعراض عنها من ناحية.

* شواهد قرآنية على المعنى الخامس:

١ـ التكاثر: [٣ـ٤]العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب وبينهما مدة، فهي للتراخي الزمني أو داخلة في التوكيد.

٢ـ التكاثر ٧: (ثم) للتوكيد.

٣ـ الانفطار ١٧ـ١٨ : (ثم) لتبعيد المعرفة أو للإيغال في التوكيد.

٤ـ المدثر ١٨ـ٢٠: (ثم) للعطف والتوكيد.

❁❁❁❁

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل: (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

(الحضور) في اللغة يعني الوجود ، وليس معناه بالضرورة المجيء إلى الشيء، يقال: كنت حاضراً إذ كلّمه فلان بمعنى شاهد وموجود ، وهو نقيض الغياب، ويقال: كنت حاضراً مجلسهم، وكنت حاضراً في السوق، أي: كنت موجوداً فيها.

أمّا (المجيء): فهو الانتقال من مكان إلى مكان، فالحضور إذن غير المجيء، ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان، وهو دليل وجوده في كل مكان.

وفي القرآن يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨] بمعنى جاء الأمر. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠] . إذن الحضور معناه الشهود ، والمجيء معناه الانتقال من مكان إلى مكان.

السؤال الثاني:

المطلوب مقارنة بين حضور الموت في الآيات:[النساء ١٨ـ المائدة ١٠٦ـ البقرة ١٣٣ـ المؤمنون ٩٩ـ الأنعام ٦١]

الجواب:

أولاً ـ استعراض الآيات: قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٨].

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾ [المائدة:١٠٦]

ـ ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣٣]

ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٩]

ـ ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام:٦١]

ثانياً ـ البيان:

١ـ القرآن الكريم له خصوصيات في التعبير، فهو يستعمل كلمة ﴿بَرَرَةٖ﴾ [عبس:١٦] للملائكة، وكلمة ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ [الانفطار:١٣] للمؤمنين، وكلمة (حضر) و(جاء) لكل منهما خصوصية أيضاً.

٢ـ حضور الموت: يُستعمل في القرآن الكريم في الأحكام والوصايا، كما في آية سورة البقرة، وكأن الموت هو من جملة الشهود، والقرآن هنا لا يتحدث عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، بل يكون الكلام هو في الأحكام والوصايا ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة:١٨٠] (ووصية يعقوب لأبنائه بعبادة الله الواحد).

٣ـ أمّا مجيء الموت في القرآن فيستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، كما في (آية المؤمنون) ، حيث يريد هذا الذي جاءه الموت أنْ يرجع ليعمل صالحاً

في الدنيا، فالكلام إذن يتعلق بالموت نفسه وأحوال الشخص الذي يموت، وكذلك في (آية الأنعام).

٤ـ ويستعمل فعل (جاء) مع غير كلمة الموت أيضاً (كالأجل) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف:٣٤] وسكرة الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [ق:١٩] ولا يستعمل هنا (حضر الموت)؛ لأنه كما أسلفنا (حضر الموت) تستعمل للكلام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود، وأمّا (جاء) فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿أَعْتَدْنَا﴾ [النساء:١٨] وكذلك في آيات[الإنسان ٤ـ الفرقان ٣٧]، بينما استعمل الفعل ﴿وَأَعَدَّ﴾ في آيات[النساء ٩٣ـ الإنسان ٣١] فلماذا؟ أي: ما الفرق بين (أعتدنا وأعددنا) ؟

الجواب:

القرآن يستعمل ﴿أَعْتَدْنَا﴾؛ لأن (أعتد) فيها حضور وقرب ، والعتيد هو الحاضر ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق:٢٣] أي: حاضر، وقوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف:٣١] بمعنى حضّرت.

أما الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦] .

* شواهد قرآنية:

١ـ الحق سبحانه يقول في سورة النساء ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٨] فهؤلاء ماتوا فأصبح الحال حاضراً، وليس مهيئاً فقط .

٢ـ وفي سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان:٣٧] فهم أغرقوا وماتوا، فجاءت ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ [الفرقان:٣٧] .

٣ـ أما في سورة النساء فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣] فهؤلاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتا، فجاءت (أعدّ) بمعنى (هيّأ) .

٤ـ كما أنه جاء في آخر سورة الإنسان ﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٣١]؛ لأنّ الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة .

علماً بأنه لم ترد في القرآن الكريم كلمة (أعددنا) مطلقاً أي:

{أعدّ + الضمير(نا)} وإنما يستعمل (أعتدنا) وهي خصيصة من خصائص التعبير.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (الكَره) - بفتح الكاف- (والكُره)- بضمها- ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١.

السؤال الثاني:

ما دلالة النهي في الآية ﴿لَا يَحِلُّ﴾ ؟

الجواب:

لا شك أنّ وقع النهي على أذن السامع أشد من الإخبار، فقولك لولدك: لا تفعل هذا، فيه من الوعيد والأثر أشد من قولك: أمنعك من هذا.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

انظر قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ فقد ضرب الله تعالى مثلاً للمهر بالقنطار، فلِمَ قال قنطاراً ولم يسمِّه على الأصل: وآتيتم إحداهن مهراً؟ أو نِحلة؟

الجواب:

(المهر) يطلق على القليل والكثير، فلو حدّده بالمهر ثم أتبعه ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾، لربما تبادر إلى أذهاننا أنّ المهر إنْ كان كثيراً يحق لنا أن نأخذ منه نصيباً .

ولكن عندما مثّل للمهر بالقنطار وهو كثير جداً ثم نهانا عن الأخذ منه علمنا أنّ المهر مهما قل أو كثر لا يحق لنا أنْ نقتطع منه لأنفسنا.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ ؟

الجواب:

عند التأمل في كلمة ﴿مَّكَانَ﴾ والمعهود بكلمة ﴿ٱسْتِبْدَالَ﴾ أن يتبعها اسم متصل بالباء كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾ فالباء مع الذاهب، كأن تقول: اشتريت الكتاب بألف، فالذاهب هو المال.

وهنا في الآية لم يقل مثلاً: (استبدال زوج بزوج) كما في الأشياء حسبما بيناه آنفاً، أمّا في الزوجة فليس شرطاً أن تذهب زوجة وتأتي زوجة أخرى بدلاً عنها، بل يمكن أنْ يتزوج رجل زوجة أخرى وتبقى الأولى عنده، وهذا يبين دلالة كلمة (مكان) فكأنّ المكان الذي كان للأولى قد تغير وحلت به الثانية .

أي أنّ الزوجة الثانية حلت مكان الأولى، وإنْ ظلت الأولى زوجاً له أيضاً ولكنّ مكانها هو الذي تغير وبالتالي مكانتها قد تغيرت .

وهذا أمر متأصل في نفوس الناس يصعب على أي امرىء من الناس أن يدعي خلاف ذلك، وإنْ ادعى فهيهات أن تصدقه امرأة في الوجود .

❁❁❁❁

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

تأمل أسرار البلاغة القرآنية في كلام الله عز وجل، ألم يلفت نظرك هذا الاستفهام، أي في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ ؟

الجواب:

إنه استفهام خرج إلى معنى آخر، وهو التعجب من فعل ذلك الرجل الذي يريد أن يأخذ من صداق زوجه ، فهذا ليس من المروءة، ولذلك ابتدأه الله تعالى باستفهام تعجبي.

السؤال الثاني:

ما دلالة الاستفهام بـ﴿وَكَيْفَ﴾ كما هو هنا في هذه الآية ؟وكذلك الاستفهام ب (ما) أو (ماذا)؟وما أغراض الاستفهام؟

الجواب:

لفظة (كيف) هي للسؤال عن الحال، وقد تخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض أخرى منها:

١ـ التعجب: ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ [النساء:٥٠].

٢ـ التوبيخ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾ [القلم:٣٦].

٣ـ النفي: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [آل عمران:٨٦] بمعنى لا يهدي.

٤ـ التحذير: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)﴾ [آل عمران:١٣٧] .

٥ـ التنبيه: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء:٢١] .

٦ـ التهكم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)﴾ [مريم:٢٩] .

٧ـ النهي: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء:٢١] أي لا تأخذوه.

٨ـ الاستبعاد: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)﴾ [الكهف:٦٨] .

٩ ـ التعظيم والتهويل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)﴾ [آل عمران:٢٥] .

لفظة (ما):

تكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل وللسؤال عن صفة من يعقل، مثال على النوع الأول: ما عندك؟ فيجاب (كتاب). ومثال على النوع الثاني: ما محمد ؟ فيقال: (كاتب).

و(ما): لها معان أخرى إضافة إلى الاستفهام ، وأهمها:

١ـ التعظيم والتفخيم: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الحاقة:١-٢] .

٢ـ التحقير: ما أنت والشعر .

٣ـ الحث: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٥] .

٤ ـ الإنكار: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ﴾ [البقرة:١٤٢] .

٥ ـ الإلزام: ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٩١﴾ [البقرة:٩١] .

٦ـ الاستبعاد: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء:١٤٧] .

لفظة (ماذا):

تأتي على ثلاث وجوه:

١ـ (ما) استفهامية و (ذا) اسم إشارة، نحو: ما هذا ؟

٢ـ (ما) استفهامية و (ذا) اسم موصول بمعنى الذي، نحو: ما ذا فعلت ؟

٣ـ (ماذا) كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام، نحو: ماذا أكلت أفاكهة أم لحماً؟

الفرق بين: (ماذا) و (ما):

١ـ (ماذا): تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره.

٢ـ إنّ في (ماذا) قوة ومبالغة في الاستفهام ما ليس في (ما)، فقولنا: ماذا فعلت؟ فيها قوة ليست في: ما فعلت ؟

❁❁❁❁

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آية النساء قوله تعالى: ﴿فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ وقوله في آية الإسراء ٣٢ ﴿فَٰحِشَةً﴾ ، فما سبب زيادة لفظة ﴿وَمَقْتًا﴾ في آية النساء ٢٢؟

الجواب:

زاد ﴿وَمَقْتًا﴾ في آية النساء؛ وذلك أنّ متزوج امرأة أبيه فاعل رذيلة، يُمقت فاعلها وتستخسه الطباع السليمة فوصفت فعلته بالمقت، وساوت الزنى فيما وراء ذلك؛ أي: في آية الإسراء ﴿فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ وفي آية النساء ﴿فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آيتي النساء ٢٣ـ٢٤ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ كما في آيتي النور ٢٩ـ٦١؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٣ .

السؤال الثاني:

في الآية السابقة رقم ٢٢ التي حرّم الله تعالى بها نكاح زوجات الأب عبّر عن التحريم بالنهي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَۚ﴾ فلِمَ عدل عنه إلى الماضي، فقال في الآية ٢٣ ﴿حُرِّمَتۡ﴾ ولم يقل: ولا تنكحوا أمهاتكم؟

الجواب:

إنّ أسلوب النهي كقولك لابنك: لا تلعب الكرة، فيه إيحاء بأنه كان يلعب بالماضي، ولذلك نهيته عن المستقبل، بخلاف قولك: نُهينا عن لعب النرد، فهذا يدل على تحريمه سابقاً ولاحقاً، ولذلك عبّر عن نكاح زوجات الأب بالنهي؛ لأن هذا الفعل كان شائعاً عند العرب ثم حرّمه الإسلام.

أمّا نكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات، فهذا لم يكن لدى العرب قبل الإسلام، ولذلك عبّر عنه بقوله ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ ليبين لنا أنّ هذا التحريم أمر مقرر سابقاً وأتى القرآن ليثبته، وهذا ما عبّر عنه ابن عباس بقوله: كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الإسلام إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين ، ولذلك عبّر عنه بالمضارع ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾.

﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (السفاح) و(البغاء) و(الزنا)؟

الجواب:

استعراض الآيات:

ـ السفاح في قوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾ [النساء:٢٤].

ـ البغاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور:٣٣] .

ـ الزنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢] .

البيان:

١ـ الزنا: هو الوطء من غير عقد شرعي ، ويوصف به الرجل والمرأة .﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور:٢] .

٢ـ البغاء: هو الفجور، وبغى في الأرض، أي: فجر فيها، أي: تجاوز الحد إلى ما ليس له، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦] .

والبغاء هو استمراء الزنا ويسمى فجوراً.

والبغاء للمرأة ولا يوصف به الرجل؛ لأنها فجرت وتجاوزت ما ليس لها، لذلك يُقال للمرأة (بغي) ، ولا يقال للرجل بغي؛ لأنها تجاوزت حدها عندما فعلت تلك الفعلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم:٢٨] .

٣ـ المسافحة: أنْ تقيم المرأة مع الرجل على الفجور فتعيش معه في الحرام من غير تزويج صحيح ، ويمكن أنْ يوصف الرجل بالمسافح كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾ [النساء:٢٤].

والمسافحة هي التي تؤاجر نفسها مع أي رجل أرادها، والتي تتخذ الخدن فهو خدن معين، وكان أهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية .

٤ـ قوله تعالى في آية النساء ٢٤ ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أي: متعففين عن الزنا، وقوله ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾ أي: غير زانين، وهو تكرير للتأكيد .

٥ـ مفعول ﴿تَبْتَغُوا﴾ هو قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ، فحذف ذكره لدلالة ما قبله عليه، والله أعلم.

٦ـ كل ما ذُكر فيه زنا، والزنا أقلهم ، فإذا استمرأت المرأة الزنا صار فجوراً، وإذا أقامت مع الرجل بغير عقد شرعي يقال: سفاح .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ في هذه الآية جاءت ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ بالفتح أي: التي أُحصِنت من زوجها، ولم تُقرأ بالكسر (المحصِنات) فما السبب ؟

الجواب:

المحصَنة: بفتح الصاد هي المرأة المتزوجة، وسميت محصَنة منْ أحصنها الرجل إذا حفظها واستقل بها عن غيره، ويقال: ﴿محصِنة﴾ بكسر الصاد إذا أحصنت نفسها بالعفاف.

وهذه الآية معطوفة على الآية التي قبلها ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣] أي وحُرِّمت المحصَنات المتزوجات، ولذلك قُرئت الفتح فقط، والمعنى أنّ اللواتي حُرم التزوج بهن هن المتزوجات، أمّا (المحصِنات) أي: العفيفات فليس الزواج بهن محرّماً بل يُندر أن تبحث عنهن.

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥) ﴾

السؤال الأول:

ورد في الآية ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ و ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ (إذا) في كلام العرب تستعمل:

آـ للمقطوع بحصوله كما في الآية: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] ولا بدّ أنْ يحضر الموت، ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولا بدّ للأشهر الحرم من أنْ تنسلخ، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف:١٧] ولا بدّ للشمس من أنْ تطلع وكقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٠٣] ولا بدّ للصلاة أنْ تنقضي.

ب ـ وللكثير الحصول كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] .

٢ـ ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(إن) للأقلّ، كما في آية الوضوء في سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة:٦] القيام إلى الصلاة كثير الحصول فجاء بـ (إذا)، أمّا كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ؛ لذا جاء بـ (إن).

وكذلك في سورة النساء ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء:٢٥] (إذا) جاءت مع ﴿أُحْصِنَّ﴾ [النساء:٢٥] وهذا الأكثر، أمّا (إنْ) فجاءت مع اللواتي يأتين بفاحشة وهو قطعاً أقل من المحصنات.

وكذلك في سورة الرعد ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد:٥] .

وفي سورة الليل ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ التردّي حاصل، والتردي إمّا أن يكون من الموت أو الهلاك، أو تردى في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عندها؟ وهذه ليست افتراضاً وإنما حصولها مؤكد وهي أمر حاصل في كل لحظة، ولهذا السبب جاء بلفظ (إذا) بدل (إن)؛ لأنّ (إذا) مؤكد حصولها، و(إنْ) مشكوك فيها أو محتمل حدوثها، وهذه إهابة بالشخص ألا يبخل أو يطغى أو يكذب بالحسنى،إذن لا مفر منه. فلماذا يبخل ويعسر على الآخرين ويطغى ويكذب بالحسنى؟

٣ـ وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم ٣٦٢ مرة لم تأت مرة واحدة في موضع غير محتمل البتّة، فهي تأتي إمّا بأمر مجزوم وقوعه أو كثير الحصول، كما جاء في آيات وصف أهوال يوم القيامة؛ لأنه مقطوع بحصوله كما في سورة التكوير وسورة الانفطار.

٤ـ أما (إنْ) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص:٧١] هنا احتمال وافتراض، و ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور:٤٤] لم يقع ولكنه احتمال، و﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] الأصل أنْ لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣] افتراض واحتمال وقوعه.

السؤال الثاني:

قال في آية النساء ٢٥ ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ وفي آية المائدة ٥ ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ آية النساء في نكاح الإماء ، وكان كثير منهن مسافحات، فناسب جمع المؤنث بالإحصان .

٢ـ آية المائدة: فيمن يحل للرجال من النساء ، فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما .

السؤال الثالث:

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ بدون توكيد، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ يستعمل القرآن حروف التوكيد بهدف التوكيد وفي المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر .

٢ـ وهنا في آية النساء ٢٥ كما في آية آل عمران ١٢٩ وآية المائدة ٧٤ لم يؤكد المغفرة؛ لأنّ السياق في آية النساء في إقامة الحد على من يأتي بالفاحشة، ولا يناسب ذلك توكيد المغفرة .

للمزيد انظر الجواب في آية آل عمران ١٢٩ـ والبقرة ـ١٨٢ـ و ـ١٩٩ .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ فما الفرق بينهما؟

الجواب:

١ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم وإلا يقدم الحكمة، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة .

٢ـ حتى تتضح المسألة ننظر في الآيات التالية في تقديم العلم:

ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم فقدّم العلم .

ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين، معناه هذا علم .فقدّم العلم .

ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فيها علم، فقدّم (عليم).

ـ قال في المنافقين: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية . فقدّم (عليم).

ـ ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدم العليم.

٣ـ نأتي للجزاء، الجزاء حكمة وحكم يعني من الذي يجازي ويعاقب؟ بالطبع هو الحاكم، وتقدير الجزاء هو من الحكمة . قال تعالى:

ـ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، هذا حاكم يحكم ويقدّر الجزاء، فقدم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، فليس كل عالم حاكماً.

ـ ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم ، فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع، لذلك عندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.

٤ـ قوله تعالى ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] ورد في القرآن الكريم (١٥) مرة، بينما ورد قوله تعالى ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام:١٣٩] خمس مرات فقط .

السؤال الثاني:

ما دلالة ترتيب الآية بأن قدّم البيان ثم الهداية ثم التوبة ؟

الجواب:

ترتيب الآية هو الترتيب الطبيعي فقدّم البيان على الهداية؛ لأنّ الهداية تكون بعد البيان وإلا فإلى أي شيء يهديه ؟

وأمّا التوبة فهي بعد البيان والهداية ، وتكون بعد التقصير في الاتباع وارتكاب الذنوب والمعاصي.

السؤال الثالث:

لِمَ لم يقدم لفظ الجلالة في الآية ٢٦ فيقول مثلاً: الله يريد، بدل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

إنّ هذا الموطن لا يقتضي التقديم؛ لأنه لم يذكر أنّ جهة أخرى تريد غير ذلك ، وإنما هو إخبار عن الله سبحانه بهذا الأمر، بخلاف الآية التي تليها فإنه ذكر جهة أخرى تريد غير ما يريده الله للمؤمنين، ولذلك لا يناسب التقديم في الآية ٢٦ ، والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم لفظ الجلالة في الآية فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذا التقديم مقابل ما يريده الذين يتبعون الشهوات .

٢ـ هذا التقديم يفيد الحصر، فإنّ التوبة مختصة بالله حصراً .

٣ـ هذا التقديم يفيد الاهتمام والتوكيد والمبالغة في إرادة التوبة من الله سبحانه، لأنّ التوبة أهم شيء إلى العبد ، فإنه إذا لم يتب الله على العبد هلك، ولذلك كرّر إرادة التوبة قال تعالى:

آ ـ ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٦] .

ب ـ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧] .

ج ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨] ، والتوبة من الله تخفيف عن العبد.

د ـ ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨] والضعيف حاجته واضحة إلى التخفيف والتوبة من التخفيف.

هـ ـ مقابل قول إرادة الفجار: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل كما هو مظنون مثلاً: (والله يريد أن تستقيموا) ، حيث إنّ الاستقامة مقابل الميل ، ولكنه لم يقل ذلك بل ذكر ما هو أخف، ولا شك أنّ ذكر هذه الإرادة رحمة وتخفيف، فالإنسان ضعيف وخطّاء ويحتاج إلى التخفيف والتوبة من التخفيف.

وـ السياق قبل هذه الآيات في ذكر التوبة، انظر الآيات:[١٦ـ١٨].

ويتضح من ذلك أنّ السياق هو في التوبة، واقتضى ذلك أيضاً الاهتمام والمبالغة في إرادة التوبة، واقتضى أيضاً تقديم لفظ الجلالة من كل وجه.

السؤال الثاني:

لقد اتضح سبب تقديم لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فلِمَ لم يقدم الذين يتبعون الشهوات في تتمة الآية ٢٧ فيقول مثلاً: (والذين يتبعون الشهوات يريدون أن تميلوا) حتى يكون التعبيران على نسق واحد ؟

الجواب:

إنّ الذين يتبعون الشهوات ليسوا وحدهم الذين يريدون للمسلمين أن يميلوا ميلاً عظيماً، بل هناك غيرهم من يريد ذلك من المنافقين والمشركين وأهل الكتاب قال تعالى:

- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

- ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩].

- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢].

لذلك ذكر الله أنّ الذين يتبعون الشهوات يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً، ولم يقصر ذلك عليهم فلا يُناسب التقديم.

السؤال الثالث:

في الآية السابقة ٢٦ قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ وفي هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فما الفرق بين الصيغتين (لام التعليل) والمصدر المؤول (أن يتوب)؟

الجواب:

١ـ (لام التعليل) تدخل على الفعل المضارع وغيره لبيان العلة والغاية، كما تفيد التوكيد نحو: جئت لطلب العلم .

٢ـ (أنْ) حرف مصدري يدخل على الفعل الماضي والأمر، كما يدخل على الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار فينتصب بعده ويصرفه إلى الاستقبال على الغالب ، و(أنْ) والفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر إلا أنه لا يقع في الحال ، لكن لما يستقبل .

٣ـ عادة تقع (أنْ) بعد لفظ دالٍّ على معنى غير اليقين، نحو: أرجو، أخاف، أخشى، أطمع ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء:٨٢] .

أمّا الداخلة بعد أفعال اليقين وما في حكمها فهي (أنْ) المخففة من الثقيلة نحو (علمت أنْ لا يقدمُ) برفع يقدم ولا يصح نصبه .

٤ـ قد تكون(أنْ) للتعليل نظير قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢] ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء:١٧٦] ﴿وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل:١٥] بتقدير محذوف نحو: كراهة أو مخافة أو لئلا أو بتقدير لام التعليل .

٥ـ لذلك(اللام وأنْ) كلاهما يفيد التعليل، لكن (اللام) لبيان العلة، و(أنْ) وما بعدها يفيد الدلالة على الزمن .

٦ـ المصدر هو الحدث المجرد، ويستعمل أحياناً استعمال الفعل فيكون له فاعل ومفعول به .

٧ـ المصدر المؤول يفيد الدلالة على الزمن، بخلاف المصدر الصريح نحو: صبرك خير لك، احتمل الماضي والحال والمستقبل .

٨ـ التعليل بـ(أنْ) وحدها يختلف عن التعليل بـ(اللام) وحدها، فقولك:

آ ـ أتقتله أنْ يعبد الله ؟ يفيد أنه يعبد الله وأنه يقتله بسبب عبادته له، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨] .

ب ـ أتقتله ليعبد الله ؟ يفيد أن يقتله حتى يعبد الله.

ج ـ أتقتله لأنْ يعبد الله يحتمل المعنيين:

ـ المعنى الأول: أنه يعبده وأنه يقتله بسبب عبادته له .

ـ المعنى الثاني: أنه لا يعبده وأنه يقتله لأجل أن يعبده .

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بإنزاله القرآن العظيم وإرساله الرسول الكريم ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ عما كنتم عليه في الجاهلية من ضلال، وهذا متعلق في الحال والاستقبال .

❋❋❋❋

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا عدّى فعل الإرادة (يريد) في الآية ٢٦ وعدّاه بنفسه في الآيتين ٢٧ و ٢٨ ؟

الجواب:

١ـ التعدية بـ (اللام) بعد فعل الإرادة بقوله تعالى ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ تفيد التوكيد وتفيد التعليل أيضاً، أي: إرادته لهذا الغرض. وكلا الأمرين: التوكيد والتعليل، يدل على المبالغة والقوة، وهو آكد من التعدية بنفسه، فالتعبير: (يريد الله ليتوب عليكم) آكد من التعبير (يريد الله أن يتوب عليكم).

٢ـ وقد ذكر الله سبحانه الأمرين، فقال في الآية الأولى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وهي معطوفة على إرادة اللام، أي: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ..... وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وفي الآية الثانية فإنّ مصدر(أنْ يتوب) مفعول به للفعل ﴿يُرِيدُ﴾ فتكون إرادة الله للتوبة مطلوبة مؤكدة على كل حال.

٣ـ لمّا ذكرت الآية ٢٦ أموراً في غاية الأهمية، منها البيان لما يريده الله من خلقه وهداية الخلق ومنها التوبة جاء بفعل الإرادة معدّى بـ(اللام).

ولمّا كانت الآية التي تليها مندرجة في مطلوب الآية السابقة وهي إرادة التوبة وليس فيها ما في الآية التي قبلها لم تحتج إلى اللام.

٤ـ فعل (أراد ويريد) إذا جاء باللام (لام التعليل المضمرة) بعدها نحو: ليتوب، ليعفو، ليضلوا، فمعناها: اتخذوا الأسباب وطبقوا ما وعدوا به وما هددوا به.

السؤال الثاني:

ما معنى (الضعف) في القرآن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة الضعف ضد القوة، إمّا القوة المادية أو القوة المعنوية. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

٢ـ هنا الضعف هو الضعف النفسي ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨] أي ضعيفاً أمام الشهوات، لذلك جاء في الحديث «**حُفّت النار بالشهوات وحُفّت الجنة بالمكاره**» وطبيعة الإنسان في فطرته هذا الضعف، والآية هي تأكيد من الله تعالى لخلق الإنسان أنه ضعيف أمام الشهوات، لذلك ينبغي أنْ يحتاط ويقوي نفسه أمام شهوات الدنيا.

وحياة الإنسان في الأصل مبنية على الضعف، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤] فالضعف الأول للإنسان بدأ من ذاك الحيوان المنوي، ثم قوي الإنسان تدريجياً ثم يعود مرة أخرى ضعيفاً.

٣ـ (الضعف) فيه لغتان: بفتح الضاد (الضَّعف) وبالضم (الضُّعف)، وهما لغتان عربيتان فصيحتان.

وفي آية الروم ٥٤ المذكورة آنفاً جاءت فيها كلمة الضعف ثلاث مرات وفيها قراءتان، والذي قرأ (ضَعف) حفص في أحد وجهيه، وعنده وجه آخر (ضُعف) وشُعبةُ يقرأ (ضَعفٍ)، وحمزة من الكوفيين يقرأ (ضَعفٍ)، والباقون يقرأونها (ضُعف) بالضمّ، ونحن نقرأ بـ(الفتح) أحد وجهي حفص عن عاصم وهي لغة فصيحة لكثير من قبائل العرب ، أقرأهم إياها رسول الله ﷺ وأقرّهم عليها بأمر من ربه.

والقراءتان: ضَعف و ضُعف صحيحتان، وتصح الصلاة بهما، وكلتاهما لهجتان عربيتان فصيحتان نزل بهما جبريل عليه السلام على صدر رسول الله ﷺ حتى لا يعترض أحدٌ على أحد.

٤ـ أما (الضِّعف) بالكسر فيعني المكرر، ضِعف كذا يعني مرة أخرى بقدره وليس مرتين كما هو الشائع، تقول: هذا ضِعف هذا، أي: بقدره، فإذا أردت بقدر مرتين، تقول: ضِعفَين.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ لفظ الجلالة (معرفة)، فما أقسام المعرفة؟

الجواب:

المعرفة هو ما وضع لشيء معين، والمعارف هي:

١ـ أعرف المعارف هو الله؛ لأنّ الكون كله وما فيه من المخلوقات يعرفونه.

٢ـ الضمير.

٣ـ العلم.

٤ـ المعرف بأل.

٥ـ اسم الإشارة.

٦ـ اسم الموصول.

٧ـ المضاف إلى معرفة.

٨ـ المعرف بالنداء.

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ تأمل هذا التعبير والتصوير الإلهي في سلب أموال الناس بعضهم بعضاً، فقد جعل الله تعالى المال كالطعام يلتهمه الظالم ليبين لنا شدة حرصهم على أخذه دون ترك شيء منه ودون إرجاعه إلى أربابه، ألا ترى أنّ

الطعام قبل أنْ يأكله المرء يمكن أن يُعيده إلى أهله، وإذا ما أكله فقد قرر عدم الإذعان وإرجاعه وكذلكم آكِل المال.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الإنسان لا يحتاج إلى النهي عن قتل نفسه حتى يحفظها، فلِمَ جاء النهي عن قتل الإنسان نفسه؟

الجواب:

انظر إلى هذا البيان الإلهي، فالله تعالى يريد منا أنْ نصون أرواح الناس وأن لا نعتدي عليها، فعبّر عن ذلك بالكفّ والنهي عن قتل المرء نفسه؛ لأنّ المؤمنين جسد واحد وروح واحدة، فمن قتل أخاه فقد قتل نفسه، وذلك لأمرين: الأول بتفكيك المجتمع وخلق العداوة بين أفراده، والثاني أنه حكم على نفسه بالقتل قصاصاً.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ما دلالة حرف الاستقبال (سوف) ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠ .

❊❊❊❊

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ما الكبائر المذكورة في كتاب الله تعالى ؟

الجواب:

سأل عمرو بن عبيد وهو عالم من علماء البصرة وزاهد من زهادها، سأل الإمام جعفر الصادق فقال: أحب أنْ أعرف الكبائر من كتاب الله، فقال الإمام جعفر الصادق:

١ـ الشرك بالله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨] .

٢ـ اليأس من رحمة الله، فإنّ الحق قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

٣ـ من أمن مكر الله؛ لأنه سبحانه قال: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩] .

٤ـ عقوق الوالدين؛ لأنّ الله وصف صاحبها بأنه جبار شقي ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم:٣٢].

٥ـ قتل النفس، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣] .

٦ـ قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ [النور:٢٣] .

٧ـ أكل الربا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة:٢٧٥].

٨ـ الفرار يوم الزحف، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٦] .

٩ـ أكل مال اليتيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء:١٠].

١٠ ـ الزنا: قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩].

١١ـ كتمان الشهادة: قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ ﴾ [البقرة:٢٨٣].

١٢ـ اليمين الغموس: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧٧] .

١٣ ـ الغلول ، أي: يخون في الغنيمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [آل عمران:١٦١] .

١٤ـ شرب الخمر: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة:٩٠].

١٥ـ ترك الصلاة ، قال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المدثر:٤٢-٤٣].

١٦ـ نقض العهد، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٧] .

١٧ـ ومن الكبائر أيضاً:

ـ شهادة الزور.

ـ السحر.

ـ قطيعة الرحم.

السؤال الثاني:

كيف قال الله في آية الكهف ٤٩ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ مع أنه أخبر أنّ الصغائر تُكفر باجتناب الكبائر في آية النساء ٣١ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ ؟

الجواب:

١ ـ آية الكهف ٤٩ هي في حق الكافرين بدليل قوله تعالى فيها ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وكل مجرم في القرآن يراد به الكافر.

٢ـ أما آية النساء ٣١ فالمراد بها المؤمنون؛ لأنّ اجتناب الكبائر لا يكون متحققاً مع وجود الكفر.

❃❃❃❃

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية أتى النهي عن طلب حصول نصيب الآخرين بالتمني ولم يأت بالنهي عن الرغبة أو السؤال، حيث قال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢] ولم يقل: (وتمنوا من الله فضله) فما سرُّ هذا الاستعمال؟

الجواب:

إنّ التمني هو طلب الحصول على شيء أقرب ما يكون من المستحيل، لذلك عبّر الله تعالى عن تطلّع النفوس إلى ما ليس لها بالتمني؛ لأنّ ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، ومن ثمّ ما كان لغيرك فلا يكون لك، وأمّا الطلب من الله تعالى فعبّر عنه بالسؤال؛ لأنّ ذلك مما يمنّ الله تعالى به على عباده السائلين.

❁❁❁❁

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى البيان الإلهي وهذا التمثيل الرباني لحالة الرجل الذي وُكِل إليه الكسب والحفظ والدفاع عن زوجه، فقد شبه اهتمامه بحالة القائم؛ لأنّ شأن القائم الذي يهتم بالأمر ويعتني به أنْ يقف ليدير أمره.

السؤال الثاني:

ورد في هذه الآية وفي غيرها كذلك كثير من أحرف الجر مثل: [على ـ الباء ـ الواو ـ الفاء]، فلماذا سميت حروف جر؟ وما تلك الحروف؟ وما أهم معانيها؟

الجواب:

١ـ سميت حروف الجر؛ لأنّ الأسماء بعدها تأتي مجرورة، ومعنى الجر هو جر الفك الأسفل إلى أسفل، وتسمى الحركة كسرة.

٢ـ بشكل عام فإنّ الأصل في حروف الجر ألاّ ينوب بعضها عن بعض لأنّ لكل حرف معناه واستعماله، ولكنْ قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف فتتعاور الحروف على هذا المعنى، وقد تقترب المعاني من بعضها أو يتوسع في استعمال المعنى فيكون الغرض فيه إعطاء مجموع المعنيين، وهذا يسمى (التضمين) وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنى الفعلين كما في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ﴾ [الأنبياء:٧٧] فالنصر هنا له جانبان: جانب الناجي وجانب الذين نُجّي منهم، كأنّ المعنى أنّ الله نجاه وعاقب أولئك.

وحروف الجر قسمان: أصلية وزائدة.

معاني حروف الجر:

١ ـ الحرف (إلى):

هي في الأصل لانتهاء الغاية ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل:٣٣] وللمعية ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [الصف:١٤].

٢ـ حرف الباء:

المعنى الرئيس للباء هو الإلصاق والمصاحبة والظرفية والعوض ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [البقرة:٨٦] وتكون الباء مع الذاهب والقسم والتعليل.

٣ـ حرف التاء:

وهو مختص بلفظ الله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧] والقسم يفيد التوكيد.

٤ـ الحرف (حتى):

حرف غاية وجر .

٥ـ الحرف (ربّ):

وهو في الغالب يفيد التكثير ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ [الحِجر:٢].

وقد تحذف بعد(الواو والفاء وبل) ، وحذفها بعد الواو أكثر.

٦ـ الحرف (على):

هو للاستعلاء حقيقياً أو مجازياً، وهو من العلو[النساء ٣٤] ، وللمجاوزة وللتعليل، وللظرفية .

٧ـ الحرف (عن):

للمجاوزة: [الأعراف ١٥٧] وللبدل: [البقرة ٤٨] والاستعلاء: [محمد ٣٨] وللتعليل: [هود ٥٣] وللظرفية: [المؤمنون ٤٠].

٨ ـ الحرف (في):

وتفيد الظرفية الزمانية والمكانية ، وبمعنى (مع) نحو ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ [الأعراف:٣٨]، وبمعنى (إلى) [إبراهيم ٩]، وبمعنى (على) [طه ٧١] وللتعليل: [النور ١٤].

٩ ـ حرف (الكاف):

وهو يفيد التشبيه والتعليل والاستعلاء، وزائداً نحو ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١] .

١٠ ـ حرف (اللام):

وهو للاختصاص بالمِلكية [البقرة ٢٨٤] وشبه المِلكية: الغلاف للكتاب، والتمليك: وهبت لك مالاً، وشبه التمليك ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥﴾ [مريم:٥] وللتبليغ: قلت له، وللتعليل: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩] ، وللموافقة أو الاختصاص ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة:٥] ، وللصيرورة، وتسمى لام العاقبة:[القصص ٨] ، وزائدة.

١١ ـ حرف (من):

وتأتي للابتداء: [الإسراء ١]، وللتبعيض، ولبيان الجنس، وللتعليل وللمجاوزة بمعنى عن، ومرادفة للباء ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾ [الشورى:٤٥] وللموافقة ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر:٢٩] وزائدة، وللاستغراق.

١٢ ـ الحرفان (منذ ومذ):

لابتداء الغاية، بمعنى (من) إذا كان الزمان ماضياً نحو: ما رأيته منذ يوم الخميس.

وبمعنى (في) إذا كان الزمان حاضراً نحو: ما رأيته منذ يومنا .

١٣ ـ حرف (الواو):

ونعني بها هنا واو القسم، وهي حرف جر يدخل على الأسماء الظاهرة ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين:١]، ولا يدخل على الضمير.

أحرف المعاني المشتركة:

التعليل: [اللام ـ من ـ الباء ـ في ـ غيرها].

الظرفية: [في ـ على ـ غيرها].

❁❁❁❁

﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾

السؤال الأول:

ما دلالة (الشرك) المذكور في الآية في قوله تعالى ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ ؟

الجواب:

لفظة ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية فيها دلالتان:

آ- إما شيئاً من الشرك؛ لأنّ الشرك درجات، فهناك شرك أصغر و هناك شرك أكبر.

ب- أو شيئاً من الأشياء ، سواء كان أحداً من الناس أو الأصنام أو غيره.

إذن ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فيها دلالتان: لا تشركوا به شيئاً من الشرك، بأنْ تستعين بغير الله، ولا شيئاً من الأشياء، فالشرك درجات كما أنّ الإيمان درجات.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ ووضع الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله تعالى مباشرة، وكأنها منزلة تالية بعد العبادة ؟

الجواب:

١- هذه فيها إشارة إلى عظيم منزلة الأبوين عند الله، وهذا الاقتران المميز يعني جعل الله عز وجل الإحسان إلى الوالدين بعد عبادته مباشرة، وما قضى بهذا إلا رب العالمين ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ .

٢- ومن كرمه رب العالمين لم يقل: (حسناً) قال: إحساناً، وهذا تقوم به بسهولة، أمّا الحُسن هذا درجة عالية لمن يسّره الله له، ولهذا في الفقه الإسلامي لا يجوز أنْ تعطي أباك زكاة؛ لأنه لم يقل في آية مصارف الصدقات: للأبوين ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ﴾ [التوبة:٦٠] وفي الحديث: «**أنت ومالك لأبيك**».

٣ـ ولهذا النبي ﷺ لمّا قيل له: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها قالوا: ثم أيّ؟ قال: بر الوالدين**» والبر مجرد بر الوالدين يعني العمل الثاني بعد الصلاة؛ لأنّ الصلاة ليس لها بديل ، وإذا كان البر هكذا فما بالك بالحُسن؟!.

٤ـ والحُسن لا يعمله إلا القليل؛ لأن هذا يحتاج إلى ثقافة، وإلى معرفة بالله عز وجل، وإلى أن يُعلَّم هذا الإنسان ما معنى أن تكون مع أبيك حسناً؟

أمّا (البر) فما دمت إنساناً فأنت بك غريزة وميل طبيعي إلى أن تبر أبويك، ولهذا الله قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [العنكبوت:٨] لمجرد كونك إنساناً بعد أنْ أخرجك الله من المملكة الحيوانية وأطلق يديك من الأرض فسوّاك فخلقك فعدلك فأطلق يديك، وحينئذٍ جعل من عناصر هذه الأنسنة أنْ تكون باراً بوالديك تميل إليهما، وتنتسب إليهما، لهما حظوة واحترامٌ عليك وإلى كل المنظومة التي هي حسنٌ أو إحسانٌ أو برٌّ، ولكلٍ شرحها الذي يطول.

٥ـ والإحسان إلى الوالدين قضية خطيرة، فهما جنتك ونارك، وهما أقصر طريق إلى الجنة، وأقصر طريق إلى النار، ومن الأحاديث العجيبة يقول النبي ﷺ: «**أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين**» «**ثلاثة حرّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاقّ لوالديه، والديوث**» .

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] و ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٨٣ .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ألا ترى في الفعل (أحسن) ومصدره (الإحسان) أن يتعدّى بحرف الجر (إلى) فنقول: أحسن إلى فلان، فلِمَ عبّر هنا بـ(الباء) في قوله ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ؟

الجواب:

الإحسان إذا عُدّي بالباء كان متعلقاً بمعاملة الذات، أي: ذات الأبوين روحاً وجسداً وتوقيرهما واحترامهما والنزول عند رغبتهما وامتثال أمرهما، وكأنه يقول: بِرّ بوالديك، وهذا ما نوّهت له الآية ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أمّا تعديته بـ (إلى) فذاك يكون عند قصد إيصال النفع المالي، ولذلك قال تعالى لقارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧] .

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ إذا عرفت أنّ السبيل هو الطريق، فكيف أُطلق على المسافر البعيد عن منزله ابن السبيل؟

الجواب:

سمي المسافر البعيد عن منزله الذي ضاقت به السبل ابن السبيل؛ لأنه لازم الطريق سائراً مسافراً فنُسب إليه ، وإذا ما دخل قبيلة عرفوه أنه ابن السبيل، لأن الطريق رمى به إليهم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وفي آية أخرى قال: ﴿بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] فما الفرق بين حُسناً وإحساناً ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.

السؤال السابع:

ما علاقة بداية الآية بخاتمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ ؟ وما فائدة العدول عن قول (لا يبغض) إلى قوله ﴿لَا يُحِبُّ﴾، مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض؟

الجواب:

١ـ (البغض) صفة مكروهة للنفوس؛ فلم يحسن نسبته إلى الله لفظاً، وحال العبد مع الله إما في طاعة أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تعين ضدها، فعبّر بما هو أحسن لفظاً.

٢ـ قوله تعالى في آية النساء ٣٦ ﴿لَا يُحِبُّ﴾ جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما وعدم الاختيال، فناسب ختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦]

السؤال الثامن:

استعمل القرآن في سياق الدعاء والبر للوالدين لفظة (الوالدين) ، دون لفظة (الأبوين)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.

❋❋❋❋

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يُنفِقُونَ﴾ بالصيغة الفعلية ؟

الجواب:

١ ـ استعمل القرآن الفعل (أنفق) و(ينفق) بصيغه المختلفة حوالي ٧٠ مرة جميعها بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الإنفاق أمر يتكرر ويتجدد ويحدث باستمرار، ولأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث .

٢ ـ لم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة في آل عمران ١٧ ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ ،وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ٤٠ ﴿وَإِن تَكُ﴾ بحذف النون، بينما لم يحذفها في الآية ٩٧ في نفس السورة، حيث قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

١ ـ آية النساء ٤٠ ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ حُذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرةً حقيرةً في الاعتبار فإنّ إليه مضاعفتها .

٢ ـ آية النساء ٩٧ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ هذا قد تم تكوينه وانتهى فلا داعي لحذف النون .

❋❋❋❋

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

المطلوب مقارنة بين الآيات: [البقرة ١٤٣ـ النساء ٤١ـ المائدة ١٠٩]حول معنى (الشهادة) في الآيات الثلاث ؟

الجواب:

من قراءة الآيات الثلاث: [البقرة ١٤٣ـ النساء ٤١ـ المائدة ١٠٩] يتضح أنّ الأنبياء أولى منا بالشهادة ، فما المعنى والحكمة ؟

١ـ في آية المائدة ١٠٩، معناه: لا نعلم حقيقة جوابهم باطناً وظاهراً، بل أنت المتفرد بعلم ذلك إلا ما علمتنا؛ ولذلك قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ والمعنى أننا نعلم ظاهر جوابهم، أما باطنه فأنت أعلم به .

ومعناه أيضاً أنّ جوابهم لما كان في حال حياتنا، ولا علم لنا بما كان بعد موتنا؛ لأنّ الأمور بخواتيمها .

٢ـ آية النساء ٤١ : بيّن الله أنّ مجازاة المحسن على إحسانه يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ؛ لتكون الحجة على المسيء أبلغ والتبكيت له أعظم ، ويكون سرور المطيع أكبر وأعظم .

وذكر السدي أنّ أمة محمد عليه السلام يشهدون للرسل بالبلاغ ، والرسول عليه السلام يشهد لأمته بالتصديق .

٣ـ آية البقرة ١٤٣ : روي أنّ الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء ، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلّغوا ، وهو أعلم ، فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم: من أين عرفتم ؟ فيقولون: علمنا ذلك من إخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه السلام ، فيُسأل عن أمته فيزكّيهم ويشهد بعدالتهم. والله أعلم .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ ما دلالة هذه الصورة نفسياً ؟

الجواب:

انظر إلى هذه الصورة التي تشخِّص لك هيئة نفوس الكافرين التي امتلأت خزياً قاتلاً وخجلاً مميتاً في موقف المواجهة ، حين يُستدعى الشهود فهي لا تتمنى الموت بل تذهب إلى أشد منه، تتمنى لو تضاءلت الأجساد حتى تصير على سوية الأرض، لا شك أنّ هذا التصوير فيه رصد لعمق المعاناة النفسية والشعورية ورصد لبواطن النفس وخلجات الحِسّ أكثر من التعبير المباشر عن الشعور بالخزي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ ، والصلاة ليست مكاناً يُقصد حتى يؤمر الإنسان أن لا يقربه ، فلِمَ عبّر عن عدم جواز الصلاة للسكران بقوله ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولم يقل: لا تصلّوا؟

الجواب:

اختير هذا الفعل دون (أن تصلّوا) ونحوه؛ للإشارة إلى أنّ تلك حالة منافية للصلاة، وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في الإسلام، وهو الصلاة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النساء ٤٣: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ ، وقال في آية المائدة ٦: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ بزيادة ﴿مِّنۡهُۚ﴾ فما السبب ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام حيث كان السياق مجملاً أجمل في الذكر، وحيث كان مفصلاً مبيناً زاد وبيّن .

٢ـ زاد ﴿مِّنۡهُۚ ﴾ في آية المائدة ؛ وذلك أنّ آية المائدة فيها تفصيل لأحكام الوضوء كاملةً ، بخلاف آية النساء التي لم تذكر أحكام الوضوء تفصيلاً .

فلمّا فصّل وبيّن في آية المائدة وزاد في ذكر أحكامها زاد الجار والمجرور ﴿مِّنۡهُۚ ﴾ للزيادة في التبيين .

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿جُنُبًا﴾ في الآية ؟

الجواب:

﴿الجُنُب﴾ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب .

وأصل الجنابة: البعد، وقيل للذي يجب عليه الغسل (جنب)؛ لأنه يجتنب الصلاة والمسجد وقراءة القرآن حتى يتطهر.

السؤال الرابع:

لماذا قال في آية النساء ٤٣ : ﴿تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ وفي آية المائدة ٦ : ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال في آية النساء: ﴿تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ ، وفي آية المائدة ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ؛ والسبب - والله أعلم-:

آ ـ ذكر في آية النساء ٤٣ ﴿تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ أي: مع وجود الماء و﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ مع عدم وجود الماء ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ فشملت الآية الحالتين: وجود الماء وعدمه وكيفية التطهر في كليهما.

ب ـ ذكر في آية المائدة ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ أي: أمر بالطهارة على الإطلاق، فكان ذلك أمراً بتحصيل الطهارة في كل البدن على الإطلاق .

ج ـ الطهارة الصغرى لمّا كانت مخصوصة ببعض الأعضاء ذكر الله تعالى تلك الأعضاء على التعيين، ولمّا ذكر الله ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ولم يعين شيئاً من الأعضاء عُلِم أن هذا الأمر أمر بطهارة كل البدن.

د ـ لا شك أن هذا التطهير هو الاغتسال ، كما ورد في آية النساء ٤٣.

٢ـ قوله: ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ أصلها: تطهروا، إلا أن التاء أدغمت في الطاء لأنهما من مكان واحد، ولمّا تم الإدغام سكّن أول الكلمة فزيد ألف الوصل ليبتدأ بها فقيل: اطهروا .

٣ـ المراد بالصلاة في الآيتين المسجد ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود، والشافعي والأكثرية أنّ المراد هي الصلاة نفسها .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ ما منظومة كلمات العبور التي وردت في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

١- عبر:

هو المرور أفقياً أو عرضياً: كالمرور عبر المسجد ليصل إلى مكان الوضوء . [النساء ٤٣].

٢- جاوز:

المرور طولياً مع الطريق. [الكهف ٦٢ـ الأحقاف ١٦ـ يونس ٩٠ـ الأعراف ١٣٨].

٣- قطع:

تعني الوقت المستغرق لعبور الطريق ، تقول: قطعت الطريق في خمس ساعات . [العنكبوت ٢٩].

٤- سبق:

استباق وتعني السرعة للوصول أولاً: [الواقعة ١٠ـ المؤمنون ٦١ـ يس ٤٠].

٥- سارع:

السباق من المسارعة، والسباق من أشد أنواع المسارعة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣] ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [آل عمران:١١٤].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ، ولم يقل: (آتيناهم الكتاب) فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في موضع المدح يأتي بـ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾ [البقرة:١٢١] كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة:١٢١] ، وفي معرض الذمّ يأتي بـ﴿أُوتُوا۟﴾ [النساء:٤٤] كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة:١٠١] .

لمزيد من التفاصيل انظر الجواب في آية البقرة رقم ٥٣.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمتي (السبيل) و(سبيلاً) ؟

الجواب:

١ـ كلمة (السبيل) بالتعريف عندما تقف عليها تقف على السكون ، والسكون فيه معنى الاستقرار، ويعني: الإسلام خالصاً، كما في آيات [النساء ٤٤ـ الفرقان ١٧ـ الأحزاب ٤].

٢ـ كلمة (سبيل) بالتنكير تعني: سبيل المجاهدين ـ سبيل الملتزمين ـ سبيل المنافقين.

* شواهد قرآنية: السبيل:

آ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النساء:٤٤]

ب ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان:١٧]

ج ـ ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٤]

وكلمة (السبيل) في هذه الآيات تعني (المستقر الثابت)، وهو الإسلام الخالص .

٣ـ وردت كلمة ﴿سَبِيلَا﴾ في آية الأحزاب٦٧ ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ ﴾ بالألف واللام والإطلاق؛ وذلك أنهم في وضع اصطراخ، فهم يصطرخون في النار ، فجاءت كلمة ﴿سَبِيلَا﴾ بالإطلاق لتتناسب مع إطلاق صراخهم في النار .

٤ـ وردت كلمة ﴿سَبِيلًا﴾ في سورة الفرقان ست مرات في الآيات:[٩ـ٢٧ـ٣٤ـ٤٢ـ٤٤ـ٥٧].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ لِمَ قيّد ربنا سبحانه وتعالى الإيتاء بالنصيب، ولم يجعله مطلقاً ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ؟

الجواب:

في هذا التقييد لغة بلاغية، ألا ترى أنّ ثمة فرقاً واضحاً بين من أوتي الكتاب ومن أوتي نصيباً من الكتاب، ففي اختيار كلمة (نصيباً من الكتاب) إيحاء بقلة أثر الكتاب في نفوس السامعين.

❁❁❁❁

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ و ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:٤١] ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ اليهود حرفوا التوراة سابقاً قبل بعثة النبي محمد ﷺ واستقر الوضع في التوراة حسبما حرفوها لمدة طويلة .

٢ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة:٤١] هو التحريف الثاني في زمن النبي محمد ﷺ ، حيث عادوا لتحريف التوراة مرة ثانية .

السؤال الثاني:

قوله تعالى هنا في آية النساء ٤٦ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفي آية الكهف ١٠٩ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ فما الفرق بين (الكلم والكلمات) ؟ ولِمَ لمْ يقل في آية الكهف: كلم؟

الجواب:

استخدم القرآن لفظة ﴿كَلِمَٰتُ﴾ كجمع قلة، كما في آية[الكهف ١٠٩] واستخدم لفظة ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ بالجمع، كما في آية [النساء ٤٦].

وذلك لأنّ كلماته تعالى لا تفي بها البحار ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ فالأقلام تفنى والبحر ينفد ويجف ولا تنفذ كلمات الرحمن، فكيف بالكلِم؟! فجمع القلة (كلمات) لا تفي بها هذه البحار والأقلام، فكيف بالكلِم؟!.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء ٤٧: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾، وقال في آية النساء ٤٤: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ فما الحكمة من هذا الاختلاف بين الآيتين؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً في قوله تعالى: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أنه جاء في مقام التعجيب والتوبيخ، فناسبه كلمة ﴿نَصِيبًا ﴾للإشارة إلى قلة علمهم الذي أخذوه من الكتاب، بينما في قوله تعالى: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ صيغت هذه الآية في مقام الترغيب، فناسبه لفظ ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الذي يؤذن بأنهم شُرّفوا بإيتاء التوراة، وما ذاك إلا ليثير اهتمامهم وهمتهم للتخلق بسمات الراسخين منهم.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف بين فاصلتي آية النساء ٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ وآية النساء ١١٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ ؟

الجواب:

صدر الآيتين واحد وكلتا الآيتين في سورة النساء، وختمت الأولى ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨] والثانية ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦] . وحتى يتضح السبب ينفعنا العودة إلى السياق؛ لنتعرف لماذا اختار هذه الفاصلة دون تلك.

آية النساء ٤٨:

هذه الآية نزلت في الرد على افتراءات أهل الكتاب وكذبهم ، وفي سياق هذه الآية قال تعالى:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء:٤٤] .

- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦] .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء:٤٧] .

- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النساء:٥٠] .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

وأهل الكتاب نزل عليهم كتاب بالتوحيد لا بالشرك، فعندما يشركون يكونون قد افتروا على الله ، وهم يفهّمون الناس أنه نزل بالشرك، إمّا بالتثليث أو عزير ابن الله أو غيرها من الأقاويل، فينسبونها إلى الله وإلى الكتب افتراء على الله، فناسب ختم الآية

﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ لأنهم كذبوا على الله، و(افترى) يعني كذب و(الإثم) هو الذنب، وأعمالهم آثام فهم افتروا واكتسبوا إثماً.

آية النساء ١١٦: هذه الآية هي في كفار قريش وهم لم يعرفوا كتاباً، ولا يعلموا شيئاً، هم غافلون ولم ينزل إليهم كتاب، وإنما هم ضالون.

وسياق الآية هو في الضلال . قال تعالى:

- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥] مشاققة الرسول ضلال.

- ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥].

- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ﴾ [النساء:١١٩] .

إذن الآية الثانية هي في سياق الضلال، إضافة إلى أنها نزلت في أناس لم ينزل إليهم كتاب ولا عرفوه، فهم (ضالون) ، فناسب ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] مناسبة للسياق ولمن نزلت فيهم.

إذن هناك فرق بين السياقين ، ففي الآية الأولى نزل عليهم كتاب فافتروا، أمّا الثانية فلم ينزل إليهم كتاب فهم ضالون .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ ؟وما خطر الشرك ؟

الجواب:

في حديث منقول من كتاب «الترغيب والترهيب»:قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتينّ عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون، قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**» فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: «**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم**». (رواه الإمام أحمد والطبراني ورجاله ثقات).

ومعنى «**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه**» أي: لا نريد أن نرتكب شركاً ونحن نعلم أنه شِرك، و«**ونستغفرك لما لا نعلمه**» أي: قد نرتكب شيئاً يدخل في هذا الباب ونحن لا نعلمه، فنحن نستغفر الله سبحانه وتعالى منه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] وحتى هذه المغفرة الثانية علّقها بالمشيئة، فمسألة الشِّرك مسألة عظيمة جداً ولذلك حذّر منها علماؤنا كثيراً، وعلى المسلم أنْ يفتش عن أسباب الشِّرك ويُنجي نفسه منها، مثل الاستعانة بغير الله، وسؤال غير الله سبحانه وتعالى فيما لا يملكه إلا الله عز وجل، فيحذر المسلم لأنّ هذا يحبط العمل، والعياذ بالله سبحانه وتعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما مضمون هذه الآية ؟

الجواب:

انظر إلى هذا الأسلوب في إبطال معتقدهم، فلم يقل: ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم وهم كاذبون ليبيّن حالة التزكية، بل قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ فقد أبطل معتقدهم في التزكية بإثبات التزكية لله تعالى . وقد أفاد تصوير الجملة بـ ﴿بَلِ﴾ حتمية إبطال تزكيتهم خلافاً لحذفها، فلو قال: (والله يزكي من يشاء) لكان لهم طمع أنْ يكونوا ممن زكّاه الله تعالى.

السؤال الثاني:

ما معنى التزكية ؟

الجواب:

١ـ التزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه، ومنه تزكية الشاهد في القضاء، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم:٣٢] وحيث إنّ التزكية متعلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن ولا يعلم حقيقتها إلا الله، فلا جرم أنه لا تصلح التزكية إلا من الله ؛ ولذلك قال الله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ .

٢ـ إنْ قيل: أليس النبي ﷺ قال: «**والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض**» فكيف نفهم هذا ؟

والجواب: إنما قاله النبي ﷺ حين قال المنافقون له: اعدل في القسمة؛ ولأنّ الله تعالى لما زكّاه بدلالة المعجزات جاز له ذلك بخلاف غيره .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ ما الفتيل ؟وما النقير ؟ وما القطمير؟

الجواب:

الفتيل ما كان في شق النواة، والنقير النقطة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ، والقطمير هو القشرة الرقيقة على النواة .

وهذه الأمور كلها تُضرب أمثالاً للشيء الحقير، أي: لا يظلمون لا قليلاً ولا كثيراً .

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ والكلام المختلق المكذوب تسمعه الآذان، فكيف قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ﴾ ولم يقل: اسمع؟

الجواب:

جعل الله تعالى الكذب والافتراء الذي تسمعه الأذن كأنه أمر مرئي يراه الناس بأعينهم ليصف شدة تحقق وقوع ذلك منهم فهو أمر محتّم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي (جرح ـ اجترح ـ افترى ـ اكتسب ـ ارتكب ـ اقترف ـ احتمل ـ كسب ـ عمل ـ فعل ـ تجانف).

وهذه الكلمات هي منظومة ارتكاب الذنوب، وكل الكلمات عدا (فعل، وتجانف) هي للكافرين ، وأمّا (فعل وتجانف)، فهي للمؤمن يقال: فعل الذنب أو تجانف الذنب.

١- جرح واجترح:

وتعني ارتكاب الذنب الذي يترك أثراً لا يمحى ، واجتراح السيئة للكافر ، وكل سيئة تمحى إلا الشرك بالله [الجاثية ٢١].

٢- اقترف:

هي من (قرف) ، ولها معنيان:

آ ـ نزع اللحاء عن الشجرة مما يؤلم الشجرة ولكنه طيب الرائحة.

ب ـ اقترف بمعنى نزع الشيء بشكل مؤلم ، لكنّ الألم قد يكون طيباً يورث محمدة وقد يورث مذلة.

ولذلك تستعمل (اقترف) بالخير[الشورى ٢٣] وقد تستعمل بالشر[الأنعام ١٢٠].

واقتراف الحسنات يترك أثراً محموداً وذكراً طيباً حتى بعد الممات؛ لأنّ الحسنات طيبة الرائحة.

٣- احتمل:

هو الإصرار على الذنب والاستمرار عليه حتى يصبح ثقيلاً لا يمكن حمله يوم القيامة، و(الحمل كماً) و(الاحتمال كيفاً) [الأحزاب ٥٨].

٤- كسب واكتسب:

الكسب هو حصيد ما عمله الإنسان في حياته سواء باشره بنفسه أو لم يباشر أسبابه كأنْ يدعو لك أحد بظهر الغيب.

و(اكتسب)هو كل ما يملك الإنسان وباشر أسبابه بعمد وقصد، و(اكتسب) أكثر من (كسب) بالمبنى، وهذا يدل على زيادة المعنى، فالذنب أعظم وأضخم من الحسنة، والاكتساب افتعال فيه جهد وإصرار ، فقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقيل: إنّ الكسب للحسنة والاكتساب للسيئة، وأمّا قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨١] فهو تعبير عن الذي انغمس في الخطيئة حتى أنها أحاطت به من كل جانب فأصبح يري الاكتساب كسباً .

ولكن الصحيح أنّ (كسب واكتسب) تستعملان في الحسنة وفي السيئة .

٥- افترى:

هو التآمر كتشويه سمعة عالم أو داعية، وهي تقوم على الشائعات والتهم [النساء ٥٠ ـ الأنعام ٢١].

٦- عمل:

العمل عام والفعل جزء من العمل[آل عمران ٣٠_ التوبة ١٠٢].

٧- فعل:

الفعل من جزئيات العمل، والفعل من عمل المؤمن، فيقال للمؤمن: فعل الفاحشة أو فعل السيئة، وليس عمل الفاحشة أو عمل السيئة، والمؤمن ما إنْ يفعل السيئة حتى يتوب عنها، وإنْ كانت فاحشة[النساء ١١٤_ آل عمران ٨٥].

٨- جنف:

هو كل ضرورة وكل اضطرار يدفعك إلى ارتكاب الحرام وأنت له كاره ولا تأخذ منه إلا الحد الأدنى، مثل العطشان في الصحراء يوشك على الموت ولم يجد إلا الخمر، فله أنْ يشرب منه بالقدر الذي يحفظ عليه حياته، [البقرة ١٨٢].

❁❁❁❁

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة الجبت والطاغوت؟ وهل هي موجودة في لغة العرب؟

الجواب:

الطاغوت:

١ـ اشتقاقه من الطغيان، فعله (طغى) ، وأصلها (طغووت) على وزن ملكوت وجبروت ورهبوت، وهي مصادر تدل على المبالغة، كما في الحديث «**جُللت الأرض والسماء بالعزة والملكوت**».

٢ـ ومعنى (الطاغوت) : هو كل ما عُبد من دون الله ، وهو كل رأس في الضلال حتى الساحر والكاهن والصنم والمارد من الجن ، وهي عامة.

٣ـ استعملت كلمة (الطاغوت) في القرآن للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، ويمكن أنْ تجمع (طاغوت وطواغيت) كضيف وأضياف، وطفل وأطفال.

٤ـ في آية البقرة ٢٥٧ كلمة (الطاغوت) فيها جمع؛ لأنّ للمؤمنين ولياً واحد، وهو الله تعالى، فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧] أمّا الكافرون فأولياؤهم متعددون من الشياطين وغيرهم؛ لذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة:٢٥٧].

٥ـ آية الزمر ١٧: استعمل الطاغوت للجمع والمؤنث، وهي في الآية بمعنى الأصنام، وهي جمع بدليل ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزُّمَر:١٥].

الجبت:

١ـ تأتي أحياناً بمعنى الطاغوت، وهي عامة وتطلق على الساحر والكاهن وعلى الأفعال غير المرضية، مثل الطيرة والعيافة والاعتقادات الباطلة والصنم .

٢ـ لها في المعنى نفس دلالة الطاغوت، لكن فيها توسعاً في المعنى، مثل (الطيرة والعيافة والاعتقادات والمفاهيم والأفكار).

٣ـ ليس من صيغتها فعل وليس لها جمع ولا مثنى ، وفي كتب اللغة يقولون : الجبت ليس من محض العربية في الأصل .

السؤال الثاني:

ما منظومة كلمة (طاغوت) في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

الجبت ـ الطاغوت ـ الرذل ـ الزنيم ـ السفيه

انظر التفصيل في آية النساء ٥.

❀❀❀❀

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

لفظة ﴿فَإِذًا﴾ هل تكتب بالألف أم بالنون ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٦.

السؤال الثاني:

ما النقير المذكور في الآية ؟

الجواب:

انظر السؤال الثالث آية: ٤٩ .

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تصوير هذا المشهد من العذاب ؟

الجواب:

انظر إلى هذا التصوير لمشهد العذاب، إنه مشهد مادي محسوس تتألم منه الأجساد وتتلظى به الجوارح والأبدان ، وهو مشهد لا يكاد ينتهي، مشهد يشخص له الخيال ولا ينصرف عنه، ألا ترى أنك تكاد ترى مشهد الجلود الناضجة من شدة قوة التصوير في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ وتأمل هذا الاختيار المفزع لأداة الشرط ﴿كُلَّمَا﴾ دون استعمال الأداة (إذا)؛ لأن (كلما) ترسم مشهد نضوج الجلود متكرراً خلافاً لـ (إذا)، وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ .

السؤال الثاني:

لِمَ خصّ الله تعالى الجلود بالتغيير دون الأعضاء، مع أنها تنضج في النار أيضاً؟

الجواب:

هذا من إعجاز القرآن؛ فالجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس فلو لم يبدّل الجلد بعد احتراقه لما وصل عذاب النار إلى النفس.

السؤال الثالث:

ما دلالة ﴿سَوْفَ﴾ في الآية ؟ وما الفرق بين (السين وسوف) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠ .

السؤال الرابع:

ما أهم دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿سَوْفَ﴾ في الآية جاءت للتهديد والوعيد، وقد ترد للوعد أيضاً كما في قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥] والسياق هو الذي يحدد المعنى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نُصْلِيهِمْ﴾ تتضمن دخول النار مع الزيادة بمنزلة: (شويته بالنار).

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾ أي: هو القادر الغالب الحكيم الذي لا يفعل إلا الصواب.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ فيه سؤالان:

السؤال الأول: لّما كان الله تعالى قادراً على إبقائهم أحياء في النار خالدين فيها، فَلِمَ لمْ يبقِ أبدانهم في النار مصونة عن النضج والاحتراق مع وصول الآلام الشديدة إليها؛ حتى لا يحتاج إلى تبديل جلودهم بجلود أخرى؟

والجواب: أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل، بل هو قادر على إيصال آلام عظيمة إلى أبدانهم من غير إدخال النار، مع أنه تعالى أدخلهم النار.

السؤال الثاني: الجلود العاصية إذا احترقت لو خلق الله مكانها جلوداً أخرى وعذّبها كان هذا تعذيباً لمن لم يعص وهو غير جائز، فكيف ذلك ؟

والجواب:

١ـ أنْ يجعل النضج غير النضيج ، فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة وبالتالي لم يصل العذاب إلا إلى العاصي ، والمراد بالغيرية ﴿غَيْرَهَا﴾ هنا التغاير في الصفة.

٢ـ المُعَذَّب هو الإنسان والجلد جزء منه، فإذا جدد الله جلده وصار الجلد الجديد سبباً لوصول العذاب إليه لم يكن ذلك تعذيباً إلا للعاصي .

السؤال السادس:

ما المقصود من لفظة ﴿كُلَّمَا﴾ في الآية؟ وما المقصود من قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؟

الجواب:

١ـ المقصود من الآية بيان دوام العذاب وعدم انقطاعه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ اللام للتعليل، أي: ليدوم لهم ذوق العذاب ولا ينقطع.

والمقصود من ذكر الذوق الإخبار بأنّ إحساسهم بذلك العذاب كإحساس الذائق من حيث لا يزول ولا ينقص . والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ ؟

الجواب:

من المعلوم أنه لا توجد شمس في الجنة؛ ولذلك لا يوجد حر يحتاج إلى ظل ظليل ، فكيف يكون معنى الآية؟

والجواب: هو مجاز عن المستقر المُستطاب جرياً على المتعارف بين الناس، وخاصة في بلاد الحجاز حيث الحر الشديد، فأطيب ما عندهم هو موضع الظل فخاطبهم بما يفهمون .

والظل فيه الراحة، والظليل ليس ينبىء عن الفعل، بل هو مبالغة في نعت الظل، مثل قولهم: ليل أليل.

وكما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم:٦٢] وليس في الجنة طلوع الشمس ولا غروبها فيكون فيها بكرة وعشياً، لكنْ لمّا كان في عرفهم أنَّ تمام النعمة أنْ يكون الطعام حاضراً مهيئا طرفي النهار عبّر عن حضوره وتهيئته بذلك .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ما دلالة (أبداً)؟ هل هي للخلود أم لتأكيد المدة الطويلة ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٣.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ باستعمال السين، فما الفرق بين السين وسوف في الاستعمال ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾

السؤال الأول:

ما الآية التي نزلت داخل الكعبة؟

الجواب:

هي الآية المذكورة أعلاه (نزلت داخل الكعبة عندما دخل الرسول ﷺ يوم فتح مكة وطلب من عثمان بن طلحة وكان حاجب الكعبة أنْ يعطيه مفتاح الكعبة، فأبى وصعد إلى سطح الكعبة، فأرسل الرسول ﷺ بلالاً ليحضره منه، ففتح الكعبة وحطّم الأصنام، ثم نزلت هذه الآية يأمر الله تعالى رسوله أن يردّ المفتاح إلى عثمان، وما زال في بني شيبة إلى الآن).

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار كلمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في سورة النساء وعدم ذكره (أطيعوا) مع أولي الأمر؟

الجواب:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ ولم يقل تعالى: (وأطيعوا أولي الأمر منكم)؛ لأنّ طاعة أولي الأمر تبعية وليست مستقلة، وإنما هي تابعة لطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ ، فأولو الأمر ليس لهم طاعة مستقلة، ولكن طاعتهم تبعية بحسب طاعتهم لله ولرسوله، كما أنّ طاعة أولي الأمر ليست بنفس بمنزلة طاعة الله ورسوله ومن المحتمل التنازع بين أولي الأمر.

السؤال الثاني:

لماذا يرد في القرآن أحياناً: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد: (وأطيعوا الله والرسول)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٢.

❁❁❁❁

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ لو رجعت إلى سبب نزول هذه الآية لعلمت أنها نزلت بمنافق، فلِمَ صيغت بأسلوب الجمع ولم تكن مفردة؟

الجواب:

ورد في الآية قوله تعالى ﴿يَزْعُمُونَ﴾ بصيغة الجمع مع أنّ المراد بها واحد لأنّ المقام مقام توبيخ ليشمل المنافق المقصود ومن كان على شاكلته وفعلته.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ وصف الله تعالى الضلال بالبعيد، والبعد مسافة، فلِمَ لم يصفه بالضلال الكبير مثلاً؟

الجواب:

إنّ الشيطان يسعى ليُغرق الإنسان في الضلال وليوغل في مسار الفسق حتى يصعب عليه الرجوع عنه، أمّا الضلال الكبير فيمكن أن يتخلى الإنسان عنه، ولذلك خصّ الله تعالى الضلال من الشيطان بالبعيد، لتعرف بأنّ الشيطان لن يهدأ حتى يبلغ الواحد منا أقصى غاية في الضلال.

السؤال الثالث:

ما معنى الطاغوت في الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٧ وآية النساء ٥٧.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ ولم يقل: (إضلالاً) حسب القياس.لماذا ؟

الجواب:

من قواعد استعمال القرآن للبنية التعبيرية: أنه يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره، بل يأتي بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق، فيجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر من أقرب طريق وأيسره، وهنا قال الله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ ، وكان القياس أن يقول: (أنْ يضلهم إضلالاً بعيداً)؛ لأنّ:

١ ـ مصدر (أضل): الإضلال . أمّا (الضلال) فهو مصدر (ضلّ)، قال تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء:١١٦] ، والمعنى أنْ يضلهم فيَضّلوا ضلالاً بعيداً ، فقد جمع بين المعنيين: الإضلال والضلال في آن واحد .

٢ ـ والمعنى أنّ الشيطان يريد أنْ يضلهم، ثم بعد ذلك أنْ يضلوا بأنفسهم، فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمونها، وهو يريد منهم المشاركة في أنْ يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب ، وهو يريد أنْ يطمئن إلى أنهم يقومون بمهمته هو.

٣ ـ لو جاء بمصدر الفعل المذكور(ضلّ) لما زاد عن معنى الفعل المذكور، ولكنه جاء بالفعل لمعنى ، وجاء بالمصدر لمعنى آخر فجمع بين المعنيين، والمعنيان مرادان، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ خصّ الله تعالى نداء المنافقين بـ﴿تَعَالَوْا۟﴾ ولم يقل لهم: احضروا ؟

الجواب:

إنّ غايته في الآية رفع المنافقين وإخراجهم من سفاسف الأمور ودنو التفكير؛ ولذلك استعمل فعلاً مأخوذاً من العلو؛ ليحضّهم على الارتفاع عن معتقدهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، وهو تحكيم كتاب الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

❋❋❋❋

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية كيف يعرض عنهم ؟ وكيف يقول لهم قولاً بليغاً؟

الجواب:

هذه الآية في المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء:٦١-٦٢-٦٣] .

ومعناه أنهم قد فعلوا شيئاً فجاءوا يعتذرون، فأعرض عنهم واترك المسألة وافعل ما هو أهم، وهو أنْ تعظهم وتعلمهم الطريق الصحيح وتمنعهم من النفاق.

فقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن المسألة التي جاءوا يعتذرون عنها، وليس بمعنى الإعراض عنهم هم، و(يعظهم) حتى يعلمهم ويرشدهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ أي: بينك وبينهم ليس أمام أحد، خالياً معهم وليس على الملأ؛ لأنه أدعى إلى قبول النصيحة.

❊❊❊❊

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل نفهم أننا يمكن أن نستشفع بالرسول في الدعاء؟

الجواب:

هذا أمر فقهي، وهذه الآية كانت في حياة الرسول ﷺ .

السؤال الثاني:

ما أهم الوقفات في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ **«ليس الإيمان بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل»** حديث شريف.

٢ـ ذكر الله في الآية (٦٤) ثلاثةً من ممحصات الذنوب:

آ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ .

ب ـ ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾.

ج ـ ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ .

٣ـ وذكر ثلاثة أمور في الآية التي تليها (٦٥) تُدخل في حظيرة الإيمان وهي:

آ ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ .

ب ـ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ .

ج ـ ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ .

٤ ـ والآية الأولى (٦٤) هي تمحيص لمن عاصر الرسول الكريم ﷺ، فما بال الذين لم يعاصروه ؟ فأين المحص الذي يقابل هذا لمن لم يعاصر النبي ﷺ ، والرسول إنما جاء للناس جميعاً !!!

قال الرسول الكريم ﷺ مطمئناً المؤمنين في جميع العصور: **«حياتي خير لكم تُحْدِثون ويُحْدثُ لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تُعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم»** رواه ابن سعد مرسلا عن بكر بن عبد الله، ورمز إليه السيوطي بالحسن .

فاستغفار الرسول لنا موجود، إذن فما بقي لنا إلا أنْ نستغفر الله تعالى ونصلي على نبي الهدى والرحمة .

❁❁❁❁

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ ما الفرق بين: (يعملون ـ يفعلون ـ يصنعون) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

يفعلون: الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد.

يعملون: في الأكثر فيه قصد، وهو مختص بالإنسان، وهو أخص من الفعل؛ لذلك قلّما ينسب إلى الحيوان، والعرب لم تقله إلا في البقر التي تحرث الأرض.

يصنعون: الصنع أخص، وهو: إجادة الفعل، ويحتاج إلى دقة، ولا ينسب إلى حيوان أو جماد، فهو أخص من العمل، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨] .

وعندما تأتي (يصنعون) فإنها تعني: ما يخططون وما يدبرون بدقة وإجادة .

فالفعل عام ، والعمل أخص منه ، والصنع أخص ويحتاج إلى دقة.

❋❋❋❋

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا التقديم في الآية بحسب الفضل والشرف ؟

الجواب:

١ ـ في آية النساء٦٩: قدّم الله على الرسول، ثم قدّم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأ بالأفضلين وهم الأنبياء، وهم أقل الخلق ثم الصديقين وهم أكثر، ثم الشهداء ثم الصالحين، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل ، ولا شك أنّ أفضل الخلق هم أقل الخلق؛ إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم.

٢ ـ في آية الأحزاب ٧ قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ فبدأ بالرسول؛ لأنه أفضلهم ﷺ.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة المبالغة في الإكرام ؟

الجواب:

هذه هي منظومة المبالغة في الإكرام.

حفي:

الحفاوة هي المبالغة في الإكرام وإظهار السرور، وهذا غير الكرم ، فالكريم يكرم الجميع، لكنه لا يستدعي أنْ يظهر السرور لكل فرد، أمّا المحتفى به فله خصوصية الزيادة في الكرم وإظهار السرور والفرح: [مريم ٤٧ ،البقرة ١٣٠].

والحفي: هو كل من يسأل عن شيء ويلح في طلبه [محمد ٣٧].

والحفي: أيضاً هو العالم المتعلم المتحقق للمسائل .

البَر:

هو المتوسع في فعل الخير، ومنها بر الوالدين: [مريم ٣٢].

اللطيف:

هو التدبير الخفي الذي يوصل حاجتك لبيتك، وهذا هو اللطف:[يوسف ١٠٠].

وقد تتعدى كلمة (اللطيف) بالباء: [الشورى].

*** من هم المحتفى بهم يوم القيامة ؟**

من حيث المكان: من يضعهم الله في الفردوس الأعلى فإنها مقصورة الرحمن.

من حيث الأشخاص: الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون:[النساء ٦٩].

اللهم اجعلنا معهم يارب العالمين .

❁❁❁❁

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ والأخذ هو أن تتناول شيئاً في يدك فكيف يأخذ الإنسان حذره؟ ولِمَ عدل عن أصل الفعل (احذروا) ؟

الجواب:

في استعمال العقل (خذوا حذركم) استعارة لتوضيح شدة الحذر وملازمته؛ لأنّ حقيقة الأخذ تناول الشيء الذي كان بعيداً عنك، وكما كانت الغفلة والنسيان يشبهان البعد والإلقاء، كان التذكّر والتيقّظ يشبهان أخذ الشيء بعد إلقائه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ ما كلمات منظومة الجري أو المشي السريع ؟

الجواب:

كلمات منظومة الجري أو المشي السريع هي:

١- جرى:

هو المشي السريع المتناسق الرتيب، مثل حركة الريح:[يونس ٢٢ـ النساء ١٣ـ يس ٣٨].

٢- مرّ: هو السرعة في التجاوز: [يونس ١٢ـ يوسف ١٠٥ـ النمل ٨٨ـ الصافات ١٣٧ـ المطففين ٣٠].

٣- ركض:

قوة حركة الرجل في الأرض، والركض هو السرعة عن طريق حركة القدمين [ص ٤٢ـ الأنبياء ١٢].

٤- سبح:

هو المرور السريع في الماء [الأنبياء ٣٣ـ المزمل ٧].

٥- نفر:

هو السرعة في الإعداد نتيجة احتياج غير عادي: [التوبة ٤١ـ ١٢٢ـ النساء ٧١].

٦ -انطلق:

الانطلاق يكون بعد التأخر، إذا تأخر شخص عن ركب أسرع وانطلق ليلحق بهم:[المرسلات ٢٩ـ ٣٠ـ القلم ٢٣ـ الفتح ١٥].

٧- أفاض:

سرعة المخترق من الزحام أو سرعة الخروج من ضيق المكان، وهذا يحصل في الحج: [البقرة ١٩٨ـ ١٩٩ـ التوبة ٩٢].

٨- زحف:

الزحف هو سرعة المثقل بالأحمال ، بحيث يجرّ رجله في الأرض جراً من شدة الثقل ، ويطلق الزحف على الجيش المنظم وعلى النفير للشعب العادي وأفراده:[الأنفال ١٥].

٩- اثّاقل:

هي البقاء في المكان دون الخروج مع الجيش: [التوبة ٣٨].

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ٧٢ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى هذا اللفظ الذي اختاره ربنا سبحانه وتعالى ليعبّر عن المتقاعسين عن الجهاد والمثبّطين للهمم، أي: لفظ ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ، هذا اللفظ رسم بمفرده صورة تناسق فيها المضمون مع التعبير والمعنى من خلال إيقاعه وجرسه الذي يلقيه في الأذن ، حيث رسم جرس ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ صورة واضحة للتبطئة، فهذه اللفظة مختارة لما فيها من ثقل يتعثّر اللسان في حروفها وجرسها حتى تأتي على آخرها وهو يشدّها شداً، وهذا يصور الحركة النفسية لأولئك المتقاعسين وما يعتريهم من تعثّر وتثاقل عن المضي قُدُماً في المعركة.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿مَوَدَّةٌ﴾ في آية سورة النساء ٧٣؟ ولماذا لم يقل: عداوة؟

الجواب:

لو قرأنا الآيتين[٧٢و ٧٣] لانتفى السؤال أصلاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ فالآية فيها ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الضمير في ﴿مِنكُمْ﴾ يعود على المؤمنين، سواء من كان ضعيف الإيمان أو غيره، فهو إمّا يبطيء نفسه أو يبطيء غيره .

فهؤلاء المخاطبون هم من صفوف المؤمنين، فلا يصح أنْ يكون بينهم عداوة وإنما مودة كما ذكرت الآية الكريمة.

❋❋❋❋

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الظالم: صفة للقرية مجرورة .

أهلُ: فاعل لاسم الفاعل الظالم، والهاء ضمير في محل جر بالإضافة.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال الله في آية النساء ٧٦: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ وقال في كيد النساء: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨] مع أنّ كيد الشيطان أعظم من كيد النساء؟

الجواب:

المراد أنّ كيد الشيطان ضعيفٌ في جنب نصرة الله وحفظه لأوليائه المخلَصين من عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢] وقال حكاية عن إبليس: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر:٤٠]

أمّا المراد بالآية الثانية ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨] فهو أنّ كيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال، كما أنّ القائل هنا هو حكاية على لسان عزيز مصر، لذلك لا تناقض ولا معارضة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية الكريمة إذا علمت أن ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ تسمى الفجائية، فما صلتها بالآية؟ ولِمَ عدل عن أصل التركيب، وهو: فلما كتب عليهم القتال خشي فريق منهم الناس؟

الجواب:

إنّ (إذا) لها دلالة لا يمكن الاستغناء عنها، فقد دلّت على أنّ الفريق لم يكن متوقعاً منه هذا الموقف؛ لأنه كان يظهر حرصاً شديداً على القتال.

❋❋❋❋

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم (المفعول به) مع ذكر الموت ﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ ﴾ فما دلالة أداة الشرط (أينما) ؟

الجواب:

(أين) هي ظرف مبهم، وقد تضاف لها (ما) فتزيدها إبهاماً، كقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ [النحل:٧٦] - ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١)﴾ [الأحزاب:٦١].

وقد وردت (أينما) في أربعة مواضع، هي:[البقرة ١٤٨ـ النساء ٧٨ـ الأحزاب ٦١ـ النحل ٧٦].

ولاحظ أن ﴿أَيْنَمَا ﴾ أكثر إبهاماً وعموماً من (حيثما)؛ ولذلك استعملت لبيان مقدار قوة الله، وأنه لا يعجزه شيء، وتدل على الشمول والعموم ، وهي أوسع من (حيثما) ، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة:١٤٤] فليس فيه شمول للأمكنة، فهناك أماكن لا تصح فيها الصلاة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿يَقُولُواْ﴾ فما كلمات الحديث بأصوات الفم الإنساني ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران٤٦.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ فما كلمات منظومة الحصون والأبراج ؟

الجواب:

١ - الصياصي:

هي حصون تُشيد للهجوم وليس للاحتماء، والمفرد (صيصة)، وتعني قرن الثور القوي، والصياصي تدل على القوة، ومن الصعب الدخول إليها.

ولذا نجده في آية الأحزاب ٢٦ قد استعمل كلمة ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾ ، ولم يقل: ملاجئهم؛ لأنها ستعني أنهم كانوا خائفين، وأين الإعجاز في إنزال قوم خائفين من ملاجئهم؟

٢- الحصن:

عندما يزداد هجوم العدو، وتشعر أنك فقدت قدرتك تنسحب من موقعك إلى موقع آخر تتحصن فيه ، حتى يكون ذلك الحصن موقعاً إضافياً للقوة، [الحشر ٢].

من المعاني القريبة للحصن هي: (المحصنة).

آـ المحصنة، فهي التي لا يمكن أن يجتاحها أو يقهرها أو يصل إلى مراده منها أحد مهما كانت قوته.

ب ـ الفرق بين المحصنة والعفيفة: أنّ العفيفة لا تزني مع اشتهائها للجنس الآخر .

ج ـ (العفّان) هو الذي حرم الخمر والنساء على نفسه، ومنهم أبو عثمان بن عفان.

د ـ التحصن من الشيطان يكون بالذكر والدعاء في كل وقت.

٣- الملجأ:

أنت منهزم وتدخل إلى الملجأ الذي لا يعرفه عدوك، وتلجأ إلى الله بحيث لم يبقَ لك بديل آخر.

والملجأ إلى الله هو الذي يعصم وينقذ.

[التوبة ١١٨ـ الشورى ٤٧].

٤- الوزر:

هو الملجأ الذي يُلتجأ إليه في رؤوس الجبال، وقوة الوَزَر أنه في مكان شاهق يصعب على قوى الأمن مثلاً الوصول إليه [القيامة ١١ـ١٢].

٥- البروج المشيدة:

تُبنى عالية جداً وتكون لها أبواب سرية ومداخل من تحت الأرض: [النساء ٧٨] .

٦- الركن الشديد:

هو الشخصية القوية التي يُستند إليها أو المكان المسلح القوي الشديد، كما في آية [هود ٨٠].

٧- الملاذ:

جاءت في القرآن ﴿لِوَاذًا﴾ [النور:٦٣] وهي التقوي بشيء آخر .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء:٧٩] كيف تكون المصيبة خيراً ؟

الجواب:

ليس المراد في الآية بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ، بل المقصود هو القحط والرخاء والنصر والهزيمة على ما اختلف فيه العلماء، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ [النساء:٧٩] ولم يقل: ما عملت؟ والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء:٧٩] ما أصل المصيبة؟

الجواب:

١ـ المصيبة مشتقة من صَوَبَ، أي: من الفعل (أصاب) ، ومنه الصيِّب، أي: المطر، وفيه معنى النزول .

٢ـ الشيء الذي ينزل على الإنسان قد يكون خيراً وقد يكون شراً، ولذلك الفعل (أصاب) يستعمل في الخير وفي الشر، كما في آية (النساء ٧٩).

٣ـ كلمة (مصيبة) صار لها خصوصية واستعملها العربي في السوء والشر فقط ، وأصل استعمال كلمة (مصيبة) في الرمية الصائبة للهدف .

٤ـ ونحن مأمورون عند المصيبة أنْ نقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦]؛ لأننا نحن جزء من ملك الله، والله هو المتصرف بملكه .

السؤال الثالث:

في الآية نسب الله الحسنة إليه والمصيبة إلى نفسك علماً أن مردّ الأمور جميعاً هي إلى الله سبحانه، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ في القرآن الكريم هناك خط واضح، وهو أنّ الله لا يذكر نفسه إلا مع الخير، أمّا مع الشر فينسبه للمجهول .

وفي هذا تعليم للمسلم كيف يتأدب مع الله عز وجل، فينسب الخير لله وينسب الشر والسوء لنفسه .

٢ـ القرآن على لغة العرب، والعرب كانوا يستعملون المصيبة، وأصل الاستعمال في المصيبة هي الرمية الصائبة للسهم، والرجل إذا اجتهد فأصاب فهو مصيب، والمرأة يقال لها: أصابت؛ حتى نتجنب القول إنها مصيبة، ولو كان هذا يجوز من حيث اللغة، ويجوز أن يقال: فلانة مصيبة في هذا الأمر، لكنّ الإنسان في كلامه ينبغي أن يتجنب ما هو مُلبِس إلا إذا كان له غاية مثل هذا الذي قال:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء

فاسألوا الناس جميعاً ... أمديح أم هجاء

وعمرو كان خياطاً، وكان ممتّعاً بإحدى عينيه (أي: أعور) ، فهل كان يدعو عليه بالعمى أم يدعو عليه بالبصيرة والبصر؟ إذن الإصابة يمكن أن تستعمل للحسنة: ما أصابك، أي: ما نالك ونزل بك، هذا في لغة العرب والمصيبة مخصصة.

❁❁❁❁

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة رفع لفظة ﴿طَاعَةٌ﴾ في الآية ؟ وما إعرابها ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ﴾ بالرفع أي: شأننا طاعة، والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها، ويجوز بالنصب بمعنى: أطعناك، لكن الرفع أثبت .

وهي خبر لمبتدأ تقديره: شأننا أو أمرنا .

السؤال الثاني:

من المعني بـ ﴿طَآئِفَةٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ﴾ يخص طائفة من المنافقين بالتبييت، وكانت هذه الطائفة قد أسهروا ليلهم في التبييت .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فاستخدم مرة اسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ ، ثم استخدم اسم الموصول ﴿مَا﴾ ، فلماذا ؟

الجواب:

جاء بـ (الذي) في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ ؛ لأنّ كلام الرسول معلوم عند المخاطب ومتفق عليه، بينما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ، فجاء بـ(ما) ؛ لأنّ ما يبيتون مجهول عند المخاطب؛ إذ هو لا يدري ماذا يبيتون.

فجاء للأخص المعلوم (بالذي) والآخر(بما)؛ لأنّ القاعدة أن (الذي) أخص من (ما).

السؤال الرابع:

لماذا قال: ﴿بَيَّتَ﴾ ولم يقل: (بيتت) بالتأنيث، مع أن المراد يخص طائفة وهي مؤنث؟

الجواب:

قال: (بيّت) ولم يقل: (بيتت) بالتأنيث؛ لأنّ تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج .

ومعنى (بيّت) أي: زينت وزورت خلاف ما قالت وما أمرت به؛ لأنهم أبطنوا العصيان لا الطاعة . والله أعلم .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ فهل هناك اختلاف قليل؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ هذا نوع من التحضيض والحثّ للتدبر، وعندما يدعوهم إلى تدبره معناه أنه ليس فيه اختلاف ولا ريب وليس فيه إشكال، ثم يقول لهم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ هم كأنهم يرونه ويلمسونه ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ .

والسؤال يقول: كأنه لّما قال: كثيراً، فمفهوم المخالفة كأن فيه اختلافاً قليلاً، وهو ليس هكذا.

٢ـ ﴿لَوْ﴾ حرف امتناع لامتناع؛ تقول: لو زارنا زيد لوهبناه مالاً كثيراً. وقولك: كثيراً هو نوع من المبالغة، أي: الإكثار من الشيء، وليس المبالغة كما تفهم الآن بمعنى الكذب، والعرب تستعمل المبالغة للإكثار، فعندما تقول: لو زارنا زيد لوهبناه مالاً كثيراً، تعني: نحن نُكرِم بكثرة، لكن عندما تقول: هو ما زارنا ، عندها ما وُهِب لا قليلاً ولا كثيراً، فامتنعت الهبة لامتناع الزيارة، فما أخذ لا من القليل ولا من الكثير.

٣ـ وهنا أيضاً في الآية (لو كان من عند غير الله) ولكنّ هذا القرآن من عند الله ، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فامتنع الاختلاف قليله وكثيره لامتناع كونه من عند غير الله، فالاختلاف كله منفي؛ لأنّ القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ و مشتق من الدَّبَر، أي: الظهر، فكيف يراد به التأمل؟

الجواب:

جعلوا الفعل (تدبر) بمعنى: تأمل وتفكر؛ لأننا إذا قلنا: (تدبر المسألة) أردنا: نظر في غائبها وعاقبتها، و(تدبر الأمر) نظر فيما وراءه من حِكَمٍ ومعانٍ.

السؤال الثالث:

جاء في آية النساء ٨٢ وآية محمد٢٤ الفعل ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، بينما في آية المؤمنون ٦٨ الفعل ﴿يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

١ ـ في آية النساء ٨٢ يحتاج الوضع إلى طول التدبر والتأمل، فقد قال الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ، فهذا يحتاج إلى وقت طويل للنظر في كل القرآن وليس في قسم منه، إضافة إلى أنه يحتاج إلى وقت طويل للنظر في عدم الاختلاف بين آياته وتخريج ما يبدو مختلفاً، فجاء لذلك بلفظ (يتدبر) ، وهذا يعني التدبر العقلي والنظر الاستدلالي، وهما يحتاجان إلى وقت طويل . والله أعلم .

٢ ـ ذكر القرآن في سورة محمد الآية ٢٣ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ فهم مصابون بالصمم والعمى، إضافة إلى أنّ قلوبهم مقفلة ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ والمصاب بالصمم والعمى محتاج إلى تكرار التذكيروتطاوله للوصول إلى الإدراك الصحيح والفهم السليم، كما أنّ القلوب المقفلة تحتاج إلى طَرْقٍ كثيرٍ وإلى تكرار محاولات الفتح لتفتح، فهذه الأوصاف تستدعي طول التدبر والنظر، إضافة أنه قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فجعل القرآن كله موضوعاً للتدبر، وليس قسم منه ، فزاد ذلك في وقت التدبر، فطُولُ التدبر سببه:

آـ من ناحية الأوصاف التي تستبعد الفهم .

ب ـ من ناحية كثرة وطول المتدبَّر، وهو القرآن الكريم كله.

ج ـ التدبر هنا عمل عقلي، والسبل التي توصل العقل إلى الحكم الصحيح معطلة، فكيف يصل العقل إلى الحكم السليم ؟

٣ ـ في آية المؤمنون ٦٨ قال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون:٦٨] ثم قال: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون٦٩-٧٠-:٧١]

التدبر هنا عمل قلبي لا عمل عقلي؛ وذلك لأنهم:

آـ يعرفون رسولهم ولا ينكرونه .

ب ـ كارهون للحق وإن عرفوه .

ج ـ متبعون للهوى لا لحكم العقل والمنطق .

فهم إذن لا يحتاجون إلى طول تدبر للوصول إلى معرفة الحق، فهم يعرفون الحق ويعرفون رسولهم، غير أنهم كارهون للحق متبعون للهوى، فهم محتاجون إلى ما يشفي قلوبهم من كراهية الحق واتباع الهوى، فاقتضى هنا التدبر القلبي لا العقلي .

٤ ـ في آية المؤمنون قال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨] ولم يقل: (القرآن) والقول قد يشمل الآية والآيتين، فدعاهم إلى تدبر القول، وهذا يتطلب وقتاً أقصر من تدبر عموم القرآن، فلمّا قصّر من المتدبَّر قصّر من التدبر ، ولمّا أطال في الآيتين الأخريين فجعله القرآن كله أطال البناء . والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ؟

الجواب:

المعنى العام أنه: لولا فضل الله عليكم بإرسال الرسل لاتبعتم الشيطان في الكفر والضلال إلا قليلاً منكم كانوا يهتدون بعقولهم إلى معرفة الله وتوحيده، كقس بن ساعدة وورقة بن نوفل ونحوهما قبل بعث النبي ﷺ، والخطاب هنا للمؤمنين لا لكل الناس ، وقيل: لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ
أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿نَفۡسَكَۚ﴾ في قوله تعالى ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ ؟

الجواب:

كلّف: فعل يأخذ مفعولين: المفعول الأول هو مستتر نائب فاعل تقديره: أنت، والمفعول الثاني هو ﴿نَفۡسَكَۚ﴾ .

❁❁❁❁

﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ
سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (النصيب) و(الكفل) في سورة النساء من حيث المعنى ودلالة استخدامهما في القرآن؟

الجواب:

١ ـ النصيب: هو مطلق وليس له شيء محدد واستخدمت مع الحسنات؛ لأنّ الحسنة تتسع وتتضاعف إلى عشرة أضعاف، وقد تكون أكثر .

٢ ـ الكفل: النصيب المساوي، ومنها (المِثل)، واستخدمت (كفل) عند ذكر السيئة ﴿لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [النساء:٨٥] ؛ لأنّ السيئات تُجزى بقدرها ولا يزيد عليها، بدليل قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ [غافر:٤٠] ، أمّا الحسنة فتضاعف وتتسع

وتعظم، وقد تكون عشرة أضعاف، وقد تكون أكثر ولم يحدد أنها مثلها؛ لذا جاءت كلمة (نصيب) مع الحسنات؛ لأنّ الحسنة لها نصيب أكثر من السيئات.

أمّا ما قاله بعض اللغويين: إنّ النصيب في الأمور الحسنة والكفل في الأمور السيئة، فهذا غير صحيح؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] وقال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧﴾ [غافر:٤٧] لكن الكفل من معانيه: المِثل، ولذلك استعمله مع السيئة، يقول: كفلين أي: مثلين والأجر يضاعف. وأيضاً من معاني الكفل في اللغة الحظ من كل شيء خيراً كان أم شراً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: (مَّن يَشْفَعْ) ما معنى (الشفاعة) هنا ؟

الجواب:

الشفاعة مأخوذة من (الشفع)، وهو أن يصيّر الإنسان نفسه شافعاً لصاحب الحاجة، حتى يجتمع معه على المسألة فيها .

السؤال الثالث:

ما معنى لفظة﴿مُّقِيتًا﴾ في الآية ؟

الجواب:

(المقيت): هو القادر على الشيء أو الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة. والآية تبين أنّ الله تعالى قادر على إيصال النصيب والكفل من الجزاء إلى الشافع مثل ما يوصله إلى المشفوع له: إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، ولا ينتقص بسبب ما يصل إلى الشافع شيء من جزاء المشفوع .

وهو تعالى حافظ الأشياء شاهد عليها عالم بأنّ الشافع يشفع في حق أو باطل حفيظ عليه، فيجازي كلاً بما علم منه.

وقوله تعالى: ﴿مُقِيتًا﴾ هي صفة ثابتة له من الأزل، وقوله: ﴿وَكَانَ﴾ هو مطلق، أي: كان من الأزل إلى الأبد ، وهو يفيد الماضي المستمر .

السؤال الرابع:

لماذا اختيرت كلمة (الكفل) لشافع السوء دون الجزاء أو النصيب ؟

الجواب:

النصيب هو الحظ من كل شيء خيراً كان أم شراً، وبما أنه اقترن بالشفاعة الحسنة فهو جزاء بالخير.

وقد اختير (النصيب) دون الجزاء، إشارة إلى أنه قد يكون للشافع أجر أكثر من ثواب من شفع عنده، أمّا شافع السوء فقد خصّ الله جزاءه بـ (الكفل) بمعنى (المثل) إيذاناً بأنّ مرتكب السيئة لا يجزى إلا مثلها. والله أعلم .

فهرس المحتويات